

كمال أنا تو رك

محمد محمد توفيق

عندت بنشره

دارالصلان بصير

سنة ١٩٣٦

مجزی بوشادی
A.Z. Abu Shady

Tawfiq, Muhammad Muhammad

کمال آناتورک

Kamal Ataturk

نقاش

محمد محمد توفیق

عنیت بنشرہ

دارالصلانی مصر

سنة ١٩٣٦

اهداء الكتاب

الى الرجل الذى خلق تركيا ، وأيقظ الشرق ، وتنمر للغرب

الى رجل السياسة وال الحرب :

كمال أتاتورك

من مصرى يرى فيه المثل الأعلى للمجاهد الكامل ، ورجل الدولة

الكامل

صورة الفارف

يجد القراء على غلاف هذا الكتاب رسماً قد يكون غريباً على بعضهم ،
ولذلك نشرحه فيما يلى :

هو شعار حزب الشعب الجمهوري الذى يعتبر تجسيماً مادياً لفلسفة كمال أتاتورك
و دستوره في الحياة . والأسماء الستة تمثل مصادر قوة هذا الحزب ، وهي :
الوطنية ، والشعبية ، والجمهورية ، والقومية ، والثورية ، والعلمانية . وهذه
الأسماء تنطلق من الشمس التي هي الحزب ، وتشرق على راية فوقها قلعة تركية
حصينة

وقد أصبح هذا الشعار رمزاً لتركيا الجديدة ، كما ان العلم الأحمر ذا الهلال
والنجمة رمز الجيش التركى الباسل

مقدمة

اشتغلت صحيفياً منظماً مدة طويلة - وسعدت بمساعدة مؤلف هذا الكتاب مدة طويلة - فلئن حلت شخصيته بكلمة واحدة فهي أنه كله : روح . . . والشخصيات ذات « الأرواح » الحية الفوارقة تعمل العمل البدني بأعصابها . وتعمل العمل الذهني بدمها وشرايينها . فإذا ما قبضت على القلم لتكتب وتحلل لي ولث من القراء . قرأت « ثورة » و « صراحة » و « وضوحاً » و « حياة » لأن الكاتب الدموي الروحي الحيوي لا ينتاب أسلوبه الفتور ولا البرود ولا الجمود ، بل تلعب الفاظه أمامك وتتحرك ، فتجمع بين البنى والمعنى في آن واحد . وكلما اهتزت أمامك الألفاظ والجمل والاساليب والمعانى ، اهتزت معها خرك الكاتب بروحه المتحركة روحك ، ويدنه التأثر بدنك ، وبعقله المستشعر عقلك ، فأتممت كتابه وقد بلغت قمة التأثر والاهتزاز . فكان الكتاب هو الاعجاز ! . . .

* * *

فما بالك والمُؤلف « تركى الاصل » وموضوع التأليف بطل الأتراك القوال الفعال :
مصطفى كمال ؟ !

الموضوع نفسه يتقمص « مصطفى كمال » موضوع ثورة ، ووطنية ، ومعاصرة ،
وأقدام ، وبلافة ، وأهوال ، ودماء ، ووفاء . . ثم نجاح ! . .

تلك هي عناصر « اللذة » المتنقلة من قصص ، إلى سياسة ، إلى حرب ، إلى
مؤامرات ، إلى اصلاحات ، وقد جمعها كلها كتاب واحد جاءه أروع ما قرأت من
كتب هذا العام . . .

* * *

وطالما تناقشت أنا وصاحبى في موضوع طريف : أى العادة الجباررة العالمين الثلاثة
أشد عتواً وأكثر جبروتاً ؟ . . . موسوليني - أم هتلر - أم مصطفى كمال . . .
وقد تختدم المناقشة وقد يختلف الرأى ولكن البطل التركى كان دائماً في نهاية الأمر
يرفع رايته على هام زميليه ويظفر بالاجماع !

ان «موسوليني» زحف وسط دولة من الدرجة الأولى ، لا على جيش خارجي مسلح ، ولا على مؤامرات دولية متحالفة ضده ، وإنما على مجتمع محظم مهشم ، وعلى عمال عبثوا بالدولة فاستطاع أن يظفر بهم بسهولة . ثم ساعدته موارد بلاده وثقافتها وثروتها على الاصلاح . . .

و «هتلر» برب زين شعب متعلم ، متألم ، ووجد سواعد قوية تشد أزره ، وأمة فتية تحمى ظهره ، وأذهانا جبارة توشه وتغذيه فنجح . . .

نضال هذين الفحليين نضال هين في الواقع . ولكن نضال البطل التركي كان نضالا مع الدول بأسرها - فهو نضال ضد جيش وصل إلى الصimir من آخر مقاطعات تركيا ، نضال ضد حكومته وخليفته وسلطانه ، نضال ضد مؤامرات ودسائس أهلية ، نضال ضد الفقر والجوع والإفلاس والبؤس المقيم ، نضال ضد أصدقائه وأصحابه ضد الدنيا بأسرها في الداخل والخارج . . .

كان مطلوباً إليه أن يكون جندياً يحارب فعلاً في الميدان ، وقادداً يرسم الخطط وينظم الدفاع ثم الهجوم ، ومحصلاً يجمع الاعنان والأكتبات ، وخطيباً يؤثر في النواب والجماهير ، وكاتباً يدعم مبادئه بيراعه ، ودساساً يدفع بالمؤامرات والمناورات خطط السلطة والخلافة والحكومة ومنافسيه ، وتعلباً يراوغ ويهاطل حتى يظفر ، وتأثيراً متهمًا بعداوة الدين عند البسطاء ، لا داخل المملكة بل في العالم الإسلامي ، وسياسيًا يستطيع أن ينتصر في مناورات المؤتمرات : كل ذلك العباء الثقيل المختلف الوزن والنوع كان ملقي على عاتقه في أدق وأخطر موافق التاريخ . ومع ذلك صبر وجاله حتى ظفر ! . .

* * *

واستطاع زميلي القدير الاستاذ « محمد محمد توفيق » أن يرز كل هذه المواهب الرهيبة لا بقلمه وأسلوبه ، وإنما بأعصابه وشرائمه ودمه . فاستطاع أن يتم شمل كل ذلك الدور الخارق للعادة ، الذي قام بها المارد التركي في مدة وجية . ثم أخذ يحلل غريزته وسلبياته تحليلاً دقيقاً ، وأهمل الصفات المشتركة بينه وبين سائر الناس ، وأبرز الصفات الممتازة التي احتكرها الرجل العجيب : انظر إلى بطل الدردنيل كيف استقل برأسه ووسط الميدان ووسط النار ، فنفذ خطته على مسئوليته ، ولم يرجع لأمر القائد الألماني فنجح وسحق الانجليز ! انظر إليه كيف أنه في أوج عزة حكومة الاتحاديين

يعارضهم في الخطط وفي الاتجاه ولا يخشى بأسمهم المستفحل؟ انظر اليه كيف كان لا يخفي على الامان أنه يراهم مدحورين منهزمين، وكيف بلغت به الجرأة أن يناقش هندنبرج ولوندروف بل الامبراطور في المصير؟! هذا رجل جبار يحترم عقله وهو رجل فذ يعطى المثل الأعلى «للزعماء» عندما يكونون الرأى مغامرين بحياتهم، معتمدين فقط على عظمة «قوة اليقين» ..

وانت لا تقرأ في هذا المؤلف المئين قصص بطولة عسكرية رعاها الله وحياتها وباركها، وانما تقرأ «جهاد أمة» بأسرها، وتعجب كيف استطاع الجندي المتفوق أن يكون كاتباً متفوقاً، وسياسياً متفوقاً، وخطيباً متفوقاً، ومصلحاً اجتماعياً متفوقاً، وكيف استطاعت يد الرجل الحديدية أن تضع أناملها الرقيقة والصلبة والدقيقة على كل هذه النواحي فتبرز الداء، وتنزع الدواء، وتتضمن الشفاء . . .

إن الكتاب الذي بين يدي كتاب لذيد ولكنه يصلح جداً أن يكون مدرسة للزعماء الذين يصدرون حركة البعث والنشر في أوطنهم . فلئن نصحت للأطفال ، والفتىان والفتيات ، والرجال والنساء ، بقراءته مراراً وتكراراً ، فاني أنصح قبلهم « لزعمائنا » بالاستفادة مما جاء فيه . . .

11

ما أحوج ثقافتنا القومية ، وتربيتنا الوطنية ، ومدارسنا ومعاهدنا المصرية ، إلى مؤلفات من هذا الطراز : تنفتح الروح ، وتشحذ الهمم ، وتستفز النفوس ، وتشير الدم لتسري « الرجولة » في أبداننا وأذهاننا في وقت تقول فيه انتا ننشيء « وطنًا جديداً » . . .

اهنئ القراء قبل المؤلف بهذه التحفة الرائعة وارجو أن يكون صديقى وزميلى موقعاً مثل هذا التوفيق فى اختيار الموضوع فى مستقبل حياته الأدبية دائمًا ان شاء الله

فکری اباظہ
الحامی

مقدمة المؤلف

ترددت طويلاً قبل أن أصدر هذا الكتاب . ولعل السر في ذلك هو أنني رغبت في قراءة كل ما كتب أو روى عن « كمال أتاتورك » قبل أن أطبع صورته التي رسمتها له في أذهان القراء

وأنا في هذا الكتاب شخصيتان متاحرتان : شخصية « الرجل الجامعى » الذى يعتمد على أوثق المراجع والمصادر ويحاول أن يصيّبها في كتابه صباً ، وشخصية « الصحافي » ، أو « الأديب » ، أو « الفنان » - سمه ما شئت - الذى يروض نفسه على مقاومة النزعة الجامعية بشدة ، ولو أنه يبني على دراستها كل سطر يخطه في كتابه - حتى يقدم للناس دراسة وافية دقيقة بأسلوب عصرى سلس

وليس من شأنى في هذا الكتاب أن أسجل أعمال الجمهورية التركية باسهاب ، فهذا موضوع كتاب آخر سوف أصدره عما قريب . ولكنى هنا « رسام » .. . نعم « رسام » يرسم لوحة فنية لرجل من عظماء التاريخ

ويسرنى إذ أستعيد ذكرى دراساتي الطويلة ، أن أقدم فروض الشكر لكل من ساعدونى في إنجاز هذا العمل ، وأن أذكر في أول قائمة الشكر سيدة جليلة أعرف بفضلها على منذ الساعة التي فكرت فيها في كتابة هذا التاريخ ، وهي سليلة الامارة وذات القلب الكبير العميق ببيان شريفة صالح كورخان . ثم لا يفوتنى أن أحى ذكرى المرحوم الحاج عادل بك وزير داخلية تركيا سابقاً ، فقد كان له رحمة الله رحمة واسعة فضل كبير في إرشادى إلى أحسن المصادر . وكذلكأشكر شاعر تركيا الأكبر محمد عاكف بك والرجل الكبير رءوف بك الذى تفضل فأضاف إلى كتابى بعلوماته القيمة الثمينة ينبوعاً جديداً ، وأفضى إلى بما لم ينشر بعد من أسرار الحركة الوطنية التركية

محمد محمد توفيق

تصدير

ياله من رجل !

عظام وجه ناتئة . جبهة بارزة . حاجبان كثيفان أشعثان . عينان زرقاوان متألقتان كعيني الذئب ، فيها السحر ، والروعة ، والدهاء ، والقساوة ، والغدر وأعصاب من فولاذ ، وإرادة من حديد ، وروح من نار تارة وأخرى من جليد ، وصوت كالرصاص المصوب ، ونظر بعيد و قريب متوسط الطول ولكن يخيل إليك أنه جبار مرشد . خلق ليسود بالنار والحديد طريقه أشبار وأمتار . وجولاته يسکار يدار لا فرق عنده بين الميلاد والموت : الطفل يولد فيقذف به في خضم الحياة . والرجل يلبس ثياب الحرب فيقذف به في خط النار يجلس الى مكتبه كما يجلس الى خرائطه الحرية . ويسوق قومه الى المدينة كما يسوقهم الى ميادين القتال . وهو في كلتا الحالتين كتلة صماء من الحديد الجليد سيد مذ كان في الجيش فتيا :

حدثني أحد زملائه القدماء قال : « كنا جالسين ذات ليلة في قهوة « يونيون بار » بسلامي . وكنا نشرب الجمعة والعرق وتحدث في شؤون الثورة ووجوب خلع عبد الحميد . وكان في القاعة التي نجلس فيها فريق من قواد الجيش وكبار ضباطه . وبيننا نحن في أحديتنا وأسمارنا ، اذا بالباب يفتح ، وإذا بوجه غامض رهيب يطل علينا ، وإذا بصفق كمال يدخل القاعة فتسري علينا قشعريرة كتلك التي تسري فيك إذ ترى ثعبانا هائلا ينساب من بين أعشاب الغاب .. فصمتنا .. فدنا منا وجلس . ثم شرع يتحدث بصوته الرصاصي . فأرهفنا الآذان . وأقسم لقد أرهف كبار ضباطنا آذانهم أيضا ليسمعوا كلام هذا الشاب الذي يتحدرون المنطق من فمه كالرصاص المصوب « ولست أذكر فيم كان يتحدث . ولكنني أذكر أنني رأيت فيه منذ تلك الساعة الرعيم المنشود ! »

* * *

المنطق عنده مطرقة يهوى بها على كل شيء . . .

حدثنا هو في مذكرةاته قال : « كان جمال بك (باشا فيما بعد) قد حرر مقالة شرطت بدون توقيع في إحدى صحف سلانية . وكنا قد خرجنا معاً من دائرة عملنا وربنا الترام في طريقنا إلى نادي « أوليمبوس » . فهد جمال بك يده وناولني تلك الصحيفة قائلاً :

— هل قرأت هذه الافتتاحية ؟

— كلا ..

— اذن اقرأها ..

« وعندما أتمت قراءتها سألني عن رأي فيها فأجبته :

— افتتاحية عادية لصحف عادي ..

« فقال : ما هذا التغابي ؟ إنها افتتاحية بقلمى ..

« فأجبته : أرجو منك الصفح . ما كنت أعلم بذلك . وكنت أعني ألا يكون ذلك . ياكم يا جمال بك والسير في طريق اكتساب اعجاب بعض صغار الأحلام بأمثال هذا الأمر وأشباهه ، فإنه ليس لهذا العمل قيمة ولا قدر . عليكم أن تعنوا النظر في موقفنا الحاضر ، وعليكم أن توافقوني على أنه من الضروري على المرء أن يتضانى فيما هو سالكه من المذاهب . أما إذا تنازلتم إلى استمداد القوة من رضا هذا وإعجاب ذلك ، فلا أدرى ماذا تكون حالكم ، وإنما أؤكد لكم أن مستقبلكم لن يقوم على أساس متين ، لأن أمامنا عالماً واسعاً لم نصطدم فيه بعد بالحوادث . وفي هذا العالم كثيرون متسبعون بخيالات لم تتضح بعد . العلة هي أن تسير في طريقك دون أن تلتفت إلى أحد ، دون أن تلتجأ إلى أ Gowاء أحد . ضع نصب عينيك الكمال الذي تطلبه البلاد ، وسد سهام جهودك نحو المهد غير هيبة ولا وجل . وسوف يعرض سبيلك أناس يحاولون صدك عن غاياتك ، فكن معهم شديد البأس صلب العزيمة في موقفك إذ ذلك ، وذلل هذه العقبات وأنت مؤمن بأنك ضعيف ، عاجز ، صغير ، يائس من معونة أي إنسان ، لا على اعتقاد منك بأنك كبير تستطيع اتيان عظائم الأمور . فإذا قيل لك بعد كل ذلك : أنت عظيم .. فاسخر بما يقولون .. »

* * *

عملى . بارد . قبل أن يكون خيالياً متحمساً :

روى عنه أحد ضباط الترك القصة التالية : « كان ذلك وحرب البلقان في إبانها ، إذ بُرِزَ كَالٌ إلى ميدان القتال متظيماً جواده ، فرأى زميلاً له يقفز بجوابه فوق المرتفعات قفزاً . . فناداه :

— إلى أين ؟

— إلى خط النار . .

— لماذا ؟

— لقد صدر إلى الأمر بالتوجه في مهمة سرية خطيرة

— هل أنت مجنون ؟

— لماذا ؟

— أذهب إلى خط النار وأنت عالم أنك ميت مائة في المائة ؟

— وماذا عساي أن أفعل . ؟ انه أمر عسكري ، وما على الجندي الا الطاعة

« فصاح مصطفى كمال :

— أنا لا أفهم الاوامر العسكرية التي من هذا الطراز ، ولا أسمح بتلك المهازل

مثل أماني . .

« ثم عاد مسرعاً إلى خيمة القيادة العليا ودخل على القائد وهو لا يكاد يتمالك نفسه من فرط الغضب ، وبعد بعض دقائق خرج من عنده وقد ألغى (الأمر الجنوني) على حد تعبيره . . »

* * *

كان رجال الاتحاد والترقي لا يطيعونه . ولكنهم - لفرط اعجابهم به - كانوا يستشرونـه في جلائل الأمور استمع إليه إذ يحدثـكـ عن علاقـتهـ - وهو الضابـط النـاشـيءـ - بـطلـعـتـ باـشاـ الصـدر الأـعظـمـ :

« ما أـنـكـ حـظـكـ يا طـلـعـتـ باـشاـ . . عـنـدـمـاـ نـىـ إـلـىـ أـنـهـ قـتـلـ فـيـ أـزـقـةـ بـرـلـيـنـ بـرـصـاصـةـ شـقـ منـ أـشـقـاءـ الـأـرـمـنـ تـأـثـرـ أـيـمـاـ تـأـثـرـ . . قـدـ زـرـتـهـ ذـاتـ يـومـ منـ أـيـامـ تـرـبـعـهـ فـيـ منـصـبـ الصـدارـةـ العـظـمىـ فـيـ دـيـوـانـ صـدارـتـهـ ، وـتـجـاذـبـتـ مـعـهـ اـطـرافـ الـحـدـيـثـ فـيـ مـسـأـلةـ حـيـوـيـةـ ، وـكـانـ هـوـ عـلـىـ اـعـتـقـادـ بـأـنـهـ تـكـنـ - بـأـجـوـبـتـهـ الدـبـلـوـمـاسـيـةـ - مـنـ اـقـنـاعـىـ بـطـرـيـقـةـ الـتـهـبـ السـيـاسـىـ ، بـلـ اـنـهـ أـظـهـرـ اـغـبـاطـهـ بـهـذـهـ الـحـادـثـةـ عـنـدـمـاـ تـقـابـلـ مـعـ أـحـدـ اـصـدـقـائـىـ

المتصلين بي - وذلك بعد ساعة من مقابلتنا ، غير انه لم يمض على هذه الحادثة يومان حتى وقع في مشكلة سدت عليه منافذ التدبير ، فاستدعاني إلى منزله في منتصف الليل ملتمسا ان أمدده بالرأي والنصائح . وقد كان صديقى الذى نقل إلى اغتباط الصدر الأعظم حاضراً في مجلسه في تلك الليلة . فاكتفيت إذ ذاك بقولى :

— انكم تسؤالونى الآن أن ابدى لكم رأى . ولكنني أرجو العذر إن أنا احجمت عن ذلك ، لأننى سبق أن عرضت عليكم رأى الخاص فى مسألة حيوية منذ ثلاثة أيام فقط ، فتهربتم سياسيا وظنتم أنكم تمكنتم بهذه الطريقة من اقناعى . . . وقد أظهرتم سروزكم وقتئذ من هذه النتيجة التي وصلتم إليها . . .

« قال لي : لم يحصل ذلك . . .

« فأجبت : الشخص الذى افضيتم اليه يمكنون قلبكم جالس الآن بجانبكم . . . »

* * *

آمن الناس بزعامته قبل أن تتح له الزعامة :

فهذا شاب تركي متخصص يدعى « يعقوب جميل » ، ركب رأسه ذات يوم وعول على الفتاح باعضاً الوزارة القائمة « لأن الدين نحسبهم كباراً ظهر أنهم صغار جداً ، وأن سلامة الوطن لتقضى باعدامهم جميعاً . . . وسأفعل ذلك ! »

فلا سأله بعض أصدقائه من العتدلين :

— إن القتل سهل . ولكن من الذى يصلح للحكم بعد ذلك ؟

أجاب :

— مصطفى كمال . . .

ثم راح يسعى إلى الآستانة وفي منطقته المدس . ولكن قبض عليه وسيق إلى جبل المشنقة قبل أن يصل إلى ماربه . . .

ولما بلغ بناً اعدامه مصطفى كمال - وكان اذ ذاك قائداً في منطقة ديار بكر قال :

« لقد شنق يعقوب جميل . والسبب في ذلك قوله إنه لا سبيل إلى النجاة مالم تسند وزارة الحربية ووكالة القيادة العامة لمصطفى كمال . فلو فرضنا أن هذا الرجل فاز بأمنيته، وسمعت أنا أن يعقوب جميل شق عصا الطامة في الآستانة لهذا الغرض ونجح في مسعاه: أكنت تظن اتنى اتازل لقبول المنصب؟ . . . نعم اتنى لا أتردد في قبول الحالة كما هي، ولكن بشرط : هو الذهاب إلى الآستانة وتوقيع الجزاء على يعقوب جميل . . فانى

لا اعتبر نفسي رجلا إن أنا وصلت إلى كرسى الرئاسة بتوصية من ذلك الرجل
وأمثاله ! !)

* * *

إذا آمن بفساد شيء بتره لم يعمد إلى اصلاحه
عين ذات مرة في صحبة ولـى العهد « وحيد الدين » في زيارته للميدان الغربي .
ولم يكـد يدخل عليه لأول مرة ويراه ناعس العينين بادي الغباء حتى قال :
« وأعترف أني شعرت في الحال بأني واقف وجهاً لوجه مع شخص مذوب ..
« وخرجنا بعد السلام . وكنا في عربة خفمة من عربات السراي . واذكر انه
دار بيني وبين ناجي باشا الحديث التالي :
« قلت : انه لمسكين سوء الحظ جدير بالشفقة . ما الذي ينتظر من هؤلاء ؟
« هو ما تقول . . .
« سيكون هذا المسكين في الغد سلطانا . . فماذا ينتظر منه ؟
« لا شيء . . .
« ونحن الذين أوتينا عقلا وإدراكا وفهمنا حالة البلاد وما تخبئه لها الأيام والأقدار ،
ما الذي نستطيع أن نعمله ؟ . . .
« أمر عسير . . . !

يد أن الأمر لم يكن عسيراً على مصطفى كمال كما سترى في هذا الكتاب

* * *

متكبر كالشيطان . ولكن كبراءه قائمة على اعتقاد بالنفس
كأن هو ووحيد الدين وناجي باشا في المانيا . وفي ذات ليلة دخل عليهم الامبراطور
الجبار ، ودار بينه وبين وحيد الدين حديث خرج منه الامبراطور بأن مصطفى كمال
أقعـع ولـى العهد بأن المانيا لا شـك مـهزـمة . . فثارت ثـائـرـته وقام ليخرج . .
قال مصطفى كمال : « ومشى الامبراطور نحو بـاب القـاعـة . فـقـمـناـنـحنـوـوحـيدـالـدـينـ
نشـيعـهـحتـىـخـارـجـالـبـابـ . وـكـانـ الـامـبرـاطـورـ يـتـجـهـ نـحـوـمـرـ عـلـىـ الـيـسـارـ . وـلـاـ كـنـتـ
أـدـرـكـتـ أـنـىـ لـمـ أـنـلـ حـظـوةـ فـيـ نـفـسـ الـامـبرـاطـورـ ، قـدـ وـقـفتـ بـعـدـاـ مـنـ الـمـرـ المـعـكـوسـ .
فـصـافـحـ الـامـبرـاطـورـ ولـىـ العـهـدـ ، ثـمـ نـاجـيـ باـشـاـ الـذـيـ كـانـ عـلـىـ مـقـرـبةـ مـنـهـ ، وـبـعـدـ أـنـ
نـظـرـ إـلـىـ سـارـ قـلـيلـاـ فـيـ اـسـتـقـامـةـ الـمـرـ

« لم يكن قد صاخني بعد . وقد كان محفاً فيها فعله ، إذ هل من العقول أن يسعى بنفسه إلى جنرال رافق ولـى العهد ليصافحه ، أم أن على الجنرال أن يتهاـفـت مسرعاً في التقرب من الأـمـبرـاطـور لـينـال شـرـف مـصـاـفـته ؟ وـانـي اـعـتـرـف بـهـذـا الـخـطـأ . ولا أـدـرـى مـاـذا وـقـتـ إـذـ ذـاكـ مـوـقـعاـ سـاـكـناـ يـنـمـ عـلـىـ النـهـول ! . ولـكـنـ الأـمـبرـاطـور بـعـدـ أـنـ خـطاـ خطـوتـينـ أوـ ثـلـاثـاتـ دـنـاـ مـنـيـ وـقـالـ : « عـفـواً . . . لمـ أـصـاـفـكـمـ بـعـدـ ! »

* * *

منطقه العسكري لایچاری :

في ذات ليلة وقف مع هندبرج في صالة مجاورة لقاعة الطعام حيث أقام الامبراطور ولية لولى العهد . قال هندبرج بصوته الرصادي المعهود : « ما سأحدثكم به قد يكون مخالفًا للتقارير التي تصلكم . ولكن يمكنكم أن تعتقدوا أنها الحقيقة بلا مراء . إن الحال في سوريا لم تصاح بعد (وأخذ يشرح لهحقيقة الحال في سوريا) . ثم إن لي سؤالاً يا جناب الماريشال : اتّم اليوم تقومون بهجوم عام . ولا أظن انكم على ثقة تامة من النتيجة . والا فهل تخبرونني عن الغاية والمهدفالذين تؤمنون في الوصول اليهما ؟ » فصمت هندبرج صمت ألم المول ..

وهنا يقول مصطفى كمال : « ولكن هل يجيئي هذا الجندي العظيم المختوم عن هذا السؤال ؟ أما كان الأخرى ألا أنتظر ذلك منه ؟ »

« وقد أظهر الماريشال أنه مصنوع لأقوالى بانتباه شديد . . ثم أجابنى إجابة بسيطة تطفع بروح المرح . . فقد تقدم إلى منضدة صغيرة في وسط الصالة عليها أنواع شتى من لفائف التبغ ، فتناول إحداها قائلاً :

-

« هل أستطيع أن أقدم لكم لفافة من هذه يا صاحب السعادة؟

« كان الماريشال بهذه الجملة قد أجاب عن كل سؤال . فتقدمنا إلى المضادة حيث قدم لي بيده لفافة من اللافافات . ويظهر أن الإمبراطور كان مهتماً بما كان دائراً بيننا من الحديث ، فسأل الماريشال بالألمانية : « ماذا يقول ؟ »

« فأجاب هندبرج : بعض اشياء . . . »

فإذا ما انقضت سنوات الحرب العظمى وجلس هندنبرج إلى مذكرة يكتبهَا ، قال في معرض الكلام عن المجموع الذي سأله عنه مصطفى كمال : إنه كان هجوماً موضعياً

لا يرجى منه خير إلا تحريرك فرق الجيش والتغلب على السام واليأس الذي أصابها
من جراء القام الطويل في عالم الخنادق !
وقد نسى الماريشال العظيم ان يذكر كلاما في مذكراته . . .

* * *

اغتر العالم كله بكلام ويلسون المسعول . اما هو فقد ابتسם له ساخراً عندما
تراجع بجيشه من الجبهة السورية وخط حدود بلاده امام الانجليز بحد سيفه
اسمعه يقول عن ويلسون إذ ذاك :

« رحمةك يا ويلسون . . . كأنك لم تدرك أن الحدود التي لا يدافع عنها السيف
او القوة او الشرف او العزة ، لا يمكن الدفاع عنها بأية نظرية اخرى ! »

* * *

اليأس يتخد سبيلا إلى قلوب الناس . اما هو فهو يقنط !
كان في ابان حرب الاستقلال مقاوماً وحده في اقرة . . . فقد ذهب نواب المجلس
الوطني الكبير إلى استانبول رغم نصائحه المتكررة بعدم مغادرة اقرة . واحتل الانجليز
العاصمة . وألف الخليفة جيشاً عرماً للقضاء على الحركة الوطنية . وصدرت فتوى
تعبر كلاماً مارقاً وتبيح دمه . . .

في تلك الايام السود دخل عليه موكب أسود من نساء اقرة . . .
وهتفت النساء مولولات :

« ماذا تصنع هنا ايها الرجل الذي يمثل لنا عزrael على وجه البسيطة ؟ هل
ما زلت مصمماً على الحرب لتدفع بأبنائنا وأفلاذ اكبادنا إلى الموت ؟ ! ألم يكن هذا
السود الذي نلبسه ، فتحاول ان تقلب بلادنا مائتاً أو مناحة ؟ كفى كفى . . . واذهب
إلى حيث يطيب لك المقام . . . اما هنا فقد سئمنا الحرب وسئمنا المآتم . . .
وخرج الموكب الاسود مولولا صاححاً . . . وبقى الذئب الزعيم وحده . . .
فهل أصاخ السمع إلى ولوة الامهات الثاكلات ؟
كلا . . . انه ظل يتحدى القدر ويغالب القنوط ، حتى ظفر !

* * *

صارم الى أقصى حدود الصرامة :
أخطأ أحد الوزراء في حضرته مرة واحدة ، فصاح في وجهه : « وأسفاه ! .

كنت احسبك إنساناً ، أما الآن فقد سقطت من نظرى كانسان »
ومنذ تلك الساعة أقصى الوزير عن مناصب الدولة

خطوط سبعة تطلعنا على حقيقته :

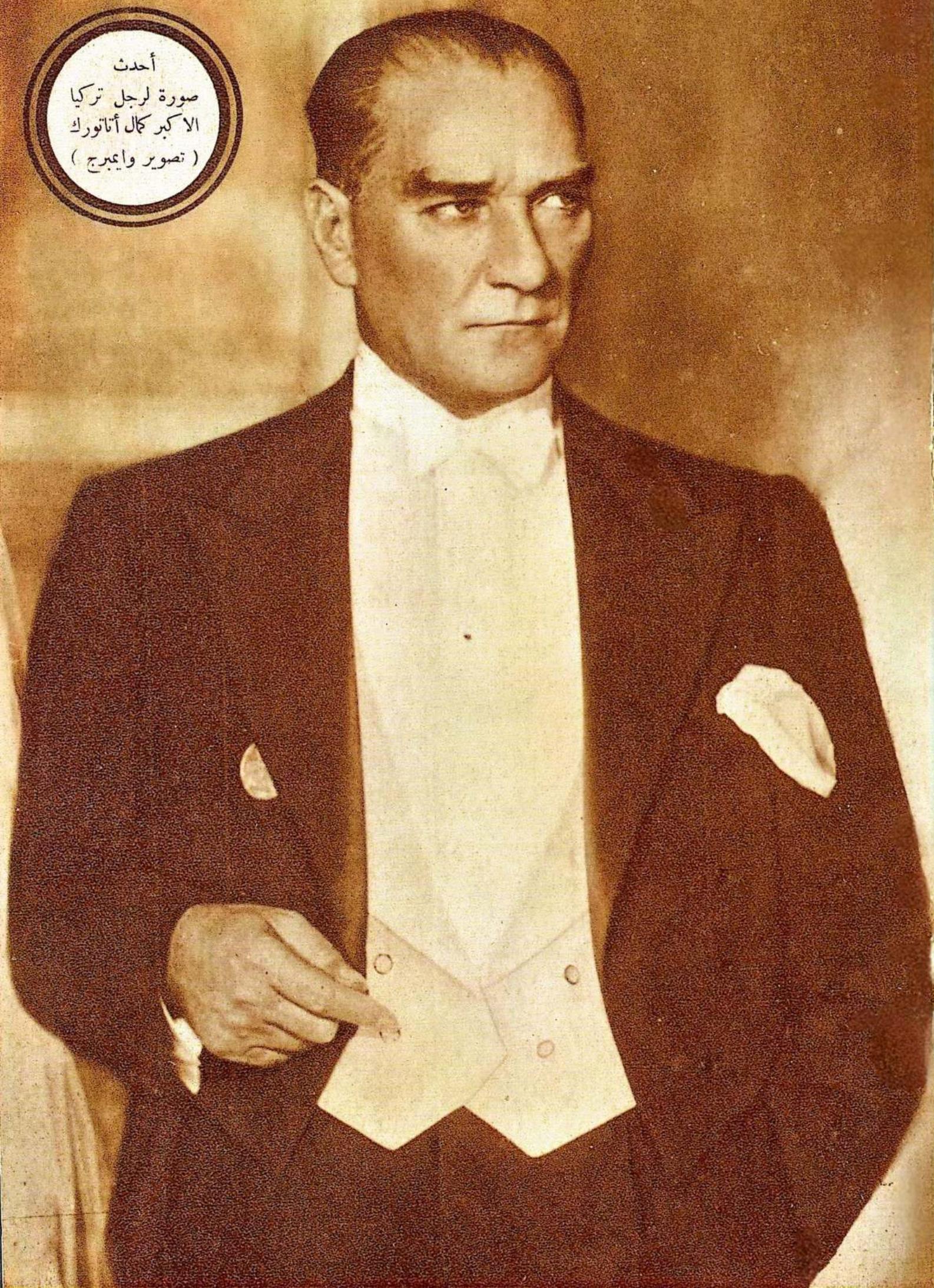
فالخط الأول يبدأ حيث تستعر نار الحروب ، ثم يتدفق عالم السياسة والاقتصاد
إلى مدى الأفق البعيد
والخط الثاني يبدأ حيث تبدأ حدود تركيا ، وينتهي إلى حدودها الأخرى ،
 فهو « تركي » ، وتركي وحسب
والخط الثالث يبدأ حيث يظهر عجز الشرق عن المتنى مع المدينة الغربية القائمة
على حق القوة والسلاح ، وينتهي إلى أرق ما أبدع العقل الغربي من اختراعات
وخطط جهنمية وغير جهنمية
والخط الرابع يبدأ حيث ترين التقاليد العتيقة على الحركات القومية ، وينتهي
إلى المدينة التي تتجدد وتلبس لكل يوم لبوسه
والخط الخامس يبدأ حيث الديموقراطية الصحيحة ، ولا ينتهي إلى الدكتورية
بل يتراوح بين الديموقراطية « ودكتورية الفكرة » أو « دكتورية الشخصية »
والخط السادس هو خط الخنز ، والتوجس والحساب الدقيق ، وتحين الفرصة
المواتية للقيام بأى عمل من الأعمال

والخط السابع قد يبتعد بكمال في عرف الكثرين عن عالم التقى والورع ،
ولكن هذا الابتعاد ، في رأي ، ساهم إلى حد كبير في تكوين شخصيته الكبيرة ،
فدنيا القرن العشرين ليست دنيا الأخلاق الفاضلة وحسب ، بل دنيا الأخلاق غير
الفضيلة أيضاً .. ولو أن كمالاً كان « فاضلاً » و « ورعاً » و « تقىً » لأصبح في
نظر الآتراك « وليناً » من أولياء الله الصالحين ، ولما استطاع ان يسوق شعبه في « دنيا
القرن العشرين » بخيراًها وشرها

وبعد ..

هاكم « كمال اتاتورك » كما اعرفه ، وعلى ضوء هذه الخطوط اunsch لقرائي ان
يدرسوا حياة هذا الرجل الكبير

أحدث
صورة لرجل تركيا
الاكبر كالأتاتورك
(تصوير وايبرج)



أمومة .. وشباب ..

« زيده » أم كمال
اناتورك، والمرأة الوحيدة
التي كانت حياتها الخيط
الوحيد الذي يربط كمالا
بالبشر وعواطف البشر
(تصوير واينبرج)



صورة تاريخية نادرة لمصطفى كمال ابن حرب طرابلس ، وتراه وقد طالت
حياته واقترب ذئباً من ذئب الصحراء (تصوير واينبرج)



صورة لعلها أغرب صور كمال أتاتورك ، وتراء فيها علابس تركية قديمة في إحدى
الخلفات التذكرة التي دعى إليها وهو ملحق عسكري بسفارة تركية في صوفيا
(تصوير وايبرج) .

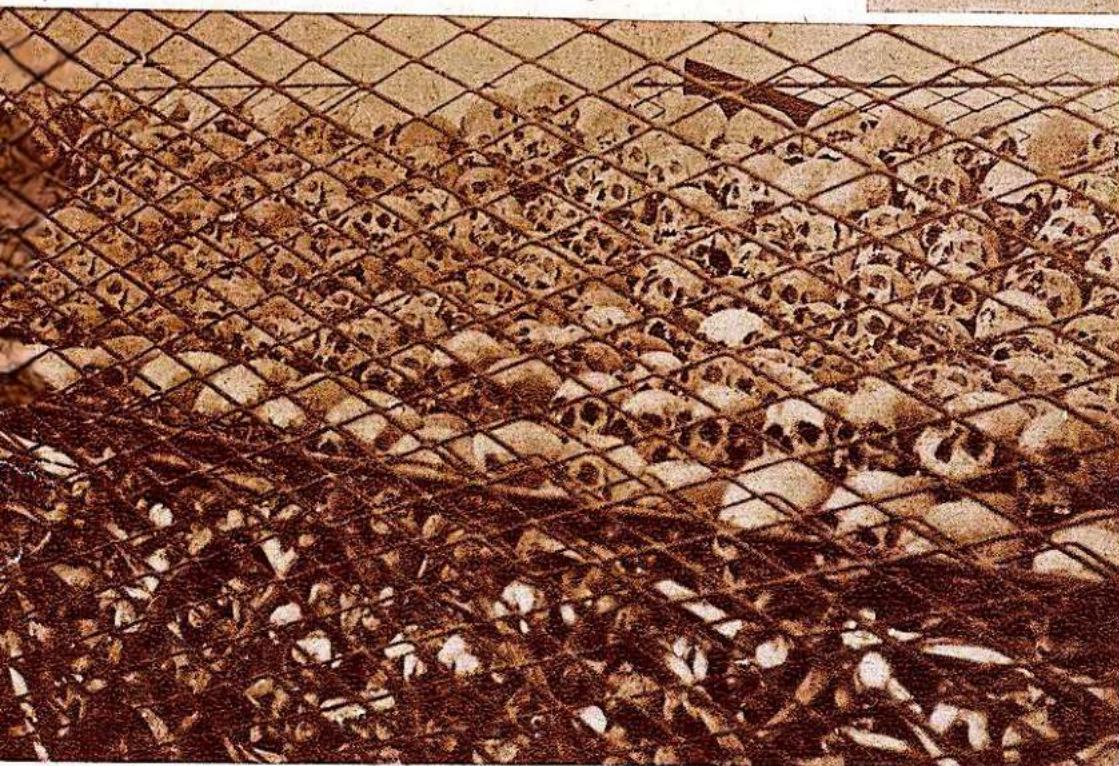
بطل الحرب العظيم



الذئب واقف على راية مشرفة على معركة الدردنيل ، ولملك توافقى على أنه هنا «بشر فوق البشر» (تصوير وايبرج)

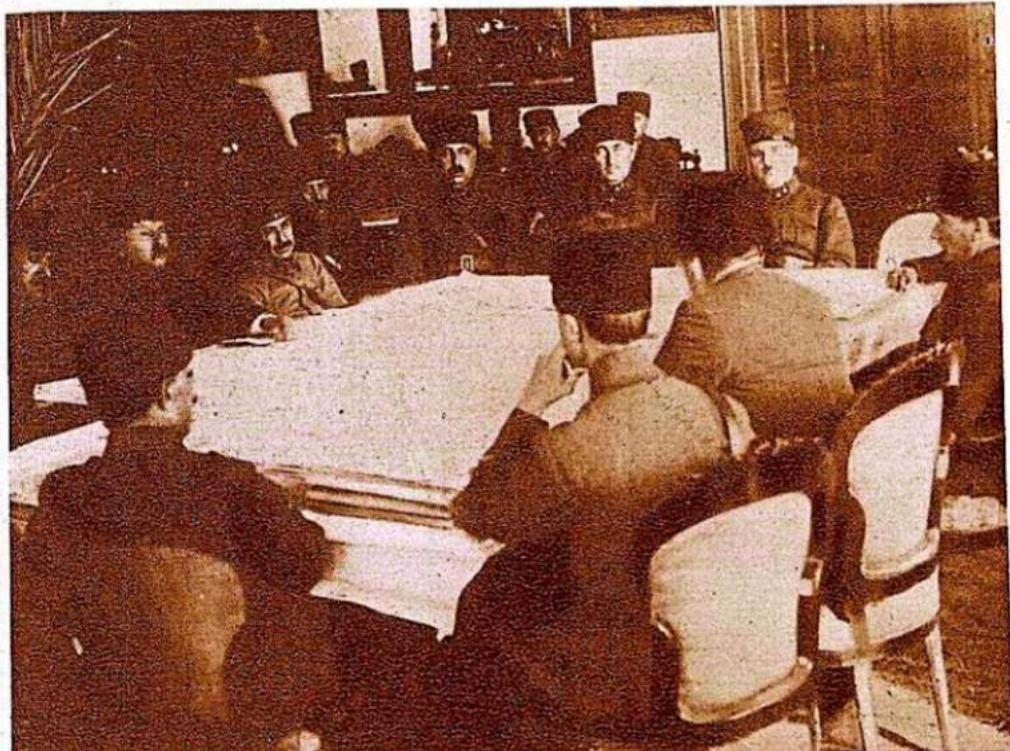


توءما الحرب والسياسة:
كمال ااتورك وعصمت
ایتونو في جبهة القوقاز
(تصوير وايبرج)



هذه كمية سيطرة من جنود
الإنجليز والمستراليين
الذين قتلوا في معركة
الدردنيل وضعت هكذا
لكرتها .. وهي لاتزال
هكذا إلى الآن ..
(تصوير وايبرج)

بطل حرب الاستقلال



أول مجلس عسكري عقد
في أزمير برئاسة مصطفى
كمال عقب طرد اليونان
منها مباشرة . . .
(تصوير وايمبرج)

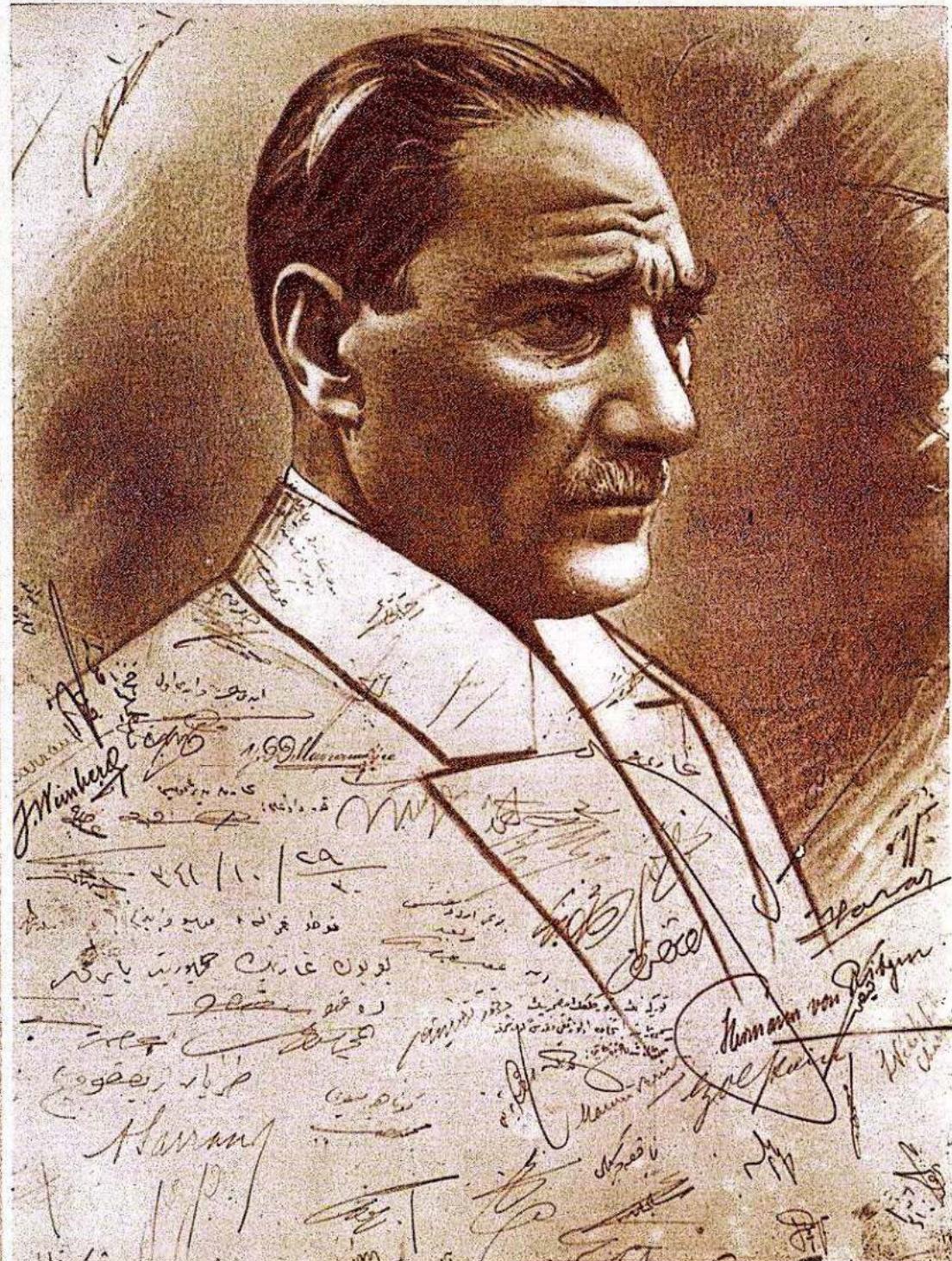
ذئب افقره هو وزوجته
لطيفة هام وأركان حربه
في معركة « دملوبونار »
(تصوير وايمبرج)





الصورة الورقية التي تمثل مصطفى
كمال هو وزوجته لطيفة هانم في
وضع هو أقرب ما يكونه إلى
أوضاع صور العرس ..
(تصوير وايبرج)

ذئب انقرة وامضاؤه ..



هنا يتجلّى الذئب بوجهه
الضامر وعيّنه المتألقين ..
وتُرى تحت رسّمه توقيعات
اعظم رجال تركيا ، وبينها
توقيع كمال نفسه ، وذلك
مناسبة عيد الجمهورية الاول
(تصوير وايبرج)

توقيع تاريخي نادر للغازى
مصطفى كمال بالحرف العرية
(تصوير وايبرج)

Cumhuriyetin 10uncu yılinda

Kurtuluş ve inkılabımızın ilk
10 saatliğine "Hakimiyeti Milliye"
F. M. Kemal

F. M. Kemal

جملة بخط كمال اتاتورك
وتحتها توقيعه ، وقد
كتبها بالحرف اللاتينية
الجديدة
(تصوير وايبرج)



رؤس

عارية، وبالقلب ، والقبعة ..
(تصوير وايبرج)



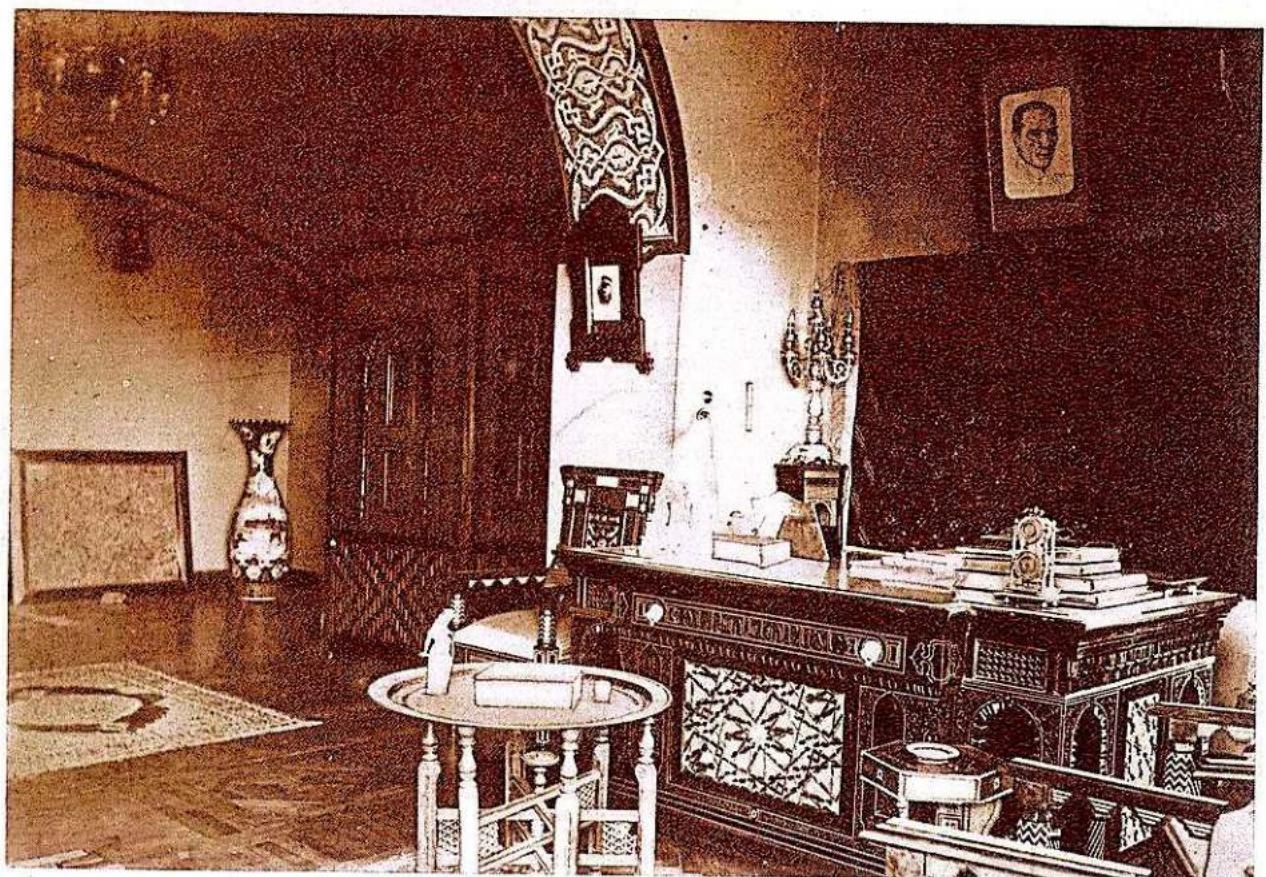
في مهنة الادارة
ادارة المهن
الفنية المقدمة
للسنة الأولى
نسبة الفنانيين
فيها الفاضل الدافع
والراضي
والراضي
والراضي
والراضي
(صورة واعبر)

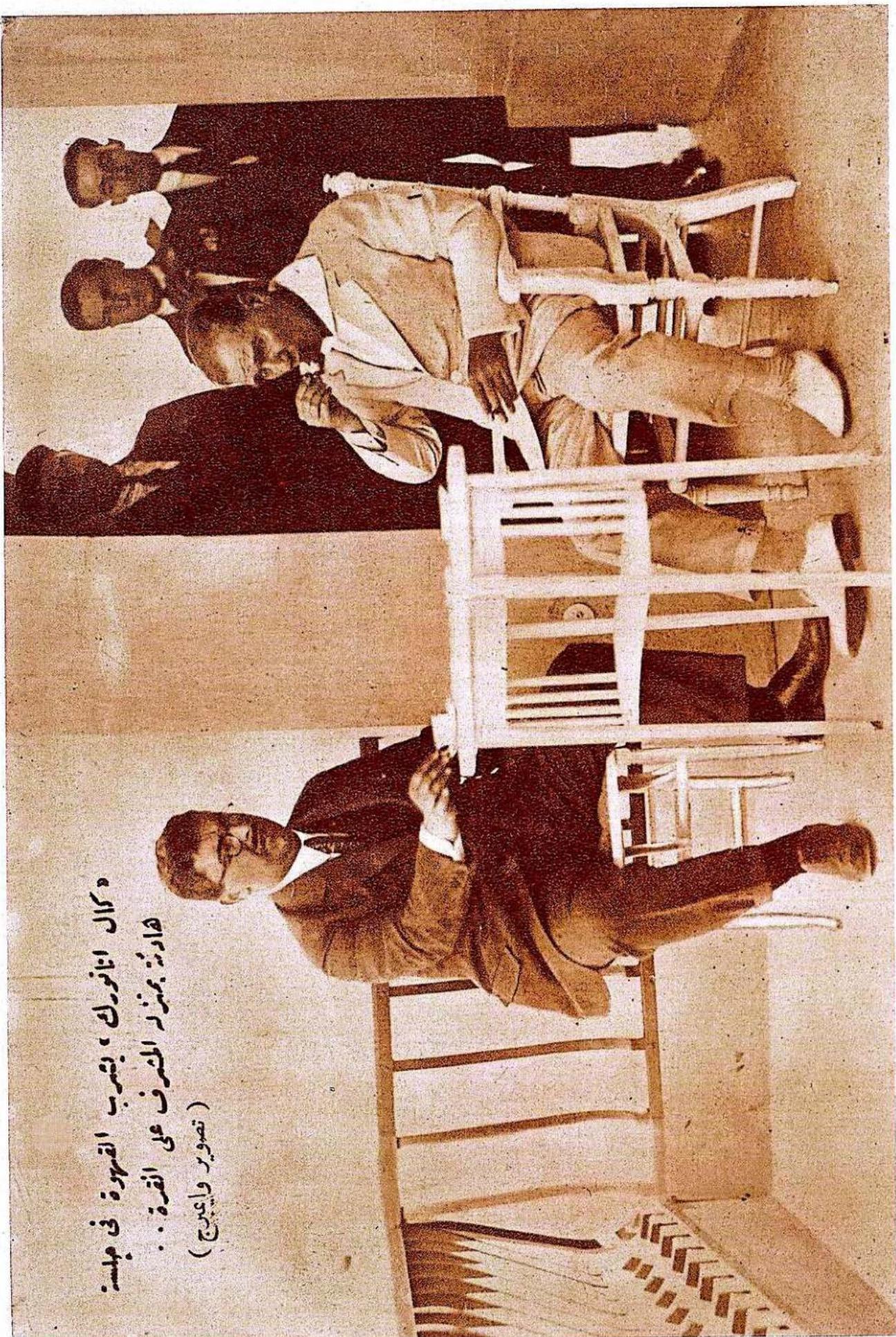
مع أتاتورك في منزله الخاص



كان يشرب القهوة ويدخن في
ساعة من ساعات الفراغ ، وإذا
يهدى قهقهة إليه بأمر من أمراء
الدولة الخطرة ...
(تصوير وايبرج)

منظر عام لمكتب كمال أتاتورك
في منزله بباهرة ، وترى الآثار
مصنوعا على الطراز العربي الجميل
(تصوير وايبرج)





«كال أناورك، يصرّب القمره في مدهن
هادئ بمذكرة الشرف على النهرة .
(تصوير ولادينج)»



كمال امانورك يتناول طعامه على مائدة غاية في البساطة ..
(تصوير وايبرج)

ثالث الحرب والسياسة

«عصيت أينونو» رجل الحرب
والسياسي رئيس الوزارة التركية ،
والرجل الذي لا يتكلم ولكن يعمل ..
(تصوير وايبرج)



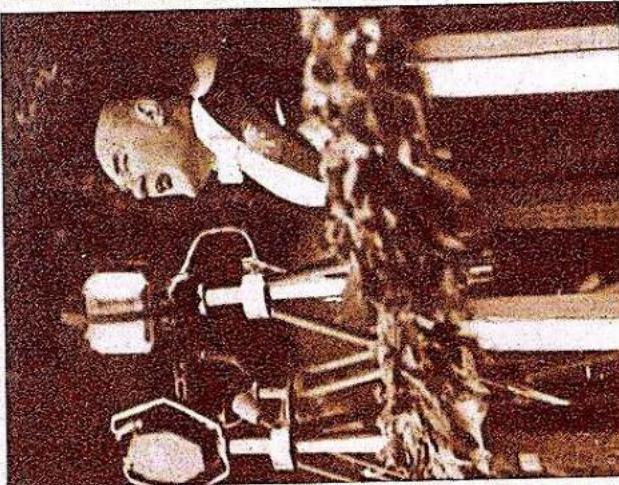
«رشدي آراسى» وزير الخارجية ، وداهية السياسة
(تصوير وايبرج)

«فوزي» رئيس اركان حرب الجيش
التركي ، والرجل الذي يعرف ارض بلاده
شبراً شبراً .. (تصوير وايبرج)



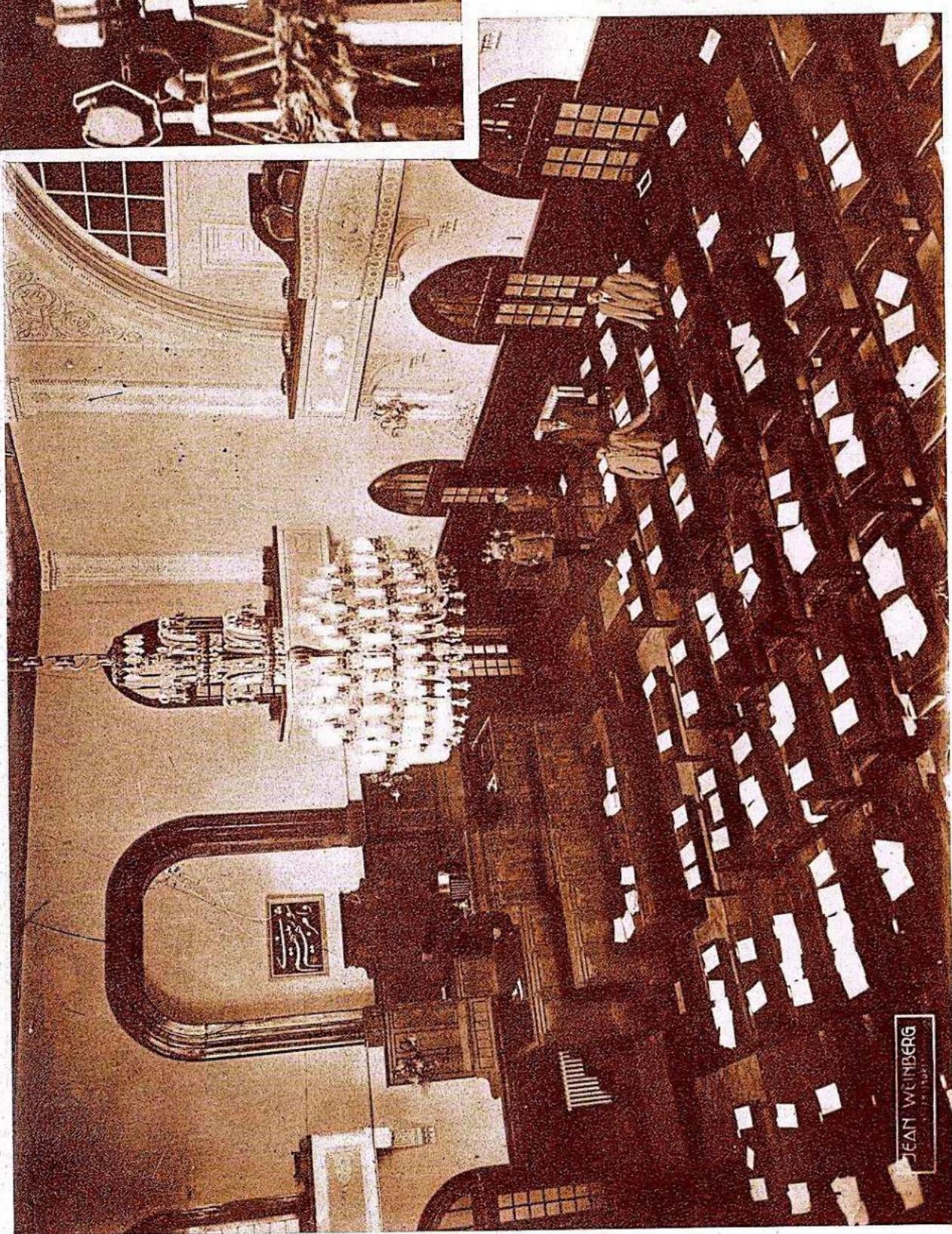


(تخته) رئاستی پروردگاری معاشر چشمی از این جماعت همکنی و پیوستگی دارد که نیز برای این اولین باره از



المجلس الوطني الكبير
في القبة . ورى في
أعلى الصورة منظراً
هذا ياماً رائعاً لكمال
انتهائه

(تصوير وايبرج)



JEAN WIINBERG
1902-1982



كالأنور يستقبل
شاه العجم رضا ماه
برهوي ، ونرى على
وجهي الذهاب
ابتسامة الرور والضحكة
(تصوير وايبرج)



الذئب أمام السبورة
وزاه يكتب الحروف
المزيدة ويعلمها
للمواهير إبان التحول
من الحروف العربية
إلى الحروف المذهبية
(تصوير وايبرج)

الكتاب الأول

سلطنت هنمار

« إنه صابط بارع . . . إنه زعيم ! »

لجمانه فوده ساندرس

سنة ١٩١٥

طفل متهد

سلانيك في سنة ١٨٨٠

على رضا أفندي رجل رقيق الحال يقوم بعمل كتابي صغير في الجمرك وزوجته « زبيدة » تمثل المرأة التركية إذ ذاك أصدق تمثيل ، فهي لا تعرف من العالم إلا منزلها وطفلها الصغير « مصطفى » ، ولا تعرف من شئون السياسة والحكم إلا أن الخليفة هو ظل الله في الأرض ، وإن له قوة سبعة من الأولياء !

ويمر السنون ، ويشب مصطفى عن الطوق ، فيلحقه أبوه بمدرسة صغيرة ملحقة بمسجد سلانيك ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم يلحقه بمدرسة أخرى كان يديرها أحد الشيوخ ليحفظ القرآن ويخرج فيها مقرأة من مشاهير المقرئين !

وبعد بضع سنوات يترك على رضا أفندي وظيفته في الجمرك ويشتغل بالتجارة ، فتسوء حالته ويوشك على الإفلاس ، ولا يتحمل جسده المضني تلك الصدمة القاسية فيموت قبل أوانه ، وتنقل أرملته بعده إلى قرية بجوار سلانيك

وهناك فوق نجاد القرية ووهادها يقفي مصطفى جانباً من طفولته في اللعب والله ورعى الغنم ، ويکاد يصبح هملاً بين الشبان ، لو لا أن ترأف خالته بحاله فتأخذ على عاتقها أمر تعليمه وترسله إلى مدرسة في سلانيك

ويبدأ مصطفى دروسه ويحن إلى رعي الغنم في القرية ، فيفتر من عصا الشيخ التي لا ترحم ، ويعود إلى أمه وخالته وقد صمم على بذ المدرسة ، إلا أن تكون مدرسة حرية !

وبعد لأى تقاد أمه لعناده ، ويوفده أحد ذوى قرباه إلى المدرسة الحرية بسلامنیك ولا يکاد مصطفى يلبس الملابس العسكرية حتى يتقمصه روح جديد : روح الجندي الذي يهوى الصدام ويجد مثله الأعلى في خوض غمار الحروب والموت تحت ظلال السيف . ويحبه أستاذته لذكائه وتفوقه على أقرانه في الفنون العسكرية والعلوم الرياضية ، ويدعيون عنه تفوقه هذا فيشار إليه بالبنان كلاماً من في طرقات سلانيك ، حتى لقد روى المؤرخ « شليكلين » * عن صديقه توفيق بك انه قال : « كنت أسير مع أبي في طرقات المدينة ، فإذا رأينا مصطفى كمال أشار إليه أبي وقل لي : أترى هذا

* Angora : L'Aube de la Turquie Nouvelle M. J. Schliklin

الفق؟ سيكون له شأن أى شأن في بلادنا العثمانية » . . .

وفي السابعة عشرة من عمره يتم مصطفى كمال دراسته في مدرسة سلانيك ، فيلحق بمدرسة أرقى منها في موناستير ، وهناك يتجلب نبوغه في أروع مظاهره ، فإذا أقبلت العطلة الصيفية يعود إلى سلانيك حيث يعكف على دراسة الآداب الفرنسية ، ويقرأ لفولتير وجان جاك روسو وفيكتور هوغو وغيرهم من أئمة الكتاب ، ويحرر المقالات الجماحية وينظم القصائد النارية في الحرية والعدالة والمساواة ووجوب التحرر من نير الأجانب وعسف الخليفة عبد الحميد

ثم توقفه إدارة المدرسة إلى استانبول ليتحقق بمدرستها الحرية العليا ، وتذكره في تقريرها عنه بالخير وتحذر صلابة عوده وعقريته . فيذهب إلى استانبول حيث يتم دراسته العليا في سنة ١٩٠٥ . ثم يلتحق بمدرسة أركان الحرب ليخرج فيها ضابطاً كبيراً

ليسقط عبد الحميد !

ثلاثة أعوام بقيت للطاغية عبد الحميد . . .

الضباط الملحقون بمدرسة أركان الحرب ساخطون متذمرون ، والثورة يوشك أن يندلع لها . . .

ضباط مدرسة أركان الحرب يجتمعون ذات يوم ويقررون تأليف جمعية ثورية تدعى « جمعية الوطن » . ويكون مصطفى كمال على رأس هؤلاء التائرين ويعمل الجمعية في الخفاء بضعة أيام حتى يكتشف الجواسيس أمرها ويرفعوا به تقريراً مسرياً إلى عبد الحميد . فتشعر ثائرته ويقول : « حتى الضباط الذين غمرتهم بفضلي وأحساني . . . » ثم يصدر أمره بتشتيت أعضاء الجمعية ، فيذهب اسماعيل حقي باشا مدير الادارة العسكرية إلى المدرسة ويحاول عبثاً أن يتم أحداً دون غيره بالتأمر على نظام الدولة ، فهم جميعاً أعضاء في الجمعية الثورية دون أن يثبت عليهم شيء . وأخيراً يصدر أمره إلى مدير المدرسة بالعمل على القضاء على تلك الجمعية الخطيرة . . .

ولكن هل يقف الأمر عند هذا الحد ؟

كلا ! فان الاعضاء يقدون اجتماعهم في الخارج ، ومصطفى كمال يدير تلك الاجتئات بدقة تبرهن على تضلعه في الحركات الثورية والعمل من خلف الستار .

اما في أوقات الفراغ فهو يحرر صحفة الجمعية بقلم من نار ..

وأخيراً يضيق عبد الحميد ذرعاً بضباطه المتمردين ، فيصدر أمره بالقبض عليهم في حالة التلبس بالجريمة ، وسرعان ما يدهم الجنود مقر الجمعية ويحملون أعضاءها -

وفي مقدمتهم مصطفى كمال - إلى السجن حيث يظلون بضعة أسبوع ثم يأمر السلطان بالإفراج عنهم وتشريدهم في مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية ،

فتكون دمشق من نصيب مصطفى كمال

وهناك يؤسس مصطفى كمال فرعاً جمعية الوطن فينضم إليه عدد كبير من ضباط سوريا ، ويعمل الجميع سراً على خلع الطاغية عبد الحميد

ولما تهتز الأسلام البرقية باشتداد ساعد الثورة التي كان يدبرها رجال الاتحاد والترق في سلانيك ، وبقرب زوال شيخ الخليفة المستبد ، يضم مصطفى كمال على

اللحاق بأخوته في الجهاد ، فيحرق القوانين العسكرية ، ويغادر دمشق خفية وقد تزيا

رzi أحد التجار ، ويعود إلى سلانيك عن طريق مصر فاليونان

ولكن آنى له التخفى وجوايسis الخليفة في كل مكان ! وهل تغفل عنه عيون السلطان وهو أخطر متآمر في جمعية الوطن ؟ هيئات .. فان الجوايسis يكتشفون

فراره من دمشق فيرفعون تقاريرهم بذلك إلى الباب العالى ، فيصدر الأمر من الخليفة بالقبض على هذا الضابط المتمرد « الذى خرق النظم العسكرية بطشه وغروره ... »

ولولا أن صديقاً له ينذره بالخطر قبل وقوعه لكان يظل في غيابة السجن حتى ينجا

عهد الظلم ويخلع عبد الحميد . فيبادر بالسفر إلى إثينا ، ثم يعبر البحر إلى يافا حيث يهرب به حاكها من السفينة كا تهرب المنواعات ، ثم يرق إلى الباب العالى زاعماً أن

مصطفى كمال لم يغادر دمشق ، وأنه يؤدي واجبه كأحسن ما يفعل الجندي الساهر

على تنفيذ إرادة ظل الله في الأرض ..

ويقيم مصطفى كمال في دمشق زهاء عام يقضيه في تأديب الدروز وتدخين النargileh في قهوة صغيرة من قهوات دمشق . وان الذى راه ليمس فيه تلك الثورة النفسية التي كانت تجيش في قلوب الملايين من رعايا عبد الحميد

ولما تحسن التقارير التي يرسلها الجوايسis عنه إلى المابين ، يقتنع الخليفة بان

الضابط التمرد عاد الى رشده واقلع عن أفكاره الجهنمية . ويسعى اصدقاؤه بدورهم في نقله ما وسعهم ذلك ، فيصدر الامر أخيراً بنقله إلى سلانيك .. إلى قلب الثورة ..
برتبة (صاغ قول اغاسي)

لتحيى الحرية !

هذا النقل أمنية مصطفى كمال الكبرى التي طالما سعى في تحقيقها ، فهو يحقق لآماله ، باعث أحلامه من عالم الخيال الى عالم الحقيقة . فيسافر الى سلانيك حيث يقيم في منزل كبير ورثته والدته عن زوجها الثاني

سلانيك زاخرة بالضباط والجنود الثائرين . ييد أن هذه الثورة لا تزال موعدها في قلب من الرصانة التركية خشية جواسيس المابين . وقد اخذ أعضاء جمعية الاتحاد والترقى هذه المدينة مركزاً لثورتهم ، فالسائق في أزقها وطرقها يرى نمراً من أربع المتأمرين وأخصبهم قريحة وأوفرهم حيلة

ولما كانت الجمعية قائمة على نظم مثيلاتها من الجمعيات السرية ، فهى تقصى أسراره على أقدم الأعضاء من برعوا في التآمر . أما مصطفى كمال وغيره من الضباط فلا يصلون الى (قدس أقداسها) بل يظلون في فنائها الخارجى

فهل يقنع مصطفى كمال من الجمعية بتصيب (الفر) المجاهد ؟
كلا .. لقد جبل على أن يكون رئيساً ، فإذا قدر له أن يكون مرءوساً فليرأسه من يفوقونه ذكاء وحمية .. أما أنور ، وطلعت ، وجمال ، ونيازى وغيرهم فليسوا أهلاً للرئاسة في نظره ..

وها هو ذا يجلس في قهوة (يونيون بار) بسلاميك فيسمع نقاشاً بين الضباط موضوعه الزعامة ، ثم يرشحون لهذه الزعامة جالا الذي لا يعترف هو بتفوته بل يرى فيه رجلاً أجوف يحاول أن يصبح تصرفاته بصبغة العظمة الكاذبة فلا يفلح ، فيقول : « انهم لا يرون الرجل العظيم .. وإن رجلاً يرى أن فلاح بلاده متوقف على جهوده ، ثم يبحث عن القدوة ليتشبه بها مؤمناً بأن نجاة البلاد لا تم الا بهذا التقليد ، هيهات أن يكون رجلاً في نظرى .. »

على أن عدم تقديره للقائدين بأمر الثورة لا يحول دون العمل على اذكاء نارها ..

فالثورة في صالح بلاده . والحرية لا تزال إلا بالسماء . لذلك نراه يواكب على حضور الجلسات العامة ، كما يعقد جلسات خاصة في منزل والدته التي تحبه وتخشاه : تحبه لأنه وحيدها ، و تخشاه لأنها ضابط لا يصيغ إلى نصائح أمه الذهبية . . .

— مبالك يا بني ت تعرض لل الخليفة بسوء .. ألا تعرف أن له قوة سبعة من الأولياء ؟

فيجدها مصطفى كمال :

— ان الرجل الذي تعتقدين فيه قوة سبعة من الأولياء لا يملك من القوة شيئاً .
ونحن نجتمع هنا لننقذ الوطن من ظلم الظالمين ، وأنت يا أماه لا يصل إدراكك إلى مثل هذه الأمور . فهل يا ترى تنسين ابنك عندما تحاولين الاتصال بالأولياء السبعة ؟
موقف غريب ! . . .

فهذه الأم أصاحت السمع في ليلة ليلاء ، فسمعت ابنها وإخوانه من الضباط يتهمسون ويتأمرون على خليفة المسلمين . . . وهي — لفريط حبها لابنها — تتصحّه بالعدول عن هذا التآمر . . . وهو — لفريط يقظته وتجسه — يخشى أن تفضح أمه أسرار الجمعية لفريط سذاجتها وإيمانها بقوة السبعة الأولياء . . .
وأخيراً تنهي أمه وتقول :

— انكم يا ولدي لا تلتمسون الحيطنة لأنفسكم . . .
ثم تمر الأشهر سراعاً . . . وتعاون القوى الوطنية على القضاء على عهد الاستبداد
وفي ٢٤ أبريل سنة ١٩٠٨ يخلع عبد الحميد ويجلس بعده على عرش الخلافة
السلطان محمد الخامس

خيبة الامل . . .

قضى على الطاغية . وأعلن الدستور . ووهتف العثمانيون : « لتحي الحرية ! »
واستولى الثائرون على مقايد الحكم

ووقف الذين حملوهم على الاعناق ينتظرون . . . فطال انتظارهم . . . ولم يروا إلا سلسلة من النكبات بدأت بثورة الالبانيين ، واضطرار الخليفة إلى التوقيع على الاتفاق النسوي التركي . وبه اعترف بضم البوسنة والهرسك إلى تركيا في مقابل سنجق نوفي بازار وتعويض مالي لا يكاد يذكر ، واعلان فردينند ملك بلغاريا

استقلاله التام ، ومطالبة جزيرة كرييد بالانضمام الى اليونان ..
حكومة الاتحاد والترقى تفاجئاً الحادثات فترتبك . والساخطون عليها لا يرحمون.
يقولون : « ألمذا خلعن عبد الحميد ؟ » فيقول أنصارها : « أليس عبد الحميد مسؤولاً
عن تلك التركية المثلثة التي ورثناها عنه ؟ »

أما مصطفى كمال في مقدمة الساخطين الناعين مجد آل عثمان . ونقدرده يهوى على
الحكومة كالمطارق . . والحكومة مضطربة - ازاء ذلك - إلى تقله الى مقدونيا
حيث الحقته بالفرقة الثالثة

وهناك ينسى مصطفى كمال كل شيء إلا الواجب ، فزراه عاكفاً على جنوده يدر بهم
ويبيث فيهم روح النبلة والتضحية ، وعلى كتبه الحرية يستخلص منها أحدث فنون
الحرب

وفي سنة ١٩١٠ توفده الحكومة إلى فرنسا في بعثة عسكرية برئاسة على رضا باشا
لتمثيل تركيا في المناورات العسكرية السنوية في (بيكاردي) ، فيرى الجيوش الأوروبية
الحديثة لأول مرة ، ويقف - مع زملائه الملحقين العسكريين بالسفارات الأجنبية -
ليعرض الفرق . ويتناقش الملحقون في خطط الغداء : فيجمعون أمرهم على أن العدو
سيكون غداً في المكان الفلانى . . فيعارضهم مصطفى كمال ويعين للعدو مكاناً آخر . .
وكم تكون دهشة الجميع عندما تصدق فراسته هو ويخيبون !

ويتهزء فرصة وجوده بالقرب من باريس فيزور مدينة النور زيارة قصيرة ينهل
فيها من مسرات العاصمة ويعبّعاً
ثم يعود إلى تركيا فيجدد قراراً من وزارة الحرية بتعيينه مديرًا للمدرسة العسكرية
في سلانيك ، فيأخذ على عاتقه أمر تنظيمها ، وتتجلى قدراته التعليمية في أروع مظاهرها ،
ويعاوده سخطة على حكومة الاتحاد والترقي فييث في طلبه روح الثورة عليهم :
فهم يسوقون الوطن إلى الدمار ، ويبعيون التراث الذي اغتصبوه من عبد الحميد يبعاً
بخساً ، ويختون الهمام للنفوذ الألماني ليتغلغل في صميم القومية التركية : في الجيش ،
وفي السياسة . . .

ويشعر الصدر الاعظم محمود شوكت باشا بخطر هذا التأثير التمرد ، فيبعده من
المدرسة العسكرية ويعينه قائداً للأورطة الثامنة والعشرين المشاة في سلانيك . . . وهنا
يترك مصطفى كمال الطلبة ويبيث روح التمرد في الجنود . . فتشعر ثائرة وزارة الحرية ،

ويطالب وزير الحرية بفصل مصطفى كمال ومحاكمته أمام المحكمة العسكرية .. ولكن
أني له ذلك وليس ثمة دليل واحد على اداته !

لا .. الافضل نقله إلى وزارة الحرية في استانبول: ففيها يجد القائد التأثير نفسه
 أمام آلاف مؤلفة من الاتحاديين انصار الحكومة ، وفي هذا المحيط يعجز عن نشر
 مبادئه الثورية

وفي وزارة الحرية يرى مصطفى كمال عجباً : فالاتحاديون يستخدمون الخبراء
 الالمان بكثرة مخيبة . والالمان مهيمنون على وزارة الحرب . وفي كل يوم تستقدم
 طائفة منهم ..

مصطفى كمال لا يقبل هذا بحال .. فهو يرى أن تركيا للاتراك ، وان كان لا بد من
 استقدام الخبراء الالمان ، فليكن استخدامهم في صالح الحكومة الأخرى لافي وزارة
 الحرب ، ورئاسة اركان الحرب !

هنا نحن أولاء نراه كالبركان التأثير . ولكن من ذا الذي يعبأ بأقواله وكل شيء
 في يد الاتحاديين ؟

انه يجد طائفة من الضباط الساخطين على الالمان مثله . ولكن لعنة الله عليهم
 فهم يكتفون بالتقدير همساً فإذا وجب اعلان الرأي ، مجدوا أولى الامر ورفعوا من
 شأنهم ...

البدار البدار الى طرابلس !

٢٦ سبتمبر سنة ١٩١١

أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا ..

الخليفة ورجال حكومته يعجبون ، ويتساءلون : لماذا تعلن ايطاليا الحرب علينا ؟
 ألم يصرح وزير خارجيها في ٩ يونيو الماضي بأن حكومته تعمل على سلامة الأماكن
 العثمانية في افريقيا ؟ ألم يزور ولی عهد الخلافة مدينة روما فترحب به الحكومة
 الايطالية أجمل ترحيب ؟ ألم تقف ايطاليا موقف الحايد ابان الثورة الألبانية ؟
 ما السبب إذًا ؟ !

لو أتنا كنا نعيش في ذاك الوقت لقلنا بلسان عصرنا الحاضر : ليس هناك سبب إلا الطمع الأشعبي . ففرنسا احتلت تونس والجزائر ، وایطاليا تريد أن تختل طرابلس .. وما دامت الامبراطورية العثمانية مفككة الأوصال فويل للضعف !

الاسلام يستنفر المجاهدين للحرب ..

أنور يسبق المجاهدين الى طرابلس

فتحي بك الملحق العسكري في باريس يعبر البحر الأبيض على مركب للصيد ومصطفى كمال يخترق الأنضول ، فسوريا ، فصر - وهنا تحاول الجلترا منعه ومنع جميع المجاهدين من اللحاق بأخوائهم في طرابلس ، ولكن الخديو السابق يفسد عليها خطتها ويهرّب مصطفى كمال وزملاءه الى الحدود الغربية على خيول مطهمة ، وهناك تصدر الأوامر السرية الى ضباط الحدود بالسماح لهم بالمرور

وفي صباح ذات يوم يدخل مصطفى كمال خيمة القيادة العليا في عين المصور ، فيقوم له أنور ويصافحه بحرارة ، ويقول ان العداوة الشخصية شيء والجهاد شيء آخر ، وأنه - رغم كل شيء - معجب به وبكتفاته الممتازة ، ولذلك سيعينه قائداً للفرقة المواجهة لنبرة

الله على تلك الأيام الغراء وعلى مثلها العليا في الجهاد والتضحية !

جيش من العرب مفتقر الى المؤونة والسلاح ، وعلى رأسه نفر من الضباط الأتراك يساعدهم السنوسى الكبير الذى دوخ الفرنسيين وهذا هو ذا يدوخ الإيطاليين ، هذا الجيش يقاوم ايطاليا ذات الأسطول والعدد العديد والسلاح الذى لا ينفد والأمداد الق كانت تصل من ايطاليا بدون انقطاع .. عاماً كاملاً دون أن يتيح لها شبراً واحداً من الأرض !

والأسطول الإيطالى رابض على الساحل والعساكر الإيطالية معسكة في الخندق تحت ظلال الأسطول . ومع ذلك فالعرب والأتراك يكرون عليهم المرأة تلو الأخرى فينزلون الأرض تحت أقدامهم فيفرقون ..

ولكن القدر الساخر يأبى إلا أن ينبع ايطاليا نصراً ساخراً ، فقد اندلع لهيب الثورة فى البلقان بفعل قاعل فى أكتوبر سنة ١٩١٢ فتحلت الحكومة العثمانية عن طرابلس وبرقة لتتقذ نفسها وترد العدو الماجم على عاصمتها أو리 يعود مع السيد السنوسى فى غواصة ألمانية . ومصطفى كمال يعود عن طريق أوربا

أنور رجل الساعة

البلقان الآن ملتهب تكاد ناره تلفع استانبول
والدول البلقانية تطالب باستقلالها الذي مهدت له معاهدة برلين المشؤومة في
سنة ١٨٧٨ ، وتعمل على إرواء حقدها الصادي من دماء الأتراك العثمانيين
والروسيا من خلف البلقان تسوق دويلاته إلى الممعنة
النكبات تتبع على الحكومة العثمانية : فالبلغاريون حاصروا ادرنة ووصلوا إلى
(مصطفي باشا) و (قرق كليسه) وأشرفوا على العاصمة .. واليونانيون احتلوا
معظم مقدونيا .. والصرييون استولوا على معظم ألبانيا ودخلوا موناستير .. ثم
عاد اليونانيون فدخلوا سلانيك .. ولم يبق في يد العثمانيين من أملاكهم الأوربية إلا
ادرنة واسقودرة وبانيا ولسان غاليفولي والإقليم الواقع بين شاطئحة والبسفور ..
ولو لم تتدخل دول أوروبا في الأمر وتتفق رحى القتال لما بقي لتركيا شبر واحد
في الأرض الأوربية

ولكن تدخل الدول الأوربية زاد الطين بلة ، فقد عرضت على تركيا معاهدة
صلح لا قبل لها باحتمالها . ودعا الصدر الأعظم كامل باشا مجلس الوزراء للموافقة عليها
استسلاماً للأمر الواقع

وعندئذ يثور أنور الذي عاد من طرابلس أخيراً ليرى بعينيه وطناً يهان ،
وامبراطورية يتخلص ظلها ، فيقرر أحد أمرئين : إما استرجاع الاملاك البلقانية ، وإما
ضياع الوطن نفسه .. !

وهكذا كان أنور على طول الخط !

هذا يدخل ديوان مجلس الوزراء في طليعة الضباط المتحمسين .. هذا يقتتحم
باب الوزراء في أثناء توقيعهم شروط الصلح .. فيعرضه ناظم باشا وزير الحرية ، فيطلق
عليه رصاصة من مسدسه تصرعه لتوه .. .

الوزراء يهرون إلى الخارج وقد ملاً قلوبهم الذعر .. وأنور يعدو خلفهم
مصوباً فوهة مسدسه إلى ظهورهم

حتى إذا ما خرجو من ديوان الرئاسة أعلن سقوط الوزارة ، وتولى شوكت باشا
رئاسة الوزارة الجديدة . أما هو فيبحجز لنفسه وزارة الحرية

ويجتمع مجلس الوزراء فيقرر رفض شروط المعاهدة ، والدفاع عن الوطن النكوب
إلى النهاية ..

ويضع أنور خطة حرية لتخلص ادرنة من البلغاريين ، خطة جريئة ليس فيها
شيء من التعلق . ويكون مصطفى كمال أول من يتعرض عليها ويثبت فسادها . ييد أن
أنور لا يقبل النقاش ، فتسير جحافله للاقامة جيش البلغار ، وسرعان ما تفر أمامه كا
تقر الانعام . . .

وفي ٢٦ مارس سنة ١٩١٢ تسقط ادرنة في يد البلغاريين بعد دفاع جليل باسل .

وتشرف استانبول نفسها على الضياع
فتتدخل الدول الأوربية مرة أخرى وتتملي على حكومة شوكت باشا شروط صلح
اثقل من الشروط التي أملتها على الحكومة السابقة ، فتقبلها رغم أنها
ويتساءل مصطفى كمال : ماذا فعل أنور ؟

ييد أن المنازعات لا تثبت أن تقوم بين دول البلقان ، وتبدا الحرب بين بلغاريا
والصربيا واليونان ، فيتهزأ أنور تلك الفرصة ويفاجيء ادرنة بقوات كبيرة فيدخلها
دخول الظافر في موكب تاريخي تحف به الأعلام والأكاليل
ويشير مصطفى كمال كاسف البال في موكب النصر وكأنه يقول للمرة الثانية :
— أجل .. ماذا فعل أنور ؟

عنـاكـب الـأـمـان

قوبل استيلاء أنور على ادرنة بفرح شامل وسمت شخصيته حتى بلغت أوج العظمة
 وأنور — كما نعلم — صديق للأمان يرى فيهم المثل الأعلى للمدنية الأوربية المادية
ومن ثم بدأ الأمان يلعبون دورهم بمهارة فائقة ، إذ كانوا على أبواب حرب طاحنة ،
وكانوا يريدون الوثوق من تركيا واتخاذها حليفه لهم وتكاؤن يعتمدون عليها في الميدان
حتى تكون شوكة في ظهر إنجلترا والروسيا ودول البلقان المعادية

فتقرب سفير المانيا في استانبول إلى أنور وأصبح ندينه وجمع أسراره ، وحاز
ثقة العمياء بعد أن أقسم له على أن المانيا ستقف دائمًا في صف حليفها تركيا . ثم أطلعه
على ما كانت إنجلترا تحكيه من خيوط الدسائس منذ سنة ١٩٠٨ ، وكيف أنها حاولت

القضاء على حكومة الاتحاد والترق الناشئة ، كما حاولت بث روح العداء والشقاوة بين أعضاء الجمعية أنفسهم مما أدى إلى خروج بعضهم عليها واقر لهم إلى السياسة الانجليزية والحق يقال ان تركيا كانت في ذاك الوقت مزرعة خصبة لسياسيين متضادتين : السياسة الانجليزية ، وترى الى احباط الأتراك ودفعهم الى مواطن الضعف والتورط ، والسياسة الالمانية التي كانت تحارب الانجليز وتحاول أن تتخذ من تركيا حلقة لها في الحرب المقبلة

واجتمع مؤتمر السفراء في سنة ١٩١٢ ليصدر قراراته ضد تركيا . فلم يرتفع فيه صوت منصف الا صوت سفير المانيا البارون فون مارشال ، فقد قام يدافع عن تركيا ويحاول أن يثبت أن أساليب المؤتمر لا شك فاشلة . وما سقطت وزارة كامل باشا (التي خلفت حكومة الاتحاد والترق - وكانت انجلزية النزعة) تحت تأثير الرأي العام يدفعه الألمان من وراء ستار ، كان هذا فوزاً جديداً للسياسة الالمانية

وقد بلغ نفوذ الالمان أوجه في سنة ١٩١٤ عندما رفضت انجلترا تسليم المدرعتين التركيتين « سلطان عثمان » و « رشيدية » المصنوعتين في الأحواض الانجليزية - ولم تكن تركيا قد دخلت الحرب بعد - فقد اعتبر هذا الرفض عملاً عدائياً من شأنه أن يقضي على نفوذ انجلترا في تركيا قضاء مبرماً ، وأن يدفع الأتراك الى أحضان المانيا التي احتضنهم وتبرعت لهم بذرعتين (هما جوبن وبرسلاو) . وسرعان ما دخلت المدرعتان المياه العثمانية وسط عاصفة من المهاجم لالمانيا الصديقة . . .

وبهذه المناسبة نذكر أن جمال باشا صرح في مذكرةه بأن المانيا لم تبرع بهاتين المدرعتين بل اضطرت لذلك اضطراراً ، فقد أعلنت الحرب العظمى والمدرعتان بالقرب من المياه التركية ، فدخلتاها للاحتماء فيها ، ومن ثم قامت مشكلة دولية : فتركيا لم تدخل الحرب بعد ، وسفيرا انجلترا وفرنسا يطلبان تسليم المدرعتين ، وسفير المانيا يأبى الا أن تتحمل تركيا تبعه هذا الموقف الشاذ ولو بدخول الحرب في صف المانيا - ولعل ذلك كان غرض المانيا من إرسال المدرعتين الى المياه التركية في تلك الأزمة العصبية - فما أنور الى قبول الدخول في الحرب ضد الحلفاء ، ولكن أعضاء الوزارة نصحوه بالتريث ، واقتراح أحدهم أن تظاهرة المانيا بأنها باعت المدرعتين لتركيا قبل الحرب ، وأنها الآن تسلم البضاعة . . وفعلاً وافقت الحكومة الالمانية على هذا الاقتراح العجيب ! . . .

وشاعت في تلك الأثناء اشاعة - أيدتها المصادر الرسمية - بأن المطالب التي قدمتها تركيا - نظير انفصالها للحلفاء - (وهي الغاء الامتيازات ، وإرجاع الجزر العثمانية ، وإزالة الشبح الروسي ، وحل المسألة المصرية) لم تجحب ، وأن استانبول منحت للروسيا نظير مساعداتها للحلفاء ، فزاد ذلك في سرعة التقارب بين المانيا وتركيا وفي ذات يوم زارت خالدة أدب جمال باشا وزير البحريـة ، فقالت له في معرض الحديث عن الحرب : « أخشى أن أقول يا باشا إن حكومتنا مندفعـة نحو الحرب ... » فضحك جمال باشا وقال : « لا يا خالدة هانم لن ندخل الحرب ... » فقالت : « وأنت لكم ذلك ؟ » قال : « إنـى من القوـة ما يرغـبـهم على عدم الدخـولـ في الحرب . وإذا فـشـلتـ فـسـأـتـقـيلـ ... إنـ الحـربـ عـملـ جـنـوـنـ ... »

وكان جاويـدـ بكـ وزـيرـ المـالـيـةـ عـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ أـيـضاـ

على أنـ الصـدرـ الأـعـظـمـ سـعـيدـ حـلـيمـ وـمـعـظـمـ رـجـالـ وـزـارـتـهـ كـانـواـ يـهـلـونـ إـلـىـ الـحـربـ . بلـ قـيلـ إـنـ التـحـالـفـ التـرـكـيـ الـأـلـمـانـيـ تـمـ فـيـ ۲ـ آـغـسـطـسـ سـنـةـ ۱۹۱۴ـ - أـئـ قـبـلـ أـنـ تـدـخـلـ تـرـكـيـاـ الـحـربـ بـأـكـثـرـ مـنـ شـهـرـيـنـ ، وـلـمـ يـكـنـ حـيـادـ تـرـكـيـاـ الـمـؤـقـتـ إـلـاـ ذـرـأـ لـلـرمـادـ فـيـ الـعـيـونـ . وـلـوـ أـنـهـاـ كـانـتـ تـرـيـدـ الـبقاءـ عـلـىـ الـحـيـادـ مـاـ اـسـتـبـقـتـ الضـبـاطـ الـأـلـمـانـ فـيـ خـدـمـتـهـاـ بـعـدـ دـخـولـ الـمـانـيـاـ الـحـربـ

وـكـائـنـ الـأـلـمـانـ كـانـواـ يـرـيـدـونـ أـنـ يـكـونـ الـاجـمـاعـ تـامـاـ عـلـىـ دـخـولـ تـرـكـيـاـ الـحـربـ ، فـأـوـزـعـواـ إـلـىـ الصـدرـ الأـعـظـمـ أـنـ يـقـنـعـ جـمـالـ بـوجـهـ نـظـرـهـ ، وـقـابـلـ الـبـارـوـنـ فـونـ فـانـجـنـهـاـيمـ سـفـيرـ الـمـانـيـاـ جـمـالـ بـنـفـسـهـ وـقـالـ لـهـ : « يا جـمـالـ باـشاـ ... أـلـاـ تـرىـ مـاـ أـدـاهـ الضـبـاطـ الـأـلـمـانـ لـكـمـ مـنـ الـخـدـمـاتـ الـجـلـيلـةـ فـيـ وـقـتـ قـصـيرـ ؟ أـنـ لـدـيـكـمـ الـآنـ جـيشـاـ يـقـارـنـ بـأـحـدـثـ الـجـيـوـشـ نـظـامـاـ ، وـإـنـاـ وـاتـقـونـ مـنـ الـظـفـرـ إـذـاـ اـسـتـطـعـنـاـ أـنـ كـوـنـ حـلـفـاءـ لـأـمـةـ مـثـلـ اـمـتـكـنـ لـهـ مـثـلـ هـذـاـ جـيـشـ ! »

ولـكـنـ جـمـالـ أـصـرـ عـلـىـ رـأـيـهـ ، وـكـذـلـكـ فـعـلـ جـاوـيـدـ بـكـ . فـأـمـضـىـ التـحـالـفـ التـرـكـيـ الـأـلـمـانـيـ سـرـأـ دـوـنـ أـنـ يـطـلـعـ عـلـيـهـ هـذـانـ الـوـزـيـرانـ . بلـ قـيلـ إـنـ مـعـظـمـ الـوـزـرـاءـ لـمـ يـطـلـعـوـاـ عـلـيـهـ إـلـاـ بـعـدـ أـنـ أـصـبـحـ حـقـيقـةـ لـاـ مـفـرـ مـنـهـاـ ..

ثـمـ اـنـضـمـتـ بـلـغـارـيـاـ إـلـىـ صـفـ الـمـانـيـاـ فـتـعـزـزـ مـرـكـزـهـاـ فـيـ الـبـلـقـانـ . وـتـلـتـ ذـلـكـ هـزـعـةـ الـمـارـنـ فـتـعـزـزـ مـرـكـزـهـاـ فـيـ غـرـبـ أـورـباـ . وـأـخـيـرـاـ نـشـتـ مـعـرـكـةـ - لـاـ زـالـتـ حـقـيقـهـاـ غـامـضـةـ - بـيـنـ السـفـنـ التـرـكـيـةـ وـالـسـفـنـ الـرـوـسـيـةـ فـيـ الـبـحـرـ الـأـسـوـدـ ، وـكـانـ السـفـنـ

الروسية تضع الألغام في المياه التركية ، فأعلنت تركيا دخول الحرب في صف المانيا
تحت ضغط كل هذه الظروف في ۱۸ أكتوبر ۱۹۱۴
* واستقال جلوبك وبعض الوزراء . أما جمال باشا فلم يستقل !

من صوفيا .. إلى جناق قلعة

شهد مصطفى كمال الصراع المائل بين التيارين : الألماني والإنجليزي ، وكان لا يمكِّن
إلى دخول الحرب في صف المانيا وحسب ، بل يرى في الحرب كارثة عظيمة تتحقق
بالإمبراطورية العثمانية

فلا برم به أنور ، تخلص منه بأن عينه ملحقاً عسكرياً بسفارة تركيا في صوفيا –
وكان السفير إذ ذاك فتحى بك الذي عرفناه في حرب طرابلس
والآن – وتحت ضغط الظروف القاهرة – يذهب مصطفى كمال إلى صوفيا و كانه
ذاهب إلى المنفى .. وسرعان ما تعلن تركيا دخولها الحرب .. فيقع عليه هذا الخبر
وقوع الصاعقة ، ويقول في مذكرةه واصفاً هواجسه :

« كنت إلى ذلك العهد غير مصدق ما حدث ، ولم أكن اعتقاد أن تركيا – التي يستدعي
دعوة جيشه إلى حمل السلاح شيئاً كثيراً من الروية – تدخل الحرب بتلك السرعة
أثر حادثة بسيطة وقعت في البحر الأسود ، ولا أعلم إلى اليوم كيف وقعت .. وكانت
أشكوا من دخولنا الحرب ، ولكن شكوكى كانت تقابل بفتور ، وضرب بتبنؤاتى
عرض الحائط ، لأنى لم أقتصر على التأفف من دخولنا الحرب ، بل كنت أقول
بهزيمة المانيا وحلفائها الذين دخلوا الحرب معها .. وكانت أقوالى في ظرف يكذب
ادعائى : لأن المانيا كانت تقدم بخطوات واسعة قوية نحو باريس .. ففي هذا الظرف
الغريب ، وفي هذا الزمن الذى أصبح الناس فيه يلهجون علينا بنتيجة الفوز المحقق
لامانيا وحلفائها ، يقوم ملحق عسكري في صوفيا فيدي ملاحظات غريبة لرجال
عديدین في الاستانة ، ويسود لهم صفحات مطولة محاولاً اقناعهم بأن تركيا تأتى أمرأً

* بعد كتابة ما تقدم قابلت رءوف بك في زيارته الأخيرة للقاهرة وسألته عن أسباب
دخول تركيا الحرب في صف المانيا ، فذكر من الأسباب ما لا يخرج عمما ذكرناه آنفًا ، وزاد
عليها أن تركيا – بدخولها الحرب مع المانيا – أنها كانت تدافع عن كيانها ، ولو أنها بقيت
على الحياد لراحت للأعداء غنية باردة

منكراً بدخولها الحرب .. ألا يكون مثل هذا الرجل مجنوناً؟ وهل يستحق غير
هذا الحكم في مثل هذا الزمن؟

ييد أنه - رغم كل ذلك - ابن بار لوطنه ، وما دامت تركيا دخلت الحرب فلابد
له من دخولها ، وليس « حياة الصالونات » - على حد تعبيره - تتناسب مع رجل
الحرب والكفاح ..

إذاً لا بد من العودة إلى الوطن ، وقيادة الجيوش في ميادين القتال ..
هانحن أولاء نراه جالساً إلى مكتبه يحرر طلباً بالعودة إلى وظيفته في الجيش
العامل .. ولكن القيادة العامة لا ترتاح إلى هذا الطلب ، وأنور لا يرحب بعودته ،
بل يرجو منه أن يظل في صوفيا « نظراً لأهمية وجوده فيها .. »

فيجيب مصطفى كمال بقوله : « لا توجد وظيفة أشرف أو أجل من الوظائف
العملية للدفاع عن الوطن . وأنا لا أستطيع أن أظل هنا ملحقاً عسكرياً بينما أرى
إخواني وزملائي يقومون بواجبهم في ميادين الحرب وخطوط النار .. »
ولكن الرد يتأخر .. فتشعر ثائرته ، ويصمم على خرق القانون والعودة إلى
وطنه دون إذن من القيادة العامة ، ولو أدى ذلك إلى أن يذهب إلى ميادين القتال
كجندى متطوع ..

وأخيراً تصله برقية تقضى بتعيينه قائداً لفرقة التاسعة عشرة ، وتطلب عودته على
جاج السرعة ..

فيعود إلى الآستانة . ويسرع إلى وزارة الحربية حيث يتقدم إلى كبار موظفي
الوزارة ليتعرف على فرقته ، فيقولون - أى والله هكذا .. - انهم لا يعرفون
فرقة تدعى « الفرقة التاسعة عشرة » !
ويصبح الموقف شاذًا غريباً :

قائد بلا فرقة .. وموقف كموقف الرجل النصاب المزور ...
على أنه - بعد البحث الطويل - يصل إلى فرقته .. ثم يذهب لمقابلة لمان فون
ساندرس رئيس هيئة أركان حرب الجيوش التركية بناء على طلبه ، فيسأله فون
ساندرس أن يدللي بعلوماته - كمحقق عسكري في سفارة صوفيا - عن سبب احجام
بلغاريا عن دخول الحرب في صف المانيا ، فيجيبه مصطفى كمال بكل بساطة :
- لأن بلغاريا كانت تشك في نجاح المانيا ..

فين فعل ليان فون ساندرس ويأسأه عن رأيه الخاص ، فيعرب له عن تنبئه بفشل
المانيا !!

بطل الدردنيل

كان نلسون يقول : « كل بحار يهاجم القلاع أبله . . . »
ييد أن المجلس الحربي الذى تألف فى ١٣ يناير سنة ١٩١٥ من ونستون تشرشل
اميرال البحر ، وكتشرز وزير الحرب ، وفيشر ، ولويد جورج ، واسكويث ، لتقرير
حملة الدردنيل لم يعبأ بكلمة نلسون . . وقد يكون معه بعض الحق ، قلاع الدردنيل
عتيقه لا تقوى على مدفع البارج الانجليزية الضخمة

ثم إن الروسيا كانت في شبه عزلة . وكان ما يقرب من مليون جندى في حاجة
ملحة إلى السلاح . فكان لا بد من النفوذ اليهم : إما من بحر البلطيق ، وإما من
الدردنيل . وكفة الدردنيل هي الراجحة

وافتتحت الجلسة بكلمة من تشرشل في وجوب المواجهة على حملة الدردنيل .
ثم تلى تقرير مدير الأعمال الحربية الذى قال ان هذه الحملة تتطلب نفقات هائلة وعددًا
من الجنود لا يقل عن ٦٠ الف جندى . ثم تلى تقرير آخر من الاميرال جاكسون
قال فيه : « ان من البلاهة أن ندخل بحر مرمرة قبل أن يختل جنودنا شبه جزيرة
غاليبولي وتفى على كل مقاومة للاعداء .. ولا بد من احتلال استانبول وما جاورها
أيضاً . . » ثم قرر رأى الاميرال كاردن ونوقشت خطة الحرب التي تفضى بالتقدم
على دفعات متتالية

وعقد اجتماع ثان في ٢٨ يناير فكان كالاجتماع الأول ، وان تكون الروح المعنوية
في أشد هبوطاً . . وران على المجتمعين الشك المريب ، وظهر على اميرالات الاسطول
التrepid ، وهدد فيشر بالاستقالة . . فأخذته كتشز إلى ركن من قاعة الاجتماع وتحدث
إليه ملياً ، ثم دفعه إلى كرسيه في شيء من الخشونة . .
وأخيراً تقرر القيام بحملة الدردنيل : بالبارج !

* * *

فبراير سنة ١٩١٥

مياه الدردنيل ساجية وشواطئه لا ترى عليها أثراً لجندي أو مدفع .. فإذا أمعنت النظر في المياه رأيت تسع شبكات من الألغام ، وفي الشواطئ رأيت القلاع والجبال تخفي عشرات الآلاف من الجنود

البوارج الانجليزية « انديوميتابل » و « انديفا تي جابل » و « جلوشترا » و « ووريور » و « دبلن » و « كوين اليزابيث » و « ترايف » و « نلسون » و « أغامنون » الخ . . . و الفرنسية « سفرر » و « فريتي » و « لو جالوا » و « شارلمان » و « سانت لويس » مرابطة على أبواب الدردنيل

وجاء يصدر الامر بالهجوم على القلاع : فتصب البوارج قذائفها على قلعي « سد البحر » و « ارطغرل » على الشاطئ الأوروبي ، و « قوم قلعة » و « أوزانية » على الشاطئ الآسيوي ، ويحاول الاسطولان الانجليزي والفرنسي ازال الجنود إلى الشاطئ ، ولكن هيهات : قلاع الدردنيل العتيبة تصد البوارج ، وهاهى ذى كلمة نلسون تتحقق إذ ثبتت بلاهة مجلس الحرب ..

ولكن هل اقتنع تشرشل وكتشرز ولويد جورج واسكويث ؟

كلا .. فها هي ذى برقية من تشرشل تقول : « إذا لم يكن من الخسائر بد فإن الغاية تبرر ضياع بعض قطع الاسطول .. لأنه « لابد من شطر الامبراطورية العثمانية إلى شطرين وتغيير وجه التاريخ .. » ومن الواجب « اسكات قلاع المضيق بكل ما لديك من المدافع .. »

الأميرال كاردن يعود إلى مالطة لأنه مريض ، فيتسلم القيادة الأميرال رو بك ، ويظل في حيرة من أمره فتهز المدمرات التركية تلك الفرصة لتعاون تلغيم الدردنيل وفي صباح ١٨ مارس يصدر الأمر إلى قطع الاسطول بالهجوم ، فتدنو من الطوابى التركية تصب عليها نيرانها أكثر من ثلاثة ساعات ، فتصيبها بعقب كبير ، ولكن الطوابى من ناحيتها تغرق وتعطل ست بوارج كبيرة

وفي منتصف الساعة الثالثة تقدم قطع أخرى من الأسطولين ، فتصاب قطعتان منها بقذائف الأتراك وتغرقان ..

وفي منتصف الساعة الثامنة يعود الأسطولان : الانجليزى والفرنسى إلى عرض البحر وقد خسرا ثمانى قطع من أكبر قطعهما !



فثبتت حماقة مجلس الحرب للمرة الثانية
وييرق قواد الأسطول الى لندن ملحين في طلب القوات البرية
وأخيراً يقتنع تشرشل وكتشنر بضرورة المجموع البري ، فيوفد كتشنر زميله
الجزائري ايان هاملتون الى الدردنيل لقيادة القوات البرية ، ويقول له : « لا أريد
منك أن تكسب موقعة واحدة ، بل يجب أن تكسب الحرب كلها . . . »
ثم يأمر الجنرال يردوود قائد القوات الاسترالية في مصر بالتوجه الى الدردنيل
بقواته المائة

ويرى ايان هاملتون أن جنوده ينقصهم التدريب العسكري ، فيرسلهم الى
الاسكندرية حيث يذربون ويعودون الى ميدان القتال
ويمر بضعة أسابيع في نقاش طويل وجداول في وجهات النظر ، وأخيراً يقر القرار
على ازالة الجنود في البر في يوم ٢٥ ابريل
وفي صباح هذا اليوم يخطب هاملتون في الجنود قائلاً :

« يا جنود فرنسا ! يا جنود الملك ! نحن مقبلون على عمل لم يسبق له مثيل في
الвойن الحديثة . وستتعاون مع اخواتنا بخارطة الأسطول لازالة قواتنا الى شاطئه
مفتوح أمامه موقع يحاول أعداؤنا أن يثبتوا أنها لا تزال بالحرب . فإذا وضعتم أقدامكم
على شبه جزيرة غالیبولي فقاتلوا حتى تنتصرون نصراً حاسماً . . . العالم كله يتطلع الى
تقدمنا فأثبتوا أننا بالثقة العظيمة التي وضعت في جيشنا جديرون . واطمئنوا دائماً
إلى دعاء الملك »

والآن لندع الأسطول الانجليزي الفرنسي يستعد للمعركة ، ولنجه صوب الساحل
فأين نرى مصطفى كمال ؟

نراه في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة غالیبولي قائداً لجيش من الجيوش المدافعة
عن الدردنيل ، ونسمع مشاحنات لا تقطع بينه وبين ليان فون ساندرس ، ثم نسمع
ليمان يقول رغم ذلك : « انه ضابط بارع . . . انه زعيم . . . »

ويعود أنور من حملة الروسية الفاشلة ويعرف أن غريمه كلاً يقود جيشاً في
الدردنيل ، فيغضب ويأمر فون ساندرس بابعاده . . . ولكن فون ساندرس يفرق
بين الحصومة والمنفعة ، ولذلك نراه لا يعبأ بأمر أنور ويعين كلاً قائداً للفرقتين التاسعة

عشرة في منطقة مايدوس على شاطئ غاليسولي ، في المنطقة التي ستبدأ فيها المعركة ..

٢٥ ابريل سنة ١٩١٥

البحر ساكن لا تتحرك فوقه مائحة . والساحل هادئ في انتظار عشرات الآلاف من القتلى الذين سيدفنون فيه الانجليز يقتربون من الساحل بذراعاتهم ، ويوجهون قلب هجومهم الى المنطقة التي ينتظر فيها مصطفى كمال

ولكن التيار قوي .. وهو يدفع النقالات من جهة (قباباته) الى (أرى بورنو) وبجد الاستراليون أنفسهم في مواجهة مرتفعات (تشونوك باير) فيتساقونها وبمحض المصادفة يكون مصطفى كمال على مقربة من تلك القمة . فيرى الجنود الأتراك في حالة تشبه الهجوم . فيسألهم : ما الخبر ؟ فيقولون ان الانجليز شرعوا في الهجوم .. فهل يتعدد مصطفى كمال ؟ وهل ينتظر الأوامر من رئيسه الأعلى فون ساندرس ؟ كلا . فال دقائق تمر سرعا . وكل دقيقة تمهد لانتصار الانجليز
إذاً ليأخذ المسئولية على عاتقه وحده

« هل أيها الضباط إلى قمة (تشونوك باير) ! »

ويسير في الطليعة والضباط خلفه يتبعون في الصخور . حتى يبلغ القمة فيري منظراً مفزعاً : فالاستراليون أوشكوا أن يلغوا القمة .. والرصاص ينهال عليه كالطэр ..
« اسرعوا إلى المعسكرات واستدعوا الجيش ! »

وفي دقائق معدودات تصل الفرقة السابعة والخمسون . فيقذف بها في وجه الأعداء .. ثم تصل فرقة المدفعية ، فيدفع بعض المدافع بنفسه ويقذف بها في وجه الاعداء أيضاً .. وتصل فرقة أخرى فيأمرها بالهجوم .. وتدور على مرتفعات (تشونوك باير) رحى معركة تشيب لهوها الولدان ، وأخيراً يقف الأتراك تقدم الاستراليين !

الليل يشهد استمرار المعركة . واليوم التالي يمر عصياً على المقاتلين . فتخارق قوى الجنود ويقايسون أهوال الحرب والجوع والظماء

ولكن هل يتركهم مصطفى كمال يستريحون فيفقد المعركة ويتيح للعداء نصراً سوف يغير وجه الحرب العظمى ؟

انه يقف في وسط المعركة بأعصاب من فولاد ، فيشجع جنوده تارة ويحمسهم

ويطمعهم ويهددهم أخرى بصوت كالرعد .. ويظل في هذا الجحيم حتى تخور قوى الاستراليين أيضاً ويقفون رحى المعركة دون بلوغ القمة ، فيتنفس الصعداء فقد اندلعت (تشونوكه باير) التي تعتبر مفتاح غاليسولي ، بل مفتاح استامبول نفسها

* * *

وتشرق شمس اليوم التالي على خنادق الإنجليزية وأخرى تركية تضم في جوفها أكثر من مائة وعشرين ألف مقاتل وناهيك بحرب الخنادق وويلاتها !

فالأرض صاعدة ، والسماء ملتهبة ، والهواء خانق ، والريح تسق الموت كلاماً هبت شمالاً أو جنوباً ، والقذائف تنال على الجنود ، حتى إذا ما هدأت المصارع خرج جنود الموت من بين الخرائب كالأشباح ليواروا موتاهم التراب جماعات بعضها فوق بعض . وانك لترى كلاماً بين هؤلاء الجنود يؤدى واجبين : واجب الساهمة في دفن رجاله ، وواجب التجسس على الأعداء والكشف عن مخابئهم انه لا يتعب ولا ينام . ويدبر حرب الخنادق وكأنه ولد في الخنادق . والقواد الآتراك واللامان الذين يعملون معه يشعرون بأنهم لا يؤدون عملاً فقط . فهو سيد الميدان دون منازع

أما الجنود فتحدث عن بطولتهم ما شئت :

فهذا الجندي الواقف في وجه الموت يدع بندقيته جانباً ويخرج لفافة من التبغ ليدخلها وهو ساكن هادئ كأنه جالس في منزله وبين أهله . وذاك يدفن الموتى من الآتراك فيرى بينهم ضابطاً استراليّاً جريحاً يهتف : «Mother! Mother! أي: أمي.. أمي..» فتأخذنه الشفقة فيحمله على ظهره ويتجه به صوب الأعداء .. صوب الرصاص النهم ولا يخشى الموت في سبيل أداء واجب إنساني . فيراه الاستراليون فيقفون اطلاق الرصاص وينتظرون كأن على رءوسهم الطير . حتى يدنو منهم ويسلمهم جرائمهم ، فتنهمر دموع الشّكر من أعينهم ويقدمون له الحلوى والتبغ ، فيرفض قبولها .. مصطفى كمال يرى ويسمع كل ذلك . فيكون لجنوده خير قدوة . ومن ذلك ما يرويه عنه كبار أركان حربه : فهو يخرج من الخنادق ليشرف على الميدان بنفسه ، فيراه الاستراليون ويقذفونه بآلاف من الطلقات .. ويشعر الضباط بخرج الموقف فيتوسلون إليه ألا يعرض نفسه للتهلكة ، فيقول : «كيف أخاف وجنودي لا يخافون؟»

ثم يمد يده الى جيئه فيخرج لفافة من التبغ ويشرع في تدخينها بكل هدوء ، ويتحدث إلى ضباطه حديثاً طويلاً . حتى إذا ما احترقت اللفافة عاد إلى الخندق بكل بساطة وكأنه لم ينج من الموت بأعجوبة ..

وفي الليل - إذ يجلس كمال في خيمته - نراه يداعب بأصابعه بيانو كبيراً جلبه معه من استانبول . . وهذا البيانو - مع عدد من السجاجيد العجمية الأصيلة - هو كل ما يملك هذا الجندي من وسائل الترف في جحيم غالیولي

* * *

وتظل حرب الخنادق على أشدّها حتى يرى مصطفى كمال أنّ أعصاب جنوده لم تعد تحتملها ، فيفكّر في الهجوم كعلاج شاف لأعصابهم ، وكانت حالة الميدان تسمح بهجوم موفق . ولكن سوء الطالع يحمل أنور على زيارة خطوط النار في ليلة الهجوم ، فيرفض خطة كمال ويُسخر منها . وتقوم بين الرجلين مشادة عظيمة تتسرّب إلى الضباط ، ثم إلى الجنود ، فيفكّر كمال في الاستقالة ، ولكن فون ساندرس يهدى من روعه ويحمل أنور على الموافقة على الهجوم

ييد أن الجنود كانوا قد سمعوا بالمشادة - وكان الواجب يقضي باصدار الامر اليهم ساعة الهجوم ولذلك يفشلون في هجومهم ، ويبيّنس أنور ابتسامة الشهادة فيقدم كمال استقالته في الحال . فيعود فون ساندرس إلى سابق سعيه ويقع عليه في وجوب سحبها

* * *

وفي ليلة أغسطس يشرع الانجليز في هجوم جديد على مرتفع (خوجه تشيم) بعد أن يُؤسّوا من (تشونوك باير) ، فيزحف عليه ستة عشر الف استرالي ويُكادون يبلغون القمة ، لو لا مبادرة كمال إلى إرسال النجدات إلى القوات المدافعة عنها . فإذا ما أصبح الصباح وقف الاستراليون القتال . فيتهاز كمال الفرصة ويزيد في القوات المدافعة عن المرتفع ، وبذا يفوّت عليهم فرصة الاستيلاء عليه الانجليز في حالة عصبية . والبرلمان الانجليزي يحمل على لويد جورج وكتشرل وتشرشل ويطالبهم بسرعة كسب المعركة كتشنز يرق إلى السير ايام هاملتون يسأله عن أسباب هذا الفشل المتكرر ، ويصدر أوامره بالهجوم التوالي العنيف فيهم الانجليز في فجر يوم ٨ أغسطس من جهة خليج (سلفا) و (أنا فرطة)

بغية الوصول الى مرتفع (تشونوك باير) . وتتدفق الفيالق الاسترالية والنيوزيلاندية على خطوط الأتراك فتكاد تخترقها ، ويقاد الأتراك ينهزمون ، لولا كمال وإرادته الفولاذية ، فهو يقلب المزية نصراً ويرد الأعداء على أعقابهم .
ويعرف فون ساندرس بأن هذا النصر معجزة من أروع معجزات الحرب ،
ييدعو كلاما في المساء الى خيمته ، ويقوم له في احترام وإجلال ويقول : « نحن الآن
في أشد مواقف الحرب هولا . وجندنا على وشك الانهزام . والأمداد لا تكاد تصلنا
من استانبول ، ولذلك قررت أن أوليك قيادة جميع الجيوش المدافعة عن غالیولي ..
فهل قبلت القيادة ؟ »

هل قبلها ؟ ! انه يحرق اليها . انه يعيش ليرى هذا اليوم فكيف لا قبلها ؟

* * *

وفي اليوم التالي يصل بضعة آلاف من الجنود الجدد فأيام كمال جيوشه بالهجوم ،
فينطلق الأتراك من مخايبهم كالقذائف ، ويكونون على الأعداء كردة تزلزل الأرض تحت
أقدامهم فيرون الى الساحل .. فيلاحظهم الأتراك بحراب بنادقهم ويقتلون منهم
عشرات الآلاف .. وفي هذا المول يطلق الأسطول الأنجليني مدفعه على الفريقين
المتحاربين ففتاك بهما فتكا ذريعا
ولكن الأنجلين مصممون على بلوغ قمة (تشونوك باير) . وكتشنر لا يكاد يصدق
أنباء المزية .. ولذلك نرى في اليوم التالي هجوما هائلا على (تشونوك باير) ، ونرى
الربع يدب في قلوب القواد المدافعين عنها ، فهم لذلك يستدعون كلاما بالتليفون ،
فيقول لهم ببرود عجيب : « لا تخافوا ودافعوا عن القمة حتى أصل اليكم .. »
وهناك على قمة (تشونوك باير) يقف كمال ومنظاره الكبير في يده ، والطلقات
تنصب حوله من كل جانب ، فيرى أن الموقف يستدعي هجوماً عاجلا ، وإلا فالمزية
محقة . فأيام بجمع جميع القوات ويكتسها في الخنادق ريثما تنتظم ، ثم يسير في وسط
الجنود كالذئب قائلا : « لا تتبعوا الهجوم يا أبناءى .. انتظروا حتى ترون خارج
الخنادق ، حتى اذا ما لوحت يدي في الهواء فانطلقوا من مخابئكم واحكموا تصويب
طلقاتكم الى الأعداء ، وساً كون أنا في طليعتكم .. »
وعند الهجوم (الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي) ييرز كمال الى خط النار وحده ..
ويقف في الجحيم وحده .. ثم يلوح يده في الهواء وينطلق صوب الأعداء ..

الجنود يعدون خلفه ، وهتاف الحرب : « الله ! الله ! » تردد في الآفاق . . .
والاستراليون يفرون كالأنعام . . إلى الساحل . . إلى الماء . . فيفتح الأسطول أفواه
مدافعه فتصب الموت عليهم وعلى الأتراك صباً . . وانك لترى من خلال القذائف
والدخان جنوداً من الترك ينزلون إلى الماء ويلاحقون العدو بحراب بنادقهم حتى
يغرقوهم ثم يعودون من ينجو منهم إلى الساحل ويءوت من يموت بقنابل الأسطول . .
وبذلك يخسر الانجليز معركة الدردنيل ، وينهزمون أشنع انهزام عرفوه في
تاریخهم الطويل

* * *

ولا نود أن نطيل الحديث بعد ذلك فقد عاودوا الهجوم مرتين فارتدوا منهزمين
وفي ذات يوم من شهر ديسمبر يقف مصطفى كمال باشا - وهذه هي رتبته
المجديدة - متطلعاً إلى خنادقهم ، فيعجب لانطلاق المدافع دون أن يرى ثمة حركة
تشعر بوجود الجنود . وإلى البحر فلا يرى الأسطول ، فياً مِن الشاكفين باستطلاع
حقيقة الأمر ، فيعودون بعد دقائق ليقولوا إن الانجليز فروا من الميدان في الليل ،
وإن هذه القنابل تنطلق من بضعة مدافع بطريقة أوتوماتيكية !

فيزحف الأتراك على خنادق العدو مهليين مكبرين . وينذهب مصطفى كمال باشا إلى
الشاطئ فيقف على صخرة تشرف على البحر ويتطلع إليه بانتظاره المكبّر ، فيرى على
بعد سقيق تقاطاً سوداء لا تكاد تظهر إلا تختفى بعد قليل . . .

فيتسنم . . .

نروي فيما يلى حادثة وقعت ابان هذه المعركة - وإن كنا لا نعلم على وجه التحقيق في أية
معركة بالذات - لقطع القراء على ناحية من نواحي شخصية كمال الفذة :
في احدى المعارك وقف كمال على راية يشرف على القتال . فرأى كتلة من الجيش يستشهد
قائدها - وكان برتبة بكمباني ، فخل محله من هو دونه في القيادة ، ثم استشهد بدوره ، فخل محله
ضابط آخر رتبته أقل من رتبته ، وهكذا حتى وصل ضابط برتبة ملازم إلى منصب القيادة
ورأى كمال أن الضابط يحسن ادارة رحى الحرب فقسم على منحه رتبة البكمبانية بعد المعركة ،
ولكن تبين له بعد قليل من الزمن ان الضابط أبرق الى القيادة في طلب الرتبة لأنه مرتبك
ويخشى أن يتحمل المسئولية . . فاحتقره ، وقسم على ابقاءه ملازمًا طول عمره !

الوطن في خطر!

استانبول لابس زيتها رافعة أعلامها : فقد اتصرت تركيا على الحلفاء
وبرلين خور بأننا فرطة ، وبطل أنا فرطة
ورجل الشارع - ولم لا نقول رجل الحرب ؟ - معجب بمصطفى كمال الذى اتصر
في أول معركة كبيرة قادها في حياته
والهمس يكثر . . والمقارنة بين أنور المتهور المنزه وجمال المدحور ، وبين
مصطفى كمال المتصر تسمعها من كلا الرجلين
فما لمصطفى كمال لا تطيب نفسه بهذا النصر الحالك والمجد الحالك ؟
إنه يعود إلى العاصمة كاسف البال مقطب الجبين لاعنة الساعة التي دخلت فيها
تركيا الحرب في صف المانيا المنزهة !
أجل . . المانيا المنزهة !

هذا يقرأ أبناء الميدان الغربي فيتأوه كما يتاؤه الوحش الجريح
هذا يذهب إلى صديق له في عموم أركان الحرب ويبيسط له ما يساور نفسه
من الشك والهلع على مصير بلاده ، ويدعم أقواله بأسانيد عسكرية لا تقبل الجدال ،
فيطمئن الموظف خاطره ويفهمه أن وساوسه ليست إلا صورة مجسمة لقوة إيمانه
بالوطنية ، وأن المسؤولين عن الامبراطورية العثمانية مسوقون بما رأوه من عظمة
الألمان وقوتهم التي لا تنازع .. فيقارعه مصطفى كمال الحجة بالحجية ، ويضرب له مثلا
تلك المعركة التي خرج منها متصرّاً ، ولو لا أنه – وهو القائد التركي – تسلم القيادة
العليا من فون ساندرس الألماني لحاقت بالوطن هزيمة من أشنع المهزائم ..
فيقول له الموظف وقد برم به أخيراً :

— دعنا نعمل في هدوء يا كمال وإن كنت مسؤولاً أمام ضميرك ، فستقوم بأعمال جليلة يطيب لها خاطرك وتدھش العالم أجمع !

مصطفى كمال يبتسم ابتسامته الصفراء العهودة ، ويختقر في قراره نفسه هؤلاء الموظفين الذين يجهلون كل شيء ، ويتظاهرون بعمرفة كل شيء .. فيخرج من عند الموظف وهو يقول لنفسه :

—كيف يعرف هذا الداعي مصر الحرب ، في حين أن أنور نفسه لا يعرف من

مصيرها إلا ما يريد الألمان أن يعرف ؟
ثم يزور الصدر الأعظم طلعت باشا ، هذا الرجل الكبير الخالص لبلاده ، فيسمع
منه تلك النغمة بذاتها

فيذهب إلى وزارة الخارجية ويطلب مقابلة الوزير . فيرى هناك طائفة من زائري
الوزراء المعهودين : نصفهم مداهون ، والنصف الآخر من عشاق السياسة والمناقشات
السياسية الأفلاطونية . ويسمع أحاديث الحرب ومصائر الأمم والشعوب من طائفة
هي أبعد الناس عن السياسة وال الحرب ، فيبدى لهم احتراره الشديد ..

ويتجاهل الوزير حضوره حيناً ثم يسمع له بالمقابلة . فيأتي رجل الحرب إلا أن
يلقي على رجل السياسة درساً قاسياً ، فيقول للحاجب بصوت جهوري يسمعه كل
الحاضرين - وفيهم الوزير طبعاً :

— ليتظر سعادة الوزير ..

ثم يتحدث إلى أحد الموظفين بعض دقائق حتى يطمئن إلى أن الوزير تلقى الدرس ،
فيدخل عليه ، فيحييه الوزير بشاشة ويظهر له ارتياحه من السياسة العامة .. فيناقشه
مصطفى كمال ويظهر له قوله الشديد على مصير الوطن ، ويعرض عليه حلاً هو
التخلص من سيطرة الالمان على شؤون وزارة الحرية ، ومعالجة الحرب بعد ذلك
 بما تقتضيه مصالح تركيا وحدها لا مصالح المانيا الجشعة .. فيجتهد الوزير ويقول له إن
وزارة الحرية أجدر من وزارة الخارجية بالنظر في حوله ، وبذذا تنتهي تلك المقابلة
على لاشيء ، وينخرج رجل الحرب من عند رجل السياسة الثعلبية ليقول في مذكراته :
« أما أنا فكنت على ثقة من أن هؤلاء الرجال الذين لا يعرف لهم رأس ولا
ذنب ، والذين يتأنّه بعضهم بدعوى العبرية ، ويتّه البعض بدعوى العلم ، ويختال
بعضهم بدعوى الدكتاتورية ، لا يستطيعون أن يصلوا إلى مصطفى كمال الحقير بأي
أذى . إنهم كانوا يقدرون على شيء واحد هو القاء القبض على مصطفى كمال وشنقه
استناداً إلى ما بأيديهم من قوة وسلطان . بيد أنني كنت أعد من النعم الجزيلة أن
تسمع الأمة في ذلك اليوم بآعصياني . . . »

ولم يذهب إلى وزارة الحرية طبعاً فقيها أنور الساخط عليه ، وفيها مئات من
الالمان الذين إذا رأوه قطعوا وجوههم وكشروا عن انفاسهم
وأخيراً يعود إلى مخدعه في فندق « بيرا بالاس » ليقف ليلاً ساهراً يحز على

أضراسه ويعلن سخطه على أنور الدكّاتور ، ووزير الخارجية الدبلوماسي ، وساور
من في وزارة الحرية من الألمان

قائد لفلول أنور !

عفا الله عن أنور . فان التاريخ لن يغفر له طيشه وحرکاته الجنونية
ما باله يسوق أكثر من مائة الف مقاتل من زهرة الشباب الترکي الى القوقاز في
تلك الجملة المشؤومة التي تذكرنا بحملة نابليون الروسية ؟

لقد أراد أن يقوم بعمل كبير من شأنه أن يدحر الروسيا في الشرق كما دحرها
الألمان في الغرب . ولكنـه لم يفطن الى استحالة الحرب في القوقاز - وخاصة في الشتاء -
دفع بجيـالـهـ الىـ الثـلـوجـ وـالـجـوـعـ فـهـلـكـتـ . فـلـماـ أـيـقـنـ منـ فـشـلـهـ تـرـكـ فـاـلوـهـاـ عـلـىـ الـحـدـودـ
الـرـوـسـيـةـ ، وـعـادـ اـلـىـ اـسـتـامـبـولـ لـيـرىـ بـعـيـنـ رـأـسـهـ اـتـصـارـ غـرـيـهـ عـلـىـ الـحـلـفـاءـ فـيـ الدـرـدـنـيـلـ ،
وـهـاـ هـوـ ذـاـ الـآنـ يـعـيـنـ غـرـيـهـ قـائـدـاـ لـهـذـهـ الـفـلـولـ !

مـصـطـفـيـ كـمـالـ يـقـبـلـ هـذـاـ تـعـيـنـ رـاغـمـاـ ، وـيـذـهـبـ اـلـىـ مـقـرـ قـيـادـتـهـ ، فـيـرىـ أـنـ الرـوـسـ
الـذـيـنـ هـاجـمـهـ أـنـورـ اـنـقـلـبـواـ مـاـهـجـمـينـ ، وـأـنـهـمـ اـحـتـلـوـاـ وـانـ وـبـتـلـيـسـ وـمـوشـ وـأـرـضـرـومـ
وـاستـعـدـواـ لـهـجـومـ وـاسـعـ النـطـاقـ عـلـىـ تـرـكـيـاـ نـفـسـهـاـ

وـيـعـرـضـ جـيـشـهـ فـيـهـ قـرـهـ ماـيـرـاهـ مـنـ ضـعـفـهـ وـقـلـةـ تـدـريـسـهـ وـنـقـصـ مـؤـنـهـ وـذـخـارـهـ .
فـيـرـقـ اـلـىـ وـزـارـةـ الـحـرـيـةـ إـلـىـ أـنـورـ فـيـ طـلـبـ المـدـ وـالـسـلاـحـ وـالـمـهـمـاتـ وـالـأـغـذـيـةـ ، فـلـاـ
يـصـلـهـ رـدـ ، وـلـاـ تـبـأـ وـزـارـةـ الـحـرـيـةـ بـطـلـبـاتـهـ . فـيـعـكـفـ عـلـىـ جـيـشـهـ بـحـالـتـهـ الـراـهـنـهـ وـيـخـاـولـ
إـتـيـانـ الـمـسـتـحـيلـ لـتـدـريـسـهـ وـإـعـدـادـهـ لـلـلـاقـةـ الـرـوـسـ ، وـيـكـوـنـ عـصـمـتـ وـكـاظـمـ قـرـهـ بـكـيرـ
أـكـبـرـ عـوـنـ لـهـ فـيـ هـذـاـ عـلـمـ الشـاقـ : عـصـمـتـ الـذـيـ يـتـجـاهـلـ الـكـلـامـ الـكـثـيرـ وـيـعـرـفـ
الـعـلـمـ الـكـثـيرـ ، وـكـاظـمـ قـرـهـ بـكـيرـ الـجـنـديـ الـخـشنـ الـذـيـ يـنـفـذـ الـأـوـامـرـ الـعـسـكـرـيـةـ بـخـافـرـهـاـ
وـبـيـنـاـ هـؤـلـاءـ الـثـلـاثـةـ فـيـ عـمـلـهـمـ الشـاقـ ، اـذـاـ بـالـقـيـصـرـيـةـ الـرـوـسـيـةـ تـقـاذـفـهـاـ الـتـيـارـاتـ
الـسـيـاسـيـةـ فـتـصـبـحـ كـالـرـيشـةـ فـمـهـبـ الـرـيـاحـ . وـاـذـاـ بـالـشـوـرـةـ الـحـمـاءـ توـشكـ أـنـ تـأـكـلـ
الـأـخـضـرـ وـالـيـابـسـ

الـثـوـرـةـ تـتـسـرـبـ مـنـ بـطـرـسـبـرـجـ اـلـىـ مـعـسـكـراتـ الـرـوـسـ فـيـ سـاـئـرـ الـمـيـادـينـ . وـمـصـطـفـيـ
كـمـالـ يـشـاهـدـ اـنـخـالـ الـجـبـهـ الـرـوـسـيـةـ الـمـعـسـكـرـةـ أـمـامـهـ فـيـشـكـرـ لـمـقـادـيرـ عـمـلـهـاـ عـلـىـ اـزـاحـةـ

هذا الخطر الجسيم على كيان تركيا . فإذا شرع الروس في التقهقر وغادروا الميدان الشرقي إلى ميدان الكفاح الأحمر في الروسيا نفسها ، شرع هو في التقدم إلى الشمال فنراه يدخل وان وبتليس وموش وبذا يستعيد ما خسره الأتراك بمحاجة أنور . ثم يتقدم شطر باطوم ويقف على كتل هائلة من الارمن المؤلمة في بعث أرمنستان من عالم التاريخ والأنقاض

ويبينا هو في هذا العمل الشاق ، إذا بالأمر يصدر إليه بالسفر إلى سوريا حيث الخطر الانجليزي الذي ينذر باقطاع الشرق الأدنى من حوزة الامبراطورية العثمانية

* * *

والآن ننتقل إلى حلب في شمال سوريا
أنور ، وجمال ، وفلكتهابن يشرفون على الحركات العسكرية في ميدان
الشرق الأدنى

الإنجليز دخلوا بغداد وهددوا الموصل . وهم الآن يستعدون لهجوم واسع النطاق لاجلاء الأتراك عن اليمين والخجاز والعراق وسوريا وفلسطين . والذهب الانجليزي ينثره لورانس الماسوس ذات اليمين وذات الشمال . ومس بل في العراق توشك أن تخفي ثمار ما غرسته طوال السنين في القبائل العراقية الكردية

مصطفى كمال يهبط الميدان فيقطنط من النصر منذ الساعة الأولى . وقود الميدان شرحون له خطة للهجوم على بغداد ومصر فيعارض فيها معارضة شديدة . فيحاول فلكتهابن أن يستميله بالرشوة ويرسل إليه صندوقاً ملأه بالذهب . فيعيده إليه مصطفى كمال محترقاً تلك الوسائل الخفيرة لكسب القلوب

وفي ذات يوم يعقد المجلس العسكري لمباشرة تنفيذ الخطط الحربية . فهو مصطفى كمال على القواد بقد جارح . ويسود المجلس جو من النقاش الحامى . ويوجه فلكتهابن إلى مصطفى كمال كلاماً جارحاً . فيرد عليه كمال بقارص الكلم . ثم يستقر رأيه على الاستقالة . . فلا يقبلها أنور . فيصر كمال عليها . فيقول أنور إنه سينقله إلى ميدان أرضروم . فيرفض كمال العودة إلى ذلك الميدان الذي لم يعد فيه نشاط حربى . فيرى أنور أن خير طريقة للتخلص من هذا الموقف الشاذ هو منع كمال إجازة مرضية إلى أجل غير مسمى . ولكن فلكتهابن لا يوفق على الإجازة ويرى محاكمة القائد المتمرد امام مجلس عسكري ، وأخيراً يستقر الرأي على الإجازة المرضية

ويعود مصطفى كمال إلى استانبول بال يقتربه من جمال ، مؤثراً البطالة على
الموافقة على خطط حرية يرى أنها لا شك فاشلة

مع هند برج في خط النار

مصطفى كمال مقيم في فندق ييرا بالاس باسطنبول
وفي صباح ذات يوم يصدر إليه الأمر بمصاحبة ولـي العهد محمد وحيد الدين في
رحلة إلى خط النار في الميدان الغربي
يا لها من فرصة سعيدة !

المانيا تشعر بما يجيش في صدور الترك من القلق على مصيرهم ، فترتب تلك الزيارة
الشاهانية وتدعـو محمد الخامس لزيارة الميدان الغربي ، فتعذر الحكومة العثمانية
بـرـض الخليفة ، وتنـيـبـ عنه ولـي عهـدـه ، وـتـلـحـقـ بهـ كـلاـ الشـائـرـ علىـ المـانـيـاـ والـحـربـ
فيـ صـفـ الـامـانـ ليـرىـ بـعـيـنـ رـأـسـهـ عـظـمـةـ الـامـانـ فـ خـطـ النـارـ
فـكـرـةـ بـدـيـعـةـ مـنـ أـنـورـ .ـ وـسـيـعـودـ كـمـالـ مـنـ تـلـكـ الـزـيـارـةـ مـتـحـمـساـ لـاـمـانـيـاـ ،ـ عـامـلاـ
عـلـىـ مـسـاعـدـتـهـ وـالتـضـيـحـةـ بـكـلـ مـرـتـخـصـ وـغـالـ فـ سـبـيلـ نـصـرـتـهاـ .ـ

مصطفى كمال يدرك كل ذلك في طرفة عين . فيتسـمـ ابتسـامـتهـ الصـفـراءـ .ـ وـيـذـهـبـ
هوـ وـنـاجـيـ بـكـ استـاذـ فـنـ التـرـيـةـ العـسـكـرـيـةـ بـالـمـدـرـسـةـ الـحـرـيـةـ إـلـىـ السـرـايـ لـيـقـابـ ولـيـ
الـعـهـدـ وـيـتـعـرـفـ إـلـىـ الـيـهـ قـبـلـ مـصـاحـبـتـهـ فـ السـفـرـ

ويرـىـ الرـجـلـانـ ولـيـ العـهـدـ مـحمدـ وـحـيدـ الدـينـ :ـ كـهـلاـ خـائـرـ الـاعـصـابـ خـامـدـ الـعـقـلـ
لـاـ يـفـيقـ مـنـ نـومـهـ .ـ أـوـ تـنـاوـمـهـ الدـبـلـوـمـاسـيـ .ـ .ـ وـلـاـ تـبـدوـ عـلـيـهـ بـارـقةـ مـنـ الذـكـاءـ !ـ
ويـتـسـأـلـ مـصـطـفـيـ كـمـالـ :

ـ كـيـفـ يـهـيمـنـ هـذـاـ الـابـلهـ عـلـىـ مـصـيرـ الـأـمـبـاطـورـيـةـ العـثـمـانـيـةـ فـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ ؟ـ
ـ وـيـحـيـنـ السـفـرـ ،ـ فـيـذـهـبـ ولـيـ العـهـدـ إـلـىـ الـمـحـطةـ فـ حـلـةـ مـلـكـيـةـ -ـ معـ أـنـ مـصـطـفـيـ
ـ كـمـالـ كـانـ قـدـ نـصـحـهـ بـلـبـسـ الـحـلـةـ الـعـسـكـرـيـةـ -ـ لـأـنـهـ مـوـفـدـ فـ بـعـثـةـ عـسـكـرـيـةـ .ـ
ـ وـظـهـرـ بـعـدـ التـحرـىـ أـنـ ولـيـ العـهـدـ (ـ زـعـلـانـ .ـ .ـ)ـ قـدـ اـنـزلـتـ رـتـبـتـهـ مـنـ فـرـيقـ إـلـىـ
ـ أـمـيـرـ لـوـاءـ ،ـ وـهـوـ لـذـلـكـ يـرـفـضـ أـنـ يـلـبـسـ الـحـلـةـ الـعـسـكـرـيـةـ وـيـؤـثـرـ عـلـيـهـ الـحـلـةـ الـمـدـنـيـةـ فـ
ـ زـيـارـةـ خـطـ النـارـ !ـ

ثم يعرض ولـى العهد الجنود المصطفين لوداعه ، فيجهل أبسط قواعد العرض العسكري ، ويـكـاد الجنـود انفسـهم يـضـحـكون لـفـرـط جـهـلهـ وـبـلاـهـتـه ..

ثم يقوم القطار ويـجـتـازـ الحـدـودـ التـرـكـيـةـ فـطـرـيقـهـ إـلـىـ المـانـيـاـ وـيـدـعـوهـ ولـىـ العـهـدـ إـلـىـ صـالـونـهـ ، فـيـدـخـلـ عـلـيـهـ مـصـطـفـيـ كـمـالـ فـتـأـخـذـهـ الـدـهـشـةـ : قد تـبـدـلـ ولـىـ العـهـدـ رـجـلـ آـخـرـ غـيرـ الرـجـلـ الـحـامـلـ الـذـيـ لاـ يـكـادـ يـفـيـقـ مـنـ نـوـمـهـ ، وـالـذـيـ يـجـهـلـ كـيـفـ يـعـرـضـ الجـنـودـ ..

تبـدـلـ ولـىـ العـهـدـ فـظـهـرـ فـيـ لـحـاتـهـ وـلـفـتـاتـهـ وـبـرـيقـ عـيـنـيـهـ دـهـاءـ وـبـعـدـ نـظـرـ ..

وـظـهـرـ لـمـصـطـفـيـ كـمـالـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ تـلـكـ الـبـلاـهـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـبـدوـ عـلـىـ وـحـيدـ الدـينـ لـمـ تـكـنـ إـلـاـ نـقـابـاـ يـخـفـيـ بـهـ ولـىـ العـهـدـ أـهـلـيـتـهـ لـلـحـكـمـ ، فـقـدـ كـانـ فـيـ تـقـالـيدـ خـلـفـاءـ آلـ عـمـانـ أـنـ يـكـونـ ولـىـ العـهـدـ خـامـلاـ جـاهـلاـ لـاـ يـكـادـ يـخـرـجـ مـنـ جـنـاحـ الـحـرـمـ ، وـإـلـاـ فـالـنـقـمةـ تـتـصـبـ عـلـيـهـ مـنـ الـجـالـسـ عـلـىـ الـعـرـشـ !! ..

ماـ بـالـ ولـىـ العـهـدـ يـتـدـحـهـ وـيـثـنـىـ عـلـىـ شـجـاعـتـهـ فـيـ مـعـرـكـةـ الدـرـدـنـيلـ ؟

إـنـهـ يـقـولـ لـهـ فـيـ حـمـاسـ ظـاهـرـ :

— إـنـكـ اـنـقـذـتـ الـآـسـتـانـةـ ، وـبـذـاكـ اـنـقـذـتـ كـلـ شـئـ ..

ثم يـتـلـطـفـ مـعـهـ فـيـ الـحـدـيـثـ وـيـجـاـولـ أـنـ يـحـتـكـرـ قـلـبـهـ .. فـيـطـمـئـنـ مـصـطـفـيـ كـمـالـ إـلـيـهـ ، وـيـرـىـ فـيـ خـلـيـفـةـ الـفـدـ وـصـدـيقـ الـمـسـتـقـبـلـ ، فـيـحـاـولـ أـنـ يـضـمـهـ إـلـىـ صـفـهـ ، وـلـذـاـ نـزـاهـ يـحـدـثـهـ حـدـيـثـاـ طـوـيـلاـ يـخـرـجـ مـنـهـ ولـىـ العـهـدـ بـأـنـ الـأـمـةـ التـرـكـيـةـ فـيـ مـوـقـعـ عـصـيـبـ : فـهـيـ عـلـىـ تـكـأـةـ ظـاهـرـهـاـ قـوـةـ وـجـبـوتـ ، وـبـاطـنـهـاـ غـرـورـ وـسـوءـ تـقـدـيرـ . وـهـؤـلـاءـ الـأـلـمـانـ الـدـينـ دـعـوـهـ لـزـيـارـةـ مـعـسـكـرـاـتـهـ لـاـ شـكـ مـنـزـمـونـ ، وـسـيـرـونـهـ مـاـ يـرـيـدـونـ هـمـ أـنـ يـرـىـ . وـأـنـهـ أـيـ مـصـطـفـيـ كـمـالـ — سـيـكـونـ لـهـ خـيـرـ نـاصـحـ ، فـيـطـلـعـهـ أـولـافـأـولـاـ عـلـىـ مـوـاطـنـ الـضـعـفـ فـيـ صـفـوـفـهـمـ ، حـتـىـ إـذـاـ مـاـ خـلـصـتـ لـهـ الـخـلـافـةـ عـمـلـ عـلـىـ التـخـلـصـ مـنـ نـيـرـهـمـ لـمـصـلـحةـ بـلـادـهـ ..

ويـصـلـ الـقـطـارـ إـلـىـ بـلـدـةـ صـغـيرـةـ فـيـهـ الـمـعـسـكـرـ الـأـلـمـانـيـ الـكـبـيرـ . فـيـنـزـلـ ولـىـ العـهـدـ تـتـبعـ حـاشـيـتـهـ وـيـتـوـجـهـ إـلـىـ حـيـثـ وـقـفـ أـمـبـاطـورـ الـمـانـيـاـ وـهـنـدـبـرـجـ وـلـوـدـنـدـورـفـ وـغـيـرـهـمـ منـ كـبـارـ الـقـوـادـ ، فـيـسـلـمـ عـلـيـهـ وـيـقـدـمـ لـهـ حـاشـيـتـهـ فـرـداـ — وـفـيـ طـلـيـعـهـمـ مـصـطـفـيـ كـمـالـ — وـيـجـاـولـ أـنـ يـذـكـرـ لـلـأـمـبـاطـورـ طـرـفـاـ مـنـ تـارـيـخـهـ ، فـيـصـيـعـ الـأـمـبـاطـورـ صـيـحةـ كـلـهاـ إـعـجـابـ وـدـهـشـةـ :

— الـفـيلـقـ السـادـسـ عـشـرـ .. أـنـاـ فـارـطـةـ !

ويلتف الجم الحاشد حول مصطفى كمال يفحصونه ويبدون الاعجاب به !
ثم يعود الامبراطور إلى الحديث فيسأله عما إذا كان حقيقة بطل أنا فارطة .

فيجيبه مصطفى كمال بالفرنسية : Oui, Excellence .

أى « نعم يا صاحب السمو » وكان الواجب يقسى بأن يقول : « نعم يا جلاله
الأمبراطور »

ثم تذهب البعثة التركية إلى مكتب المريشال هندنبرج أكبر رجال الحرب في المانيا ،
فيفق الشیخ الجليل أمام خريطة المیدان ويلخص لولي العهد خططه الخریة بأسلوب
شائق ولباقة ساحرة تؤثر في ولی العهد أبلغ تأثير ، وفي رکن من أركان المائدة يجلس
مصطفى كمال جلسة الفاحص المدقق ، فلا تؤثر فيه لباقة هندنبرج ، بل على العكس -

يبدو عليه القلق الشديد

ثم يذهب ولی العهد إلى مكتب لودندروف ، فيعيد على مسمعه حديث هندنبرج ،
فلا يطيق مصطفى كمال صبراً ، ويقطع على لودندروف حديثه بسؤال محرج :

— إلى أى خط تستطيع القوات المهاجمة أن تصل في النهاية ؟

فيرتك لودندروف ويقول بلسان متلهم : « إنهم وكلوا غایة الهجوم للمستقبل »
فيرد عليه مصطفى كمال في حدة ظاهرة ، بأن الغایة من الهجوم لا تحتاج إلى شرح
طويل ، فهو هجوم موضعى لا يرجى منه خير - حتى في حالة النجاح !
ويعود ولی العهد إلى الفندق فيلتف مصطفى كمال نظره إلى خطورة موقف
الالمان ، ويلقنه بضعة اسئلة ليوجهها إلى الامبراطور في زيارته التالية

وبينماهم في حديثهم ، إذا بالامبراطور يقبل عليهم وينجلس معهم ، فيتهز وحيد الدين
تلك الفرصة ليوجه إليه سؤالاً من اسئلة مصطفى كمال المحرجة ، فيقوم الامبراطور
غاضباً ويقول لولي العهد :

— ألاحظ يا صاحب السمو أن هناك من يحاول تشويش ذهنكم !

ثم يقول إنه هو الامبراطور ، وإنه يقول إن المانيا متصرة ، ، ويخرج من عند
ولي العهد وقد عرف تماماً أن مصطفى كمال هو صاحب هذا السؤال المحرج ..
وتجتمع البعثة على مائدة الامبراطور وبعد تناول الطعام يذهب المدعوون إلى
الردهة المجاورة لقاعة الطعام ، فيرى مصطفى كمال هندنبرج واقفاً وحده ، فيتوجه
إليه ويحدثه عن الحالة في المیدان الشرقي ، ويظهره على جلية الحالة في سوريا ، ويبيّن

له أن الارتكاك الواقع في صفوف الأتراك شديد ، ثم ينتقل إلى الميدان الغربي فيسأله نفس السؤال الذي وجهه للودندورف ، فيصمت هندنبرج ، ثم يتوجه إلى مائدة كانت بجواره فيتناول منها لفافة من التبغ يقدمها المصطفى كمال ويشعلها له ، ثم يتركه وشأنه !

ويدعى ولی العهد لزيارة خط النار بعد أن توضع له خطة مرسومة ، فيأتي مصطفی کمال الا أن يخرج على تلك الخطة ، ويرتقی شجرة عالية تطل على صفوف الأعداء ويطلع الى الميدان بمنظاره المکبر ، فيهوله الموقف ، ويهبط الى الأرض ليسر الى الضباط الامان هوا جسہ ، فهو اقوىہ علیها

وبعد بضعة أيام يقيم لهم والي الالزاس وليمة عشاء ، ويجلس الوالي إلى المائدة ليتحدث عن الأرمن والمشكلة الأرمنية ، ويحضر ولى العهد على التدخل في الأمر لمصلحتهم ، فشور ثائرة مصطفى كمال ويقول له :

— يا حضرة الوالي : نحن بعثة عسكرية جئنا إلى هنا للنظر في حالة الميدان العربي ونعرفحقيقة الموقف في بلاد تحالفنا معها واعتمدنا عليها ، ولم نحضر للتتحدث في مسألة الأرمن . وقد فهمنا ما نريد أن نفهمه . وهذا نحن أولاء عائدون إلى بلادنا آخرًا ..

وكان ذلك الكلمة القاسية آخر كلمات مصطفى كمال في تلك الزيارة التي حسب لها الأثمان ألف حساب

انتقام بديع!

عجيب والله أمر هذا الرجل الذى يكذب الدنيا كلها عندما يقول إن المانيا ستنهزم !
وأعجب من ذلك أن يذهب الى المانيا نفسها فيقول لامبراطورها وماريشالها
لأعظم : « أتم منهزمون ! »

وفي طريق العودة الى الوطن نراه يحيك شباكه حول ولی العهد وخليفة الغد، فينوعز الى ناجی بك بأن يقبل منصب الياوران الذى عرض عليه - وكان متعددًا في قبوله - ليكون له عونا في السرای . ثم يقابل ولی العهد ويدور بينهما الحديث التالي: — أتم لم تصبحوا سلطانا بعد . وقد رأيت في المانيا كيف ان الامبراطور ولی

العهد وسائر الأمراء يتقلدون مناصب عسكرية ، فلماذا تكونون أتم بعيدين عن هذه المناصب ؟

— مَاذَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعُلُ ؟

— عندما تعودون الى الآستانة ، اطلبوا قيادة جيش من الجيوش وسأكون

لکم رئیس اركان الحرب

— قیادہ اے جیش؟

الجيش الخامس

وكان هذا الجيش هو المنوط به أمر الدفاع عن البواغيز، وكان تحت قيادة ليمان

فون ساندرس

— ولكنهم لا يعطونني هذه القيادة !

اطلبوها أتم —

— عندما نعود الى الآستانة نفكر في ذلك

وتعود البعثة الى الاستانة بعد أن تسبقها اشارة دبلوماسية بأن القيادة الألمانية

العامة لم تكن مرتبطة الى وجود مصطفى كمال في صحبة ولی العهد

ویری آنور آنه أخْفَق في سياسته ، إذ ازدادَ كره مصطفى كمال للامان وحقده

عليهم ، فيصم على إقصائه عن مناصب الدولة ، وازاء ذلك يظل مصطفى كمال عاطلا

عن العمل ، وتتوقع صحته فينصح له الأطباء بالسفر الى فينا ، فيسافر اليها ، ثم ينتقل الى مكان آخر ، وذلك ناجياً من أذى ما قد يحيط به في حال الانتقال .

اللائحة المقترنة بالبيانات المطلقة للبيانات

١٥

وَتَدْأِيْنَاهُ تَصَاهُ، سَالَةٌ، قَةٌ مِنْ حَمَادِ عَيَّارٍ، يَكْبُدُهُ دُعَوَّهُ فِي الْحَضُورِ عَلَى

و بذلك يتم تأكيد بحثي في بروتينات التعبير عن المرض، فنعتذر لساد في

بعد المقابلة تحديد موعد ياور الخليفة عزت باشا سر بطلب من العاصمة

و بقابل صدقها الأمس . وقد وضعت أحدهما على رأسه تاج السلطنة ، فيقدم وحيد

الدُّرَنْ بِصَطْفٍ كَمَال لِفَاقَةٍ مِنْ التَّسْعَ وَيُشَعِّلُهَا نَفْسُهُ مِسَالَةً فِي أَكْرَامِهِ، وَعِنْدَمَا يُعِيدُ

مصطفي، كمال على، مسامعه أفكاره وهو احسه ، ويطلب منه تقلد القيادة العامة للجيش

العامل ، يسائله السلطان عن آراء كبار الضباط في ذلك ، ثم يختتم المقابلة على لا شيء وفي مقابلة ثانية يراوغه السلطان أيضاً

وفي مقابلة ثالثة يريد السلطان أن يقطع عليه خط الرجعة ، فيقول إن تزويد أهل استانبول بالغذاء أهم من أي شيء آخر ، وإنه لذلك يفضل البقاء بهذا العمل الإنساني . فيرد عليه مصطفى كمال بأن سلامته البلاد قبل تموين العاصمة بالغذاء ، وأن السلطان إن لم يعتمد على القوة فسلطنته اسمية .. وعندئذ يقول الخليفة وقد صمم على معارضته :

— لقد تذاكرت مع طلعت باشا وأنور باشا فيما يجب عمله
إذاً لقد انتصر أنور ، وانهارت آمال مصطفى كمال في تسخير الخليفة وفق رغباته حتى يقاوم نفوذ الالمان ، ويجد لتركيا مخرجاً من تورطها معهم
وبعد أيام يطلب السلطان مقابلته بعد صلاة الجمعة ، فيدخل عليه فيجد معه قائدين
اللذين ، ويهش الخليفة له ويبيش ويقول :

— قد عيناك قائداً لسوريا فالحالة هناك تشتد خطورة يوماً عن يوم ، مما يستدعي
ذهابكم إليها ، وكل ما أطلبكم هو أن تحافظوا على تلك الجهات فلا تدعوا سبيلاً
لوقوعها في يد الأعداء

• • • • •
قائد سوريا !؟ قائد جيش منهزم !؟
مصطفى كمال يخرج من عند الخليفة ثائراً متأججاً ، فيعرض أنور سبيله وهو
يتسم بابتسامة الظفر ، فيقول له مصطفى كمال :

— مرحي ، أهنئك لقد انتصرت ! ومadam الأمر قد أصبح واقعاً فلتتكلم في
التدابير المعقولة : لقد علمت أن قواتنا المخربة في سوريا مظاهر اسمية لا غير ، وأن
تعيني في تلك الجهة انتقام بديع .. ثم انكم خالفتم الأصول الرعية إذ جاءني الأمر
على لسان السلطان نفسه ..

ولا يتم حديثه بل يسير في طريقه إلى الشارع فيسمع إهانة يوجهها أحد القواد
الالمان إلى الجيش التركي ، فيلتفت إليه في غضب ويقول : «إن الجيش التركي إذا كان
قد فر من الميدان ، فلأن قائده الأعلى - الالماني - سبقه إلى الفرار !!»

الجبهة المنحلة

مصطفى كمال موقن أن رحلته السورية هي آخر فصل من فصول المأساة الكبرى:

مأساة الحرب العظمى

وهو متشارم إلى أقصى حدود التشاؤم ، فالخريطة الحربية التي قدمت له تدل على أن جبهة سوريا منحلة بدون قتال . والحالة في العاصمة تنذر بالخاتمة الأليمة التي ترقبها حكومة الباب العالى

وبعد رحلة شاقة يصل إلى الخطوط التركية المتعددة بين شمالى يافا وسكة حديد الحجاز ، فيعينه ليمان فون ساندرس قائدًا للجيش السابع في القلب الجيش السابع - وسائل الجيوش التركية في سوريا - في حالة بؤس شديد : فعددوها لا يكاد يتتجاوز عشر العدد المطلوب ، والمؤن والذخائر في حكم العدم ، والصحراء تسفى الرمال على جنود أو هنهم الجوع والظماء وفتكت بهم الأمراض ، والحالة العنوية مما لا يشرف الجيوش التركية التي صمدت للنكبات في غير هذا الزمان والمكان . ولكننا نعود فنقول إن من الظلم أن نلومهم على هذا التخاذل فإن ما تحملوه كان فوق طاقة البشر

فإذا سرنا بضعة أميال إلى الجنوب رأينا معسكرات الانجليز حيث العدد العديد والمؤن الوافرة والذخائر المكدسة والمواصلات السهلة ووسائل التسلية والعلاج وعلى جانبي سكة حديد الحجاز نرى عصابات من العرب يقودها المخابرات لورانس ويتحقق خطوط الترك ومواصالتهم أبلغ الأضرار الشواهد كلها تدل على هزيمة الترك . ومصطفى كمال يرى ذلك بعينيه فيبذل جهود الخبراء لصلاح ما أفسده الاهالى والفوبي

وفي ذات يوم يبلغه رأفت قائد الجيش الثامن على الساحل بناءً القبض على ضابط هندي فار من خطوط الانجليز ، وأن هذا الضابط يقول إن الانجليز سيجمون على خطوط الترك من جهة الساحل في ۱۹ سبتمبر فيتناقض قواد الجبهة من الآراك طويلاً ثم يستقر رأيهم على الاستعداد لهذا المجمع ، ويطلعون قئدهم الأعلى ليمان فون ساندرس على قرارهم هذا فيسخر فون ساندرس منهم ويزعم أن الضابط الهندى ما هو إلا جاسوس أو فدئ الانجليز للضحك على ذقون الترك ، وأنه يرى أن الانجليز

سيجرون على الأتراك بالقرب من سكة حديد الحجاز ، وهو لذلك يأمر بتنمية تلك الجهة
يد أن مصطفى كمال لا يوافقه على رأيه ، ويعلم على ألا يسحب من جيشه
أحد للدفاع عن سكة حديد الحجاز ، ويأخذ في الاستعداد لهجوم الانجليز
وفي فجر يوم ١٩ يهجم الانجليز على قلب الخطوط التركية وعلى ميسرتها من
جهة الساحل ، فيصدق الضابط المندى
فأما القلب - بقيادة مصطفى كمال - فيصد لهجوم ، وأما جيش الساحل فيخترقه
الانجليز ، ويتوجهون شمالاً ثم شرقاً لقطع خط الرجعة على سائر القوات التركية
وهنا يدرك كمال حرج الموقف ، فيتراجع بقواته إلى أقرب محطة إليه ، وينقل
قواته إلى درعة في الشمال

وناهيك بحملات الاعراب على فول الترك بقيادة الماسوس لورانس .. انهم
ينسفون الجسور ويعطّلون القطر ويقطّعون السكك الحديدية ، انهم يسمون
الآبار ، ولذلك يأمر مصطفى كمال بالتراجع إلى دمشق
وهناك يطلب فون ساندرس إليه أن ينظم خط دفاع عند رياق ، ييد أن الحالة
المعنوية للجيش ، وثورة العرب ، وسرعة تقدم الانجليز لا تسمح بذلك ، ثم ان
مصطفى كمال يرى أن حدود تركيا نفسها أصبحت في خطر ، ومن الواجب ترك
سوريا للانجليز والتراجع النظم إلى الحدود التركية للدفاع عنها
ولكن فون ساندرس يتربّد في تنفيذ هذه الخطة ، ويقول انه - وهو الالماني -
لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية التخلّي عن جزء مهم من أملاك الامبراطورية العثمانية ،
فيأخذ مصطفى كمال المسؤلية على عاتقه ويصدر أمره بالقفز إلى شمالي حلب
وهناك يشعر بأن الحالة أصبحت لا طلاق ، فالعرب ثائرون ، وكما تقدم الانجليز
خطوة ازدادوا ثورة وعصيانا ، ثم ان جماعة من العرب يهاجمون سيارته وهو عائد
إلى مقر القيادة في فندق « بارون » بحلب ، وفي اليوم التالي يراهم متجمّرين حول
الفندق وقد بلغ بهم الترد درجة الغليان

اذًا لابد من مغادرة حلب أيضًا والاعتصام بالخطوط الدافعية في الشمال ، وهناك
يلم مصطفى كمال شعب جنوده ويعيد تنظيمهم ، ثم يخطب فيهم حاثاً إياهم على الاستماتة في
الدفاع ، فهم الآن لا يدافعون عن أملاك الامبراطورية العثمانية وإنما يدافعون عن الوطن
نفسه ، الوطن الذي أصبح في خطر ..

الجند يتحمرون للقتال ويحسنون الدفاع عن مراكزهم عندما تهاجمهم القوات
المهنية الزاحفة الى الشمال . ويقف المجنوم الانجليزي أيامًا في انتظار الامداد من
الجيش الرئيسي في الجنوب

وفي تلك الازمة العصبية تبرق الحكومة التركية الى مصطفى كمال بأنها عقدت
المدنية مع الحلفاء ووقعت على صلح مودروس ، وتبرق الحكومة الالمانية الى فون
ساندرس بوجوب العودة الى المانيا هو وسائر ضباطه الامان

الرجلان الكبيران : ليهان فون ساندرس ومصطفى كمال يتقابلان في احدى
قهوات آطنة ، فقد دنت ساعة الوداع
كلاهما رجل كبير وجندى حديدى الارادة

الصمت يسود بينهما بضع دقائق . ثم يقطع فون ساندرس على مصطفى كمال جمل
تأملاته بقوله :

« لقد عرفتكم يا صاحب السعادة منذ قيادتكم في أنا فرطه . وانى لفخور بانى
كنت أول من عرف لكم قدرها . ولقد اختلفنا كثيراً . ولكن رغم ذلك
كنا صديقين حميمين . وانى اذ أعود الى وطني الآن - أجدد العزاء في تركي القيادة
لرجل حازم مثلكم »

مصطفى كمال يمد يده لصديقه ويصافحه بحرارة . ثم يفترق الرجلان

ويل للمغلوب !!

مصطفى كمال معسكر بجيشه في آطنة ، فإذا دخلنا مكتبه رأينا منحنياً على شروط
معاهدة مودروس القاسية ، يقتلها بحثاً وقد قطب جبينه وظهر عليه التأثر الشديد
ثم يتناول ورقة ويكتب الى عزت باشا رئيس الوزارة برقية طويلة يسألها فيها عن
 مدى قوة المادة التي تنص على احتلال أنفاق طوروس ، وهل تشمل النفقين المعروفين
بهذا الاسم ، وهل يقع الخط الحديدى الذى يمر بهما فى دائرة الاحتلال ، وهل
تحتل أنفاق أمانوس ؟ كما يسألها عن عدد الجنود الذين سيحتلون الأنفاق ، وعن
موقع الحلفاء من آطنة التي تعتبر جزءاً من تركيا نفسها ، وعمن سيأمر بتسريع
الجيش التركى ، فيجيئه الرد بما لا يشفى غليلا وإن كان ينص على أن الاحتلال لا يشمل

أنفاق أمانوس نفسها ، وان عدد جنود الاحتلال سيقدرها الحلفاء
فيعجب مصطفى كمال لهذا الرد الناقص وهذا الغموض الذى يحيط بالمعاهدة التي
حكمت على تركيا بالفناء ، وييرق الى عزت باشا قائلاً :
« هل تسمع الحكومة بالاحتلال اذا كان عدد الجنود المحتلين كبيراً الى حد
السيطرة على جميع الأناضول ؟ »

ويتساءل عن حدود آطنة ويخشى أن تضم الى سوريا ، ثم يطلع الحكومة على
تصميم الحلفاء على احتلال اسكندرونة ويقول في آخر رسالته :
« اتنا اذا شرعنا في تسييج جيوشنا والانتياد للانجليز في كل شيء قبل الاستعداد
لمواجهة سوء النية والغموض في نصوص المعاهدة ، فانا تكون قد مهدنا السبل
لأطاع انجلترا »

فيجيئه الرد بوجوب التلطف مع الانجليز وعدم مقاومة احتلال اسكندرونة « لأنهم
سوف لا يستفيدون منها الا كما يستفيد الضيف من مضيقه » فيرد عليه مصطفى كمال قائلاً :
« ليس الانجليز على حق في الاستفادة من اسكندرونة وتمويل جيوشهم العسكرية
بجوار حلب منها ، فان في حلب كميات جسمية من الذخائر ، ثم ان المادة الحادية
والعشرين من شروط المهدنة تشير الى إمكان تدارك الذخائر من أطراف كليس
وعينتاب اذا اقتضى الامر تموين القوات الانجليزية العسكرية في حلب ، وانى أؤكد
لحضرتكم أن الغرض من تلك المعاونة الانجليزية لا يمكن أن يكون تموين الجيوش
الانجليزية الموجودة في حلب ، بل ان الانجليز يريدون احتلال اسكندرونة ثم التوجه
بطريق اسكندرونة - قيريق خان - قاطمة - لقطع خط الرجعة على الجيش السابع
الموجود في خط - انتاكية - دير جمال - آخرتين ، فلا يجد هذا الجيش مناصاً عن
التسليم ، وقد فعل الانجليز مثل ذلك مع الجيش السادس في الموصل ، وما يؤيد هذا
الظن شروع الانجليز في تقوية العصابات الأرمنية حول اصلاحية

« وانى أقول لكم بكل صراحة اننى لست الرجل الذى يقدر بجمالية المنذوب
الانجليزى فيدفعه هذا التقدير الى بذل ماء الوجه - أى التلطف المطلوب »

وعلى ذلك فهو يأسف لعدم استطاعته اجاية طلب عزت باشا ، ويقول انه أصدر
أمره الى قواته بمقابلة الانجليز الذين سيخرجون الى اسكندرونة لأى سبب وبأية
وسيلة - بالرصاص ! وإلى الجيش السابع بالتحرك الى الحدود الداخلية حتى يفوت

على الانجليز فرصة أسره ، ويختتم برقته بتقديم استقالته وطلب تعيين من يسمح له ضميره بارتكاب هذه الأغلاط الفاحشة

حتى اذا ما نجا الجيش السابع من الأسر ، يصر عزت باشا على وجوب تسليم اسكندرونة للانجليز ، فيرى مصطفى كمال ألا يحيى عن التسليم فيلغي أمره السابق باطلاق الرصاص على الانجليز ، ويطلب من عزت باشا أن يأمر بتسريح الجيش السابع مع البقاء على اسمه التاريخي « وحدة جيوش الصاعقة »

ثم يجلس الى مكتبه ويحرر الى عزت باشا برقيه مطولة يقول فيها ان المدنـة التي عقدت مع انجلترا لا تشتمـل على الضمانـات التي تـكفل سـلامـة البـلـادـ، وـاـنـهـ لـذـلـكـ يـلـعـ فيـ وجـوـبـ اـسـرـاعـ بـشـرـحـ مـدـلـولـ كـلـ مـادـةـ مـنـ المـوـادـ الـبـهـمـةـ، وـاـلـاـ فـاـنـ انـجـلـتـرـاـ سـتـطـلـبـ كـثـرـ مـاـ طـلـبـ وـتـطـمـعـ فـيـ آـطـنـةـ وـخـطـ قـوـنـيـاـ - أـزـمـيرـ . . ولا يـعـدـ أـنـ تـطـلـبـ بـعـدـ دـلـكـ اـحـتـلـاـلـ الـبـلـادـ كـلـهاـ وـتـطـالـبـ بـحـقـ اـشـرـافـ عـلـىـ شـؤـونـ الـبـلـادـ الدـاخـلـيةـ - شـائـهاـ فـيـ كـلـ مـعـاهـدـةـ مـطـاطـةـ تـلـيـهاـ عـلـىـ شـعـبـ ضـعـيفـ

وبـعـدـ أـيـامـ تـسـتـقـيلـ الـوـزـارـةـ ، وـيـرـقـ عـزـتـ باـشـاـ إـلـىـ مـصـطـفـىـ كـالـ مـلـحـاـ فـيـ وجـوـبـ حـضـورـهـ إـلـىـ الـعـاصـمـةـ . فـيـذـهـبـ إـلـيـهاـ عـلـىـ جـنـاحـ السـرـعـةـ فـيـسـعـ أـنـ الـدـوـلـ الـمـخـتـلـةـ أـرـادـتـ أـنـ تـتـدـخـلـ فـيـ سـيـاسـةـ الـدـوـلـةـ ، وـاـنـ السـلـطـانـ أـخـذـ عـلـىـ عـزـتـ باـشـاـ سـماـحـهـ لـأـنـورـ وـطـلـعـ بـالـهـرـبـ إـلـىـ مـيـاهـ الـبـحـرـ الـأـسـوـدـ مـعـ أـنـهـ كـانـ يـرـيدـ تـسـلـيمـهـاـ لـلـانـجـلـيـزـ ، فـيـسـتـقـيلـ عـزـتـ باـشـاـ وـيـؤـلـفـ الـوـزـارـةـ بـعـدـ صـدـيقـ الـانـجـلـيـزـ وـعـدـوـ أـمـتـهـ : تـوـفـيقـ باـشـاـ

يـسـعـ مـصـطـفـىـ كـالـ بـكـلـ ذـلـكـ فـيـذـهـبـ إـلـىـ عـزـتـ باـشـاـ وـيـخـاـوـلـ اـقـنـاعـهـ بـالـعـدـوـلـ عـنـ استـقـالـتـهـ وـتـأـلـيـفـ وـزـارـةـ جـدـيـدـةـ يـكـوـنـ هـوـ وزـيـرـ حـرـيـتـهـ . وـيـهـرـعـ إـلـىـ مـجـلـسـ الـمـعـوـثـانـ فـيـ قـصـرـ فـنـدقـلـ حـيـثـ يـقـابـلـ عـدـدـ كـيـرـاـ مـنـ النـوـابـ وـيـقـنـعـهـمـ بـوـجـوـبـ الـحملـةـ عـلـىـ وـزـارـةـ تـوـفـيقـ باـشـاـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ إـسـقـاطـهـ وـإـعادـةـ عـزـتـ باـشـاـ إـلـىـ كـرـسـيـ الرـئـاسـةـ ، وـاـنـهـ لـأـخـطـرـ عـلـيـهـمـ مـنـ ذـلـكـ فـالـمـجـلـسـ لـاـشـكـ سـيـحـلـ ، وـمـنـ الـوـطـنـيـةـ أـلـاـ يـعـرـفـ بـوـزـارـةـ خـائـنـةـ كـوـزـارـةـ تـوـفـيقـ باـشـاـ

ويـدـقـ جـرـسـ الرـئـيـسـ إـيـذاـنـاـ بـافتـاحـ الجـلـسـةـ ، فـيـادـرـ الـأـعـضـاءـ إـلـىـ مـقـاعـدـهـمـ وـيـطـلـ عـلـيـهـمـ مـصـطـفـىـ كـالـ مـنـ اـحـدـيـ الشـرـفـاتـ ، فـلـماـ تـعـرـضـ عـلـيـهـمـ الثـقـةـ بـالـوـزـارـةـ يـوـاقـفـونـ عـلـيـهـاـ بـأـغـلـيـةـ الـأـصـوـاتـ ! !

مـصـطـفـىـ كـالـ يـلـعـنـ النـوـابـ وـرـجـالـ السـيـاسـةـ كـلـهـمـ . . وـيـهـرـعـ إـلـىـ الـمـسـرـةـ فـيـطـلـ

مقابلة الخليفة ليذل لديه المجهود الأخير . ولا يكاد يدخل عليه حتى يبادره هذا بقوله :
— انني واثق من أن قواد الجيش وضباطه يحبونكم . فهل تؤكّد أنه لن ينالى
منهم أذى ؟

فيجده مصطفى كمال في دهشة :

— وهل وصلتكم يا مولاي معلومات عن الجيش تشعر بتدبرير يقوم به ضدكم ؟
فيغمض وحيد الدين عينيه ويكرر سؤاله الأول .. فيقول مصطفى كمال انه وصل
إلى العاصمة من بضعة أيام ، وانه على كل حال لا يشك في اخلاص الجيش لモلاه ..
فيقاطعه الخليفة بقوله :

— أنا لا أتحدث عن اليوم وأنا أتحدث عن اليوم وعن الغد
فيفهم مصطفى كمال سوء نيته وما يبيته للوطن من خيانة هائلة ، فيخرج من لدنها
ساخطاً عليه ثأراً على السلطة وعلى الخلافة
وبعد بضعة أيام يحل مجلس المبعوثان ويؤلف الوزارة الجديدة الداماد فريد
والآن ندعه يصور لكم استانبول المحتلة :

« و كنت وأنا في بيتي في « شيشلي » أرقب الحالة الجديدة عن كثب . وكانت
الاستانة تعج بجنود الحلفاء . وكان البسفور يوج بردراعاتهم التي صوبت أفواه
مدافعها ذات اليدين وذات الشمال حتى غطت زرقتها . وكان الناس لا يخرجون من
منازلهم الا للضرورة القصوى ، قلدا خرجوا تسللوا بجوار الجدران خشية التعرض
لللاهانة . وكانت المناظر المفجعة لا تكاد تنقطع .. فقد لبست الاستانة العظيمة ثياب
الذل والخنوع ، وخففت أصوات مئات الآلاف من سكانها فلا تسمع فيها الا أصوات
الأعداء وقفعمة سلاحهم .. ومن عجب أن رأى أناساً يتذمرون قيام السلطة
والحكومة والحياة في هذا الوسط الذي كانت تطوه الأقدام كما تطا الخرقة القدرة ! »

تم الكتاب الأول

الكتاب الثاني

جها و استقلال

«نعم سيصبح الوطنيون عبيداً إذا
انهزموا . ولكن شتان بين الرق بعد
الجهاد ، والرق بدون جهاد : فهذه أمة
جاهرت ثم قبضت نجها ، وتلك أمة ماتت
ميتة حقيقة بدون جهاد !»

مصطفى كمال

مذبحة ازمير

مؤتمر الصلح الأعلى مجتمع في باريس
ولسن ولويد جورج وكليانصو وارلاندو ييتون في مصير العالم
وفي ٦ مايو سنة ١٩١٩ يسعى فنزيلوس سعيه المشهور فيخوله مؤتمر الصلح حق
احتلال ازمير احتلالا عسكريا تحقيقاً لمطامع اليونان في الأناضول
وتصدر الحكومة اليونانية منشورا تقول فيه ان احتلال ازمير العسكري اعتراف
شرعى بطالب اليونان في غرب آسيا ، وانه حادث عظيم له مغزى جليل ، لأنه
جرى بموافقة جميع الدول العظمى . . .
وبذلك يرفع السhtar عن أول مهزلة من سلسلة المهازل التي عرفت بشروط ولسن
وحق تقرير المصير ، وتثبت الدول التي احتلت تركيا أن صلح مودروس ليس الا
بداية تطول بعدها مواده وتقصر حسب الحاجة . وتثبت انجلترا بصفة خاصة أنها
لا تعرف «كلمة الشرف» في قاموسها السياسي والحربي
وفي ١٣ مايو سنة ١٩١٩ ينزل الجيش اليوناني - في حمى اسطول الحلفاء -
لاحتلال ازمير

أهل استانبول يجتمعون في مسجد السلطان احمد ويهتفون : «ازمير للاتراك !»
ولا يعرفون بهذا الاحتلال الذي قذفه عليهم مؤتمر الصلح
أما حكومة الدماماد فريد فلا تحرك ساكنا
وأما الخليفة فمن رأيه التسليم على طول الخط . وهو لذلك يوفد بعثة شاهانية
إلى ازمير تبلغه أن أمير المؤمنين وظل الله في الأرض قد قضت ارادته بـألا
يدافع الجنود عن المدينة فاحتلتها لاشك مؤقت ، وانجلترا دولة صديقة تسعى لما فيه
خير المسلمين !!

والآن ننتقل الى ازمير : فماذا نرى ؟

نرى الاميرال كالثورب الانجليزي يصدر أمره الى قائد حصن ازمير بوجوب
اخلاقها . ثم يبعث بذكرة الى الوالي يبنئه فيها بقرار مؤتمر الصلح . ثم يطلق سراح
الذئاب اليونانيين على ما يشبه القطيع من سكان المدينة العزل ، فيدخلون المدينة
هاتفيين : «زيتو فنزيلوس !» ثم يهربون الى الش肯ة العسكرية حيث الحامية التركية

التي سلمت سلاحها فيطلقون عليها النيران . . فيحاول أحد الضباط الاتراك رفع الراية البيضاء فتصرعه طلقة من ضابط يوناني . .

ثم يصدر الامر بنقل الحامية التركية الى قطع الاسطول البريطاني ، فيسير جنود الحامية في الطرق صفو قاتمة . فيتفكه اليونانيون بقتلهم الواحد تلو الآخر فلا يصل إلى الاسطول الا عدد قليل !

فإذا ضربنا صفحًا عن تلك المأساة فهاهي ذى مآس أخرى أشد هولا وأقسى عذاباً : فهولاء جنود يونانيون يرون احدى المحسنات تجرى في الطرق باحثة عن وحيدها ، فيتكلّرون عليها ويعزقون ثيابها ويعتدون على عفافها اشنع اعتداء وحشى وهي تصرخ وتولول . .

وهذه امرأة حامل : يقر اليونانيون بطنها ويستخرجون منه الجنين فينتقمون منه قبل أن يولد !!

وهولاء جنود يقتلون المنازل ويقتلون ويعذبون ويتهمون بالحرمات تحت سمع الانجليز والفرنسيين والاطاليين والامريكيين وبصرهم . .

ثم يتقدّمون بعد ذلك بأنهم انبأوا أهل الأرض محتداً وأعظمهم رفداً الوطنيون يصدرون كتاباً بالفرنسية يسجلون فيه وحشية اليونان وتواظؤ الحلفاء معهم . ويقدم استجواب عن تلك الفظائع في مجلس العموم البريطاني ، فتتألف لجنة من الجنرال هار الانجليزي ، والجنرال نيو سكى الفرنسي ، والجنرال دوليو الايطالي ، والاميرال بروستول الامريكي للتحقيق في فظائع اليونان . ولكننا نتساءل : هل ثبتت التهمة على أحد ، وهل حكم على يوناني واحد بالإعدام أو ما هو دون الإعدام ؟ !

ولا تكاد تعود لجنة التحقيق الى اسطول الحلفاء حتى يعود اليونان الى أعمال القتل والسلب وهتك العرض . فإذا ما فرغوا من ازمير نراهم في القرى المجاورة وخاصة في منيمين حيث يعيدون تثيل مأساة ازمير ويدبحون من الاتراك ما يربى على الألف بين طفل مسكون وشيخ كبير وعجز مخطمة وحامل وبكر ، ولا يدعون منزلًا واحدًا حتى يقتلوا من فيه من لم يفروا الى القرى المجاورة ، وحتى يتهموا أعراضًا عزيزة

فلنسدل الآن على هذه المأساة ستار النسيان !

تركيا المهزقة ..

ماذا بقى من الامبراطورية العثمانية ؟

أما لا كها الشاسعة أصبحت أثراً بعد عين

وها هي ذي بلادها عزق وتوزع على الحلفاء الظافرين :

فمنطقة البوغاز لأنجلترا . وأزمير وما حولها لليونان

ومنطقة قونية وأنطاكية وما حولها لايطاليا

والجنوب الشرقي من تركيا لفرنسا

والم منطقة الشمالية الشرقية للأرمن

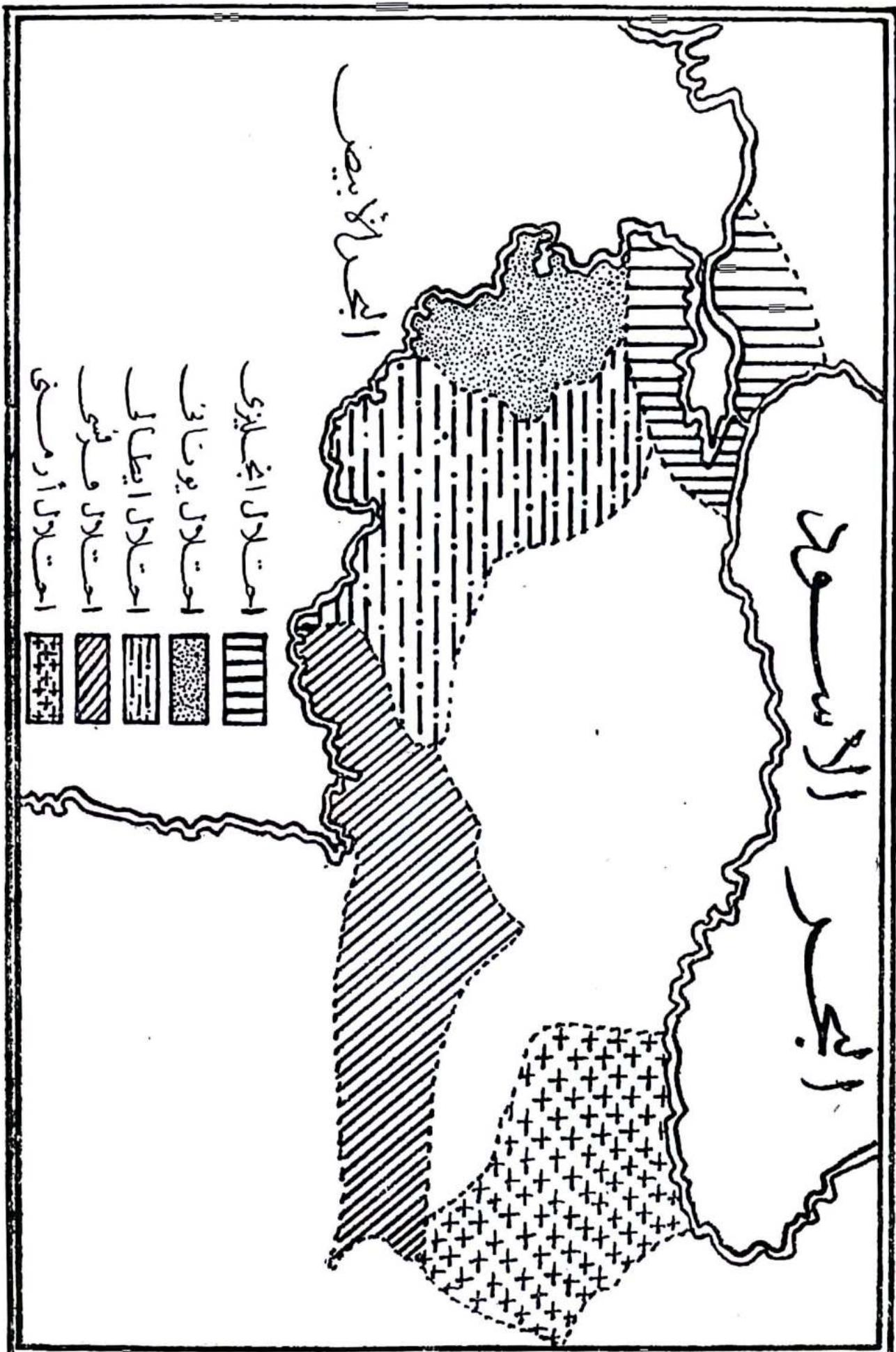
وللأئراك ما بقى بعد ذلك !

وليت الأمر يقف عند هذا الحد . بل ان ما بقى بعد ذلك كان مرتعًا خصباً
للجواسيس والجمعيات المدamaة التي أنشأتها العناصر المسيحية :

فهناك جمعية « مودييرا » وجمعية الصليب الأحمر اليونانية ، وجمعية الكشافة
اليونانية ، وجمعية الروم وعلى رأسها البطريرك ساون أفتدي ، وجمعية « بونتوس »
في طرابزون وسمسون ، وجمعيات أخرى في ديار بكر وبطليس والعزيز ، وجمعية
تدعى لانفال الأكراد عن تركيا ، وجمعية أصدقاء الانجليز في استانبول وعلى
رأسها وحيد الدين والداماد فريد ووزير الداخلية وغيرهم - وكان القس « فرو »
أهم أعضائها العاملين - وجمعية أصدقاء الامريكان ، وو الخ ..

وتتألفت إلى جانب هذه الجمعيات جمعيات أخرى وطنية تعمل على مناهضة الدس
والدسسين ، نذكر منها جمعيات ادرنة ، وتراقية ، وباشا على ، وأرضروم ، والعزيز ،
وطرابزون ، وأوف ، ولاستان ، وأزمير الخ . . ولكن هل كان لهذه
الجمعيات برامج وطنية تسعى لتحقيقها بالوسائل العملية ؟ كلا . بل إن منها ما وضعت
برامج لا تكاد تعقل ، بكمعنى تراقيا الشرقية والغربية اللتين عولتا على نيل الاستقلال
بمساعدة انجلترا وفرنسا ! وأما سائر الجمعيات الأخرى فكان رائدها اتفاذه ما يمكن
انقاذه مع الاعتراف ببقاء الاحتلال

وفي هذا الخضم الزاخر بالجمعيات كان الوطن ينتحر ! وكانت لا تستمع في
استانبول الا النقاش البيزنطي ، وكثير أدعية السياسة فأصبح كل نكرة من هلافيت



العاطلين يتندق بوجوب الاعتراف بالحالة الراهنة والبقاء تحت نير الاحتلال حتى تستقر الأمور ، ثم تشرع الحكومة في مفاوضة الحلفاء واقناعهم بأحقية المطالب الوطنية ، كأن المفاوضة قبل الحرب تؤدي إلى استقلال أو ما يشبه الاستقلال !

أما الجيش فكانت فلوه مازالت قائمة في قونية وأفنيون قره حصار ودينزلي وأنقرة ونجدة وأزمير وباليسبر وبورس وبندرمة وسيواس وأرضروم وديار بكر وكان أشهبها بالجيوش المنظمة جيش كاظم قره بيكير في أرضروم

يد القدر

لم يعد عن الثورة من عيّص
معجزة القرن العشرين توشك أن تم
دعاة الاحتلال يسخرون من دعاء الثورة ويتمونهم بالجنون
وحكومة الداماڈ فرید تسلم للمحتلين كل شيء . وال الخليفة منكمش في قصره وقد
عول على الرضا بما قسم له وقع من امبراطورية آل عثمان بعرش يجلس عليه في بلد
محظى أرضه ، محظى مياهه ، محظى سماؤه

الثوار (المجانين) يؤلفون العصابات حول كل بلد احتله الحلفاء واليونانيون .
والأسلحة تهرب إليهم من حيثما وجدت وتحت أنف الحرس الانجليزي
وحتى اللصوص وقطاع الطرق يتوبون إلى الله عما أسلفوا وينضمون بعصاياتهم
المسلحة إلى عصابات الثائرين !

وأما قلب الأناضول فلا يكاد ينبع . ولكن الثورة مكبّة في صدور المجاهدين
في انتظار الزعيم
فأين هو الزعيم ؟

ما كان يخطر ببال أحد أنه شخص معين بالذات ، فقد يكون كلاما ، وقد يكون
كاظم قره بيكير ، أو رءوفاً ، أو غير هذا وذاك من قواد الجيش وزراء الدولة السابقين
أنا لا أشك في أن كل رجل من هؤلاء كان يفكر في الثورة . بيد أن كلاما الثاور
كان أسبقهم إلى العمل المنظم

انه يذهب إلى السراي ويقابل وحيد الدين مقابلة سرية فيعرض عليه الخليفة

وظيفة «مفتش عام لشمال الاناضول وحاكم عام للولايات الشرقية» ويصدر اليه
الأمر بالسفر الى الاناضول وتسريح بقية الجيش العامل فيه والقضاء على حركاته الثورية
ولكن لماذا اختار وحيد الدين كلاما دون غيره ؟

هنا يقف المؤرخ متخيلاً ولا يسعه الا أن يقول : هي يد القدر تعنى الصائر ..
وهي دبلوماسية بارعة من مصطفى كمال الدهاية !

ومن عجب أن تعنى بصيرة الانجليز عن بطل الدردنيل الذي دحرهم قبل أربعة
أعوام فتوافق القيادة الانجليزية الآن على ايفاده في تلك المهمة الخطيرة ، وكانتها تقول
للهشيم في الاناضول : هاك النار فاشتعل !

مصطفى كمال يودع أمه وداعاً عاجلاً وينذهب الى وزارة الحربية فيزورها زيارة
قصيرة ، ثم يستقل السفينة وفي صحبته رأفت بك قائد الجيش الثالث في سيواس ، الى
مياه البحر الاسود ، الى شمال الاناضول

وبعد أن يفلت الصيد من الشباك يتبعه الخليفة الى غفلته ، والانجليز الى غلطتهم ،
فيصدر الامر الى مصطفى كمال بالرجوع ، ولكن هيهات ! فقد وصل الى ميناء
سمسون في ۱۹۱۹ مايو سنة ۱۹۱۹ ، فلما وجدها تحت الاحتلال العسكري غادرها
الى الداخل

وفي مدينة أفرادى جنوب سمسون تبلغه أبناء الاحتلال اليوناني لأزمير وما
ارتكب فيها من فظائع وآثام ، فيعقد من أهل المدينة حفلاً يقوم فيه خطياً - لأول
مرة فيما نعلم - ويحضر الاتراك على الثورة والدفاع عن الوطن والاعراض ، فتهدر
الدموع من المآق ، ويتطلع اليه الجميع في أمل يعتوره اليأس ..

وينقل الجوايس أقواله الى الانجليز في سمسون ، فيخبرون السلطات العليا في
العاصمة ، فيصدر الامر بالقبض عليه ، ولكنه يفلت من قبضتهم إذ يفر الى أماسيا
حيث لا احتلال ولا سلطة عسكرية ، وهناك يتنفس الصعداء ويشعر بحرية القول
والعمل ، فيخطب في الجماهير كل يوم ، - بل كل ساعة - حاملاً على الانجليز حملة
شعواء ، داعياً أبناء وطنه الى الثورة والقتال

ولكن أية ثورة ! وأى قتال ! وأين هو المال ؟ وأين الرجال ؟
مصطفى كمال لا يعرف المستحيل . ولذلك نراه يبادر فيدعوه كلاماً من رأفت وعلى فؤاد
ورءوف - الذى استقال من وزارة البحرية وأخذ يؤلف العصابات حول أزمير -

فيجتمع الاربعة في اماسيا - وينضم اليهم عارف صديق مصطفى كمال الحيم - ويقررون:

- ١ - تنظيم جيش للدفاع عن ازمير وما حولها بدل العصابات غير المنظمة
- ٢ - بث روح الثورة في جميع المدن والقرى وانشاء مراكز لتدريب المتطوعين وجمع المال وتوفير الاسلحة والذخائر
- ٣ - تقسيم الاناضول الى ثلاث مناطق دفاعية : فالمقاطعات الشرقية من نصيب كاظم قره بكيير ، والغرب من نصيب على فؤاد ، والقلب يشرف عليه مصطفى كمال
- ٤ - اقامة حكومة مركزية للدفاع عن البلاد لا تكون لها صلة بحكومة السلطان . على ان لا يتم تأليفها الا بعد استشارة نواب يمثلون البلاد تمهلا لاشائبة فيه

ال الخليفة سجين ! فهل هو معنا !

الزماء يتفرقون كل الى جهة . ومصطفى كمال يحوب القرى حول اماسيا وقد اتعشت آماله ووطد عزمه على الثورة وقتل المحتلين انه يرى في المستقبل المظلم قيام الثورة في كل مكان . وقتل اليونانيين الذين راحوا يتقدمون بمحاجفهم وذخائر الحلفاء شطر قلب الاناضول .. وانتصاره عليهم .. وامعنه فيهم قتلا واسراً .. وامعنه في المهرب .. واملاء شروط الصلح على الحلفاء .. وخروج الحلفاء من تركيا .. وتحييهم لعلم الترك الظافر .. وقيام الحكومة الكمالية في انقرة .. والغاء السلطة والخلافة .. واعلان الجمهورية .. والسير بتركيا في معارج الرقي حتى تصبح دولة كبيرة ذات خطر .. .

يرى كل ذلك بين بصيرة فيزيل من أمامه تلك العقبات التي تتحدى قوة البشر ، ويغالط نفسه فلا يرى هذا الشعب المحطم والحكومة الخائنة وال الخليفة الخائن والفقر والبؤس واليأس . . . وبهذا الروح نراه يخطب في الناس فيقول لهم ان الانجليز - اعداء الشرق والاسلام - وطدوا العزم على القضاء على تركيا وموتها من عالم الوجود - تركيا الخالدة ، تركيا المجاهدة ، تركيا حصن الدين وسيف الاسلام .. وان اليونان سيقيمون في قلب الاناضول حكومة ودولة .. وان الخليفة اسير في استانبول ولا يملك من الأمر شيئاً ، ولو أنه كان مطلق السراح لصاحب في رحلته تلك ولكان أول من ينادي بالثورة وحمل السلاح في وجه العدو الغاصب .. والدليل المادى على أسره

أنه لم يحتاج على فطائع ازمير - مع أن هذا الاحتلال تم بموافقة الخليفة ، وأنه هو نائب الخليفة وممثله جاء يحضر الناس على اعلان الحرب الدينية والجهاد المقدس .. «فثوروا لكرامتكم ، ودافعوا عن عرینکم ، وعن دینکم ، وعن أعراضکم الملوثة ، وتطوعوا في الجيش الاهلي لتقدروا اعداءکم واعداء الاسلام . . . »

يا للعجب !

ان هذا الرجل النحيل الشاحب الوجه يحرك كتلا صماء من اليأس والخور .. والحماسة تخلق مما يكاد يشبه العدم .. والجنود والضباط المتقاعدون يعيشون من هنا ومن هناك ، ويهرعون الى حمل السلاح - وأى سلاح ! والى تدريب مئات المتطوعين وآلافهم !

ثم ينتقل من آماسيا الى ارضروم ، وهناك يقول : « ما بالکم لا تدورون ؟ لا تعلمون أن انجلترا اللعينة وعدت الأرمن بجمهورية ارمنية تقام على انقاض ولايتكم وعلى قبورکم ! ? » فتفعل هذه الكلمة في الجماهير فعل السحر فيرون للدفاع عن باددهم ومقاومة الجمهورية الأرمنية المتطرفة ..

وفي ارضروم يتقابل الرجالان الكبيران : كمال وكاظم قره بکير ، فيطلع كمال زميله على قرارات آماسيا فيواقفه عليها ، ثم يغادر كمال البلدة ويطوف بالقرى المحيطة بها لتنظيم القوات الدفاعية ، داعيا الضباط والجنود الى عدم تسليم اسلحتهم للحكومة لأنه - باعتباره مثلاً للخليفة - يأمرهم بذلك

وبعد بضعة أيام تصله رسالة برقية من السلطان يأمره فيها بالعودة .. . فيذهب الى مكتب التلفراف ويبرق الى خليفة المسلمين داعياً اياه الى الأنضول لقيادة جيش الخلاص . ويظل ينتظر الرد الى الصباح . فيصله رد مقتضب يأمره بالعودة الى العاصمة على جناح السرعة !

فهل كان كمال يريد - أو يتوقع - قدوم الخليفة لقيادة جيش الخلاص ؟ اللهم كلام .. فهو يريد أولاً وقبل كل شيء أن يثبت للملا أن الخليفة لم يعد يملك من الأمر شيئاً ، وأنه سجين في استانبول ، وأنه لو لا ذلك لما أمره بالعودة الى العاصمة وهو الذي أوحى اليه سراً بوجوب الثورة والجهاد . وعلى ذلك فهو يريد على الخليفة قائلاً انه سيظل في الأنضول حتى تناهى البلاد استقلالها ، وانه يستقيل من الجيش ويسرع في الثورة كمواطن بسيط

نواب الأمة يقررون المَجَاهِد

الموطن مصطفى كمال يدعو نواب الأمة إلى أرضروم لعقد مؤتمر عام يقررون فيه مصير الوطن

ولا يكاد النواب يصلون إلى أرضروم حتى يوجه دعوة عامة إلى سائر جهات الأنضول يقول فيها : « ان كان الوطن أصبح معرضاً للضياع . ولما كانت حكومتنا المركزية واقعة تحت مراقبة الدول المتحالف ، فقد استحال عليها الوفاء بالعهد الذي قطعها على نفسها . ومثل هذه الحالة تظهر افلاس الأمة - لا قدر الله .. »

« ييد أن استقلال البلاد ما زال موكولاً إلى عزم الأمة ورادتها . ولابد لذلك من قيام هيئة وطنية لا تخضع لتأثير أو مراقبة حتى تصلح حال الأمة وتفرض حقوقها على العالم أجمع . لذلك صممنا على عقد مؤتمر وطني عام في سيواس - على أن يصل أعضاؤه في أقرب فرصة مستطاعة

« فعل كل لواء عثماني أن ينتخب - بغاية السرعة - ثلاثة أعضاء أكفاء وأن يوفدهم إلى سيواس . . الخ الخ . . »

ثم ينصح الأعضاء المنتخبين بالتمسك والتذكر عند المرور في البلاد الواقعة تحت الاحتلال . أما عن نواب مؤتمر أرضروم ، فيقول إنهم سينضمون إلى المؤتمر العام في سيواس بمجرد فراغهم من أعمالهم المقررة

ولا يكتفى مصطفى كمال بدعوة نواب الأنضول إلى سيواس ، بل يعمل على أن تنتخب تركية أوربا نواباً عنها ، ولذلك نراه يبرق إلى جعفر طيار باك قومandan الفرقـة الأولى في أدنة بهذا الخصوص ، قائلاً : « تعلمون أن الدول المتحالفـة تعمل على القضاء على استقلالـنا والتمـهـيد لانقـاص الشعبـ التركـي إلى شـيعـ واحـزـابـ ، ولـما كانت حـكـومـتناـ المـركـزـيةـ وـاقـعـةـ تحتـ الأـسـرـ ، فـقدـ أـصـبـحـ تـسـلـيمـ زـمـانـاـ لـهـاـ تـسـلـيـمـاـ بـالـفـنـاءـ وـالـانـقـاضـ - معـاذـ اللهـ . . ولـذـاكـ اـعـزـمـناـ عـقـدـ مـؤـتـمـرـ سـيـوـاسـ الخـ الخـ . . »

ولا يكاد مؤتمر أرضروم يعقد أولى جلساته ، حتى يصدر أمر الخليفة إلى كاظم قره بيكير بالقاء القبض على مصطفى كمال وترحيله إلى العاصمة .. وبغض مؤتمر أرضروم بالقوة ..

لماذا ؟ !

لأن مصطفى كلاً ثائر متمرد .. لأن عطف الحلفاء لا يقابل بهذا المجدود .
لأن الدماماد فريد الذي يفاوض الحلفاء لا تناح له المفاوضة والانضول ثائر .. لأن
الأمر أصبح في يد الخليفة حامي الاسلام والمسلمين ومعلى كلة الحق والدين ، فمن هو
هذا الأهوج الطائش الذي يثور ضد الحلفاء اصدقاء الخليفة ؟

مصطفى كمال في خطر : فالقبض عليه معناه سوقه الى العاصمة مكلا في السلسل ،
والقاوه في غيابة السجن - ان لم يحكم عليه بالاعدام
والثورة التي يهد لها في خطر : خل مؤتمر ارضروم بالقوة قضاء على الحركة
الوطنية في مهدها ، ولن يحس أحد على عقد مؤتمر آخر بعد ذلك ..
النواب يعاودهم الخوف والشك في نجاح الحركة الوطنية . والآمال الذهبية التي
أحياها كمال في قلوبهم توشك أن تنهار ..

وكاظم قره بکير رجل الساعة والقابض على مصائر الوطنيين يتراوح بين الخضوع
الأعمى لأوامر الخليفة ، وتلبية نداء الواجب ..
والحق يقال أن ساعات من الشك المريب في نجاح الحركة الوطنية تُمر به فتنغص
عليه حياته وتقاد تحمله على اعداد جبل المشقة بلمحة الثائرين ..
ولكنه وطني قبل كل شيء .. وكمال الدهاية يضرب له على الورت الحساس ككل
جلس اليه ليقوى من عزيمته ويرجع فيه كفة اداء الواجب الوطني على كفة طاعة
أوامر الخليفة ..

وأخيرا - وبعد أيام من اليأس القاتل والشك المريب تهلك الوجه بعد اصفارها ،
وتعود القلوب الى وجيهها بعد أن كانت تصعق ، فكاظم قره بکير - الرجل ذو
القلب الكبير - يعصي أوامر الخلافة ويلبي نداء الواجب !
ويجتمع المؤتمر في اليوم التالي وقد بلغت حماسة الأعضاء حدتها ، وسرعان
ما يقررون انتخاب مصطفى كمال رئيساً لهم وقائداً لثورتهم ..
ومن العجب أن ينتخب هؤلاء الأعضاء كلاً لرئيسة المؤتمر وقيادة الثورة وهم
الذين كانوا لا يطيقون أن يرأسهم أحد ..

إنهم يقدرون كلاً حق قدره ، ويدركون أنه هو - دون غيره - رئيسهم وقائد
ثورتهم المقللة . ولكن شيئاً من الغيرة والتوجس يأبى عليهم أن ينتخبوه للرئاسة :
فوجهه النحيل الضامر ، وعيينا الذئب ذوات البريق الرهيب والتألق الحنيف ، وأقواله

وكأنه يخشى أن تؤثر هذه الأقوال في الأعضاء عكس التأثير المطلوب . . لذلك نراه يعرض حال الشرق السكوب بعد الحرب العظمى : ويدأب مصر فيصف ثورة

المصريين بعد نفي زعيمهم وصحبه الى مالطة . ثم يعرج على الهند فيصف ثورتها وجهادها في سبيل الاستقلال . ثم يعرض الثورات في سوريا والعراق ، ويذكر جهاد افغانستان والقوزاق وأذربيجان وكورجستان . فإذا اطمأن الى أن قلوب الأعضاء بدأ يدب فيها دبيب الحياة ، نراه يصف الحالة الدولية وصفاً اجمالياً ، وينص الروسيا الشيوعية بالشرح الطويل وكأنه يرى فيها حليفه المستقبل ..

وأخيراً نراه يصف استانبول المحتلة وخروج الوطنيين منها بعد أن تقل عليهم نير الاحتلال ، ويقول ان بقاء الرجال المسؤولين في العاصمة أمر غير معقول ، وانهم اذا صمموا على البقاء فيها فمعنى ذلك أنهم سوف لا يعملون شيئاً ، ولذلك وجب قيام حكومة ثانية في الاناضول ..

وأخيراً يقول الرجل التحيل ، الفامر الوجه ، ذو العينين البراقتين : « وفي ختام خطابي ابتهل إلى الله واهب الآمال الذى لم ينس أمتنا التي دافعت عن هذا الوطن المبارك وهذا الدين الأحمدى الجليل . وستدفع عنهم الى يوم القيمة . والذى لم ينس جل شأنه مقام الخلافة والسلطنة . . ابتهل اليه أن يدفع بنا الى النصر والتوفيق بعد أن أخذنا على عاتقنا الدفاع عن حقوقنا الموصنة المقدسة . . آمين ! » كلام غريب ! . ولعل أغرب ما فيه ذكر الخلافة والسلطنة في معرض الابتهال الى الله !

النواب ثلاثة قلوبهم الحماسة الدينية الشبوة فيصفون طويلاً ويهتفون بحياة الرئيس . . ثم يقررون باجماع الآراء :

- ١ - تنظيم الدفاع عن الوطن ومناهضة الاحتلال
- ٢ - اقامة حكومة مركبة وطنية في الاناضول
- ٣ - انتخاب من يمثلهم في مؤتمر سيواس

الى سيواس . . .

مؤتمر سيواس يوشك أن ينعقد مصطفى كمال رئيس مؤتمر أرضروم في عمل دائم ليل نهار : فهو على اتصال مستمر بوالي سيواس مصطفى رشيد باشا يصدر إليه الأمر تلو الأمر في وجوب التهديد

لعقد المؤتمر . وهو على اتصال دائم بحسبي افندى قاضى سيواس يحاول اقناعه بأن ليس ثمة خطر من عقد المؤتمر في سيواس . ثم إنه ييرق إلى قائد الفرقة الثالثة في سيواس قائلاً إن مؤتمر أرضروم صادف نجاحاً لم يكن ينتظر منه ، وان قراراته قوبلت بحماسة شديدة ، وان دول الاحتلال لم تر فيه خروجاً على المأثور . فهذا وطن يأنى أن ينتحر وي العمل على الخلاص من ربقة المحتلين . وكأنه يخشى أن يضعف القائد اذا حان حين العمل فزاه يهدده بأن كل من لا يتحمس لمؤتمر سيواس إما أن يكون جباناً ، وإما أن يكون خائناً . . ولا يكتفى بذلك بل ييرق ويكتب الى مئات من وجوه المقاطعات وأعيانها حاتماً ايامهم على وجوب الجهاد بأساليب تناسب كلامهم ، وان في هذه الأساليب ما يصل الى الذروة في البلاغة وقوة الحجة ، وما تفطر منه القلوب وتسلل الدموع ، وينذكى في القلوب ناراً . .

وفي كل يوم ترى مثلاً علياً للتضحية والوطنية :

فهذا شباب يقبل على كمال ويطرح بين يديه حياته ومستقبله . وذاك وجيه يطرح أمامه ثروته . وتلك امرأة تراه فتى وتعده بالمساهمة في الجهاد . وأولئك القرويون السنج يتطوعون في جيش الخلاص أو يتبرعون بمحاب من عصول أراضيهم للجنود وهناك في استانبول : البلد المحتل نرى في بهيم الليل ، ومن وراء ستار ، فضولاً لأروع مأساة عرفها القرن العشرون : فأبناء مؤتمر أرضروم تصل الى العاصمة فيسخر منها فريق التخاذلين ويتحمس لها المجاهدون . وانك ترى ألواناً من التجسس والعذر لا تتاح لك رؤيتها الا في مثل تلك الأيام السود . فإذا ما تفلعت في صميم القلوب السليمة وولجت أبواب النازل رأيت آيات من البطولة الفذة :

فهنا جماعة من الشبان يجلسون حول مائدة عليها المصحف والسيف ويقسمون على الموت أو الحياة الحرة . .

وهناك جماعة تهرب الأسلحة الى الأناضول . . فاذا سألتني : كيف ؟ قلنا والله لا نعلم ، ولا يتاح لنا أن نعلم . .

وفي غرفة مظلمة اختفت بدخان اللقائف يجلس شاب تركي نحيل تتدلى على جبينه خصلة من الشعر نابليونية ، ويروح يصف لأحد مراسلي الصحف الأجنبية أو الملحقين بالسفارات الأجنبية أحوال الثورة ويدافع عن حقوق الوطن ويصف كلاماً وصحبه بأنهم أبطال يجب الدفاع عنهم والمساهمة معهم في الجهاد . ولا يكاد يفرغ من

حديثه حتى يتحمس الأجنبي للقضية التركية ويخرج من الغرفة وقد آلى على نفسه أن يساهم في الجهاد مع المساهمين ..

وهذه فتاة يلح عليها خطيبها في وجوب عقد الزواج ، فتصيح في وجهه : « أى زواج والوطن ينتحر ! » .. ثم تراها واقفة أمامه كالبلوءة الثائرة وقد جحظت عيناها وتشعث شعرها وراح صدرها يعلو ويحيط ، وتسمعها وهي تهيب به : « أن جاحد مع المجاهدين ، ومت مع الشهداء ان كانت فيك رجولة وكان فيك رجاء .. ! »

آلاف من هذا الشباب وهو لواء الفتيات تراهم وتراهن في كل مكان وان لم يظروا في أى مكان . والثورة جياشة في الصدور وان لم يبد منها شيء على الوجه . وصفحة البسفور والبحر الأسود ترى سفناً وقوارب صيد عتيقة تحمل زهرة الشباب التركي في لباس النوتية ، وتحمل الأسلحة والذخائر تحت طبقة من الغلال أو الفاكهة أو شباك الصيد

والآن نعود الى سيواس لنرى النواب وهم يتقاترون على المؤتمر من كل فج ، وفيهم الضابط التقاعد والعامل والسياسي والتاجر والقاضي وشيخ العشيرة : هذا بلباسه الأوروبي ، وذاك بلباس رجال الدين ، الآخر بلباس الوطني القديم . وترى فيهم حليق اللحية ومطلقيها ، والعصري المتسامح والمحافظ المتعصب ..

كل أولئك يصلون الى سيواس بعد جهد جهيد وتعرض لأخطار لا عدد لها .
يل ان كلاماً نفسه ينجو من خطر القبض عليه بأعجوبة ويصل الى سيواس حيث يتصل بالنواب قبيل عقد المؤتمر ، فيرون فيه النذير التحيل الضامر ذا العينين المتألقين ، ويسمعون منه كلاماً هائلاً ما كانوا ينتظرونـه ، فيتحمسون ، ثم يحبسون ، ثم يعاودهم التحمس ، وأخيراً تستقر نفوسهم حيث الحماسة ولكن الغيرة والتوجس يأكلان قلوبهم ..

ويعلم النواب أن أميراً كأوفدت مندوباً عنها الى سيواس ليحضر المؤتمر ويوقف الحكومة الأمريكية على حقيقة الحال في الأناضول ، كما يعلمون أن فرنسا وإيطاليا تنتظران بعين العطف الى الثورة التي توشك أن تشتعل ، فيعجبون أيما عجب ولا يعلمون أن هذا العطف مصدره ذاك الشاب التركي التحيل ذو الخصلة النابلسية الذي يقضي ليلاً ساهراً في حجرتهظلمة المختنقه بدخان التبغ في استانبول ..

المؤامرة

وينعقد المؤتمر في سيواس
وفي أول جلسة من جلساته يشعر كمال بأنه أمام نواب شديد مراسهم طويلة
مناقشاتهم يقتلون الرئاسة أشد المقت وفى نفس الوقت يلحون في طلب الرئاسة ذات
الارادة الفولاذية !

حدثني أحدهم فقال : كنت أمقته .. ولكنى كنت أراه أصلح الموجودين لقيادة
الثورة ، ولذلك انتخبناه رئيساً ..

وحتى كاظم قره بکير : الرجل الطيب الذى عرفه قائداً في القوقاز ونفذ أوامره
بدقة ، نراه يطلب اليه بالحاج ألا يوقع على مراسلات المؤتمر بامضائه
يد أن كمالا يتتجاهل كل ذلك وينبرى على المنبر خطياً ، فيشکر للاعضاء اشتراکهم
في المؤتمر ، ويقص عليهم قصة الوطن التکوب من يوم توقيع صلح مودروس الى
الساعة التي يخطب فيها ، فيستمع اليه النواب في اعجاب يبلغ حد القداسته ، حتى اذا
ما راح يخدشهم عن الصدر الأعظم فريد وعن رحلته المشؤومة الى باريس لتسجيل
الفناء على تركيا نرى الثورة متجلية في نظراتهم وهتافاتهم : ليسقط الحائط ! فإذا قال
لهم ان فريداً استنكر الحركة القائمة في الاناضول - بل كذب حدوثها رسمياً - لعنوا
فريداً وحكومة فريد وكل من يشد أزر فريد ..

ويختتم كمال خطابه بكلمة عن وجوب توحيد الجهد والجمعيات الوطنية المتعددة ،
ويقول ان الأمر صدر بالشرع في الانتخابات الحرة ، فعلى النواب أن يصدروا في
الميدان « وستتحقق آمالكم باذن الله .. »

وبعد دقائق معدودات تصل إلى كمال برقية من كاظم قره بکير يقول فيها ان
أحد جواسيس الانجليز - ويدعى البکاشى نوپل - ذهب إلى ملاطية للقيام بين
الاكراد بدعاية واسعة النطاق ضد الحركة الوطنية ، وان أسرة بدرخان وأسرة
جميل باشا تعملان مع هذا الجاسوس بايحاء من حكومة فريد
مصطفى كمال يقرأ هذه البرقية على أعضاء المؤتمر ، ويبيّن لهم خطورة المؤامرة :
فهذا جاسوس انجليزي يعمل بأمر من حكومة استانبول على اثاره الاكراد والمجموع
بهم على سيواس والفتاك بأعضاء المؤتمر الذى يضم خيار الوطنيين .. فهل هم بعد ذلك

في حاجة الى دليل مادى على خيانة الحكومة الفائمة في استانبول؟

ثم نرى رجل الحرب ينطلق من مؤتمر السياسة الى حيث يتحدث مع جمال بك قومدان الفرقة الثانية عشرة الخيالة في منطقة ملاطية ، فيعلم منه ان والى العزيز وفد على ملاطية حيث قابل نوبل مقابلة طويلة . . فيسأله عن عدد الحامية التركية في ملاطية ، فيعلم أنها لا تزيد على عشرين رجلاً . . فأمراه بالقبض على المتأمرين ، فيعتذر بعجزه عن ذلك . فيصدر كمال أمره الى الياس قومدان العزيز وإلى قوات خربوط وسيورن وسيواس بالهجوم على ملاطية ، وتکاد هذه القوات تقبض على المتأمرين لو لا فرارهم على ظهور الجياد في جنح الليل . .

ويجد الضباط الأتراك في المكان الذي غادره المتأمرون ستة آلاف جنيه ذهبًا
كانت أعدت لرشو رؤساء العشائر الكردية !

ويعود رجل الحرب الى مؤتمر السياسة بعد أن يكون قد وحد القوات الوطنية في منطقة ملاطية والعزيز وسيواس وأمرها باجتثاث حركة الأكراد من أصولها .
يعود ظافرًا ويطمئن رجال السياسة على حياتهم وعلى مؤتمرهم ، فيعرفون بفضله ورئاسته ، فيبحthem على ارسال احتجاج شديد اللهجة الى الخليفة فيوافقون على رأيه
باجماع الآراء

ويرسل رشيد باشا والى سيواس خطاباً شديد اللهجة الى وزير الداخلية التركية يتحجج فيه على مؤامرة ملاطية ، فيرد عليه وزير الداخلية بقوله ان المؤامرة تمت بموافقة الخليفة وتوقيعه « رغبة منه في الحفاظة على سلامة الوطن ! »

ليسقط الخفافش الاسود !

مصطفى كمال دائب على تحرير العرائض والاحتجاجات . فهذه عريضة طويلة يرفعها الى الخليفة باسم مؤتمر سيواس مستنكراً فيها عمل الحكومة على الایقاع بالوطنيين ، مما يؤدي الى اهراق دماء المسلمين وضم الأكراد الى صف المجلترا ، ويطلب في آخرها تحقيقاً شاملًا ينجلي بعده الجو وتنقطع الدسائس

ثم زراه يحرر احتجاجاً شديد اللهجة يطلب فيه من الخليفة اسقاط وزارة الداماد فريد « بعد أن ثبتت خيانتها وعملت على الدس وبندر العداوة بين القوميات العثمانية »

ولا يكتفى بذلك بل يصدر باسم المؤتمر نشرة عامة للجمهور يتهم فيها الحكومة بتأخير اصدار قانون الانتخابات والموافقة على الاحتلال اليوناني لطوروس وماجاورها في مذكورة التهدية لمعاهدة سيفر . فيكون لهذه النشرة أثر شديد في اثارة الرأي العام الذي هتف من صميم قلبه بوجوب اسقاط الخفافش الأسود الداماد فريد . .
مصطفي كمال يكاد يظفر بتأييد الرأي العام بعد أن ظفر بتأييد نوابه . وهذا التأييد يحمله على توجيه احتجاج ناري جديد إلى الخليفة يحمل فيه على الوزارة الخائنة، ويلقي عليها تبعة الكوارث التي حاقت بالبلاد ، ويبلغ الداماد فريد « الذي يفاوض الحلفاء في باريس بلسان ، وينشر الباطيل في العاصمة بلسان آخر » والذي يتجاهل الحركة الوطنية القائمة في الاناضول في مفاوضاته مع الحلفاء ، والذي يأمر بتسريع بقية الجيش العامل في الاناضول حتى لا تقوم للوطن قاعدة قط . . وأخيراً يطالب الخليفة بوجوب اسقاط الحكومة الخائنة واصدار قانون الانتخاب الحر . .

وفي الوقت نفسه نراه يوجه منشوراً عاماً إلى أهل استانبول وفي هذا المنشور تجلّى قدرته البيانية التي لا تبارى : فهو يقول إن لاستانبول خبر السبق والمبادرة إلى الثورة . وإن المؤثرين أخذوا الأنضول مركزاً لثورتهم لا شيء إلا أنها بعيدة عن هيبة الحلفاء . ثم يتحدث عن سياسة الداماد فريد الخارجية - تلك السياسة المدمرة التي لا تبقى على شيء يسمى الوطن ، والتي تحرف فيما تنشره من مذكرات المعاهدة المشوّمة حتى لا يطلع الأتراك على ما تبيّنه لهم من ذلة وأسر . ثم يسبّب في ذم سياستها الداخلية ويتمها بالخيانة والدس والعمل على اغتيال الوطنيين وتشويت شملهم . ويختتم منشوره بكلمات من نار يقول فيها إن مسيو كلپانسو قال لفريد باشا عند وداعه له : إن على الأمة التركية أن تعلن عن وجودها إذا كانت تتندّق بوجوب الاستقلال « يا أهل استانبول ! ساهموا في أداء الواجب الوطني حتى يكون لنا وجه للاعتراض على أعمال وزارة فريد باشا . . فإن العالم سيقول - إذا لم نحرك ساكناً - : لم لم يستعمل هذا الشعب حق الاعتراض على حكومته في الوقت المناسب ؟ وإن له بعض الحق في قوله هذا ، فنبينا يقول : كما تكونوا يولى عليكم . . . »

الصحف التركية في العاصمة تنشر هذا المنصور في دوى كالقبلة .. وأهل العاصمة يأنفون البقاء على الضيم وأخوانهم يجاهدون في قلب الاناضول ، فماذا تراهم يفعلون ؟ إن المجتمعات تعقد . والأدعية تلقى في المساجد . والشبان يتسلّلون إلى الاناضول

بكثرة هائلة . والشاب التحيل ذو الخصلة النابليونية يكاد لا يخرج من غرفته المختففة بدخان السجائر . وان أخبار المجاهدين في سيواس تصله عن طريق جماعة من الفدائين راحوا يحملون الرسائل بين سيواس والعاصمة .. آه ! ان هؤلاء الرسل اُعرفهم ، وان لهم لفاخر ترفهم الى مرتبة كبار المجاهدين ..

وبعد بضعة أيام يلقي كمال قبلته الثانية اذ يوزع على سفراء انجلترا وفرنسا وأمريكا وايطاليا والصرб والسويد والدنمارك واسبانيا منشوراً مختوماً بخاتم مؤتمر سيواس ، ينص على أن حكومة الدماماد فريد التي تفاوض الحلفاء في مصير الأمة ، لا تمثل الامة في شيء ، وانه ربما يتم تأليف وزارة وطنية لا يكون الوطنيون مسئولين عن أعمال الحكومة الراهنة ، فان اقرار المعاهدة لا يتم الا بتوقيع حكومة وطنية عليها - حكومة تمثل الأمة خير تمثيل . وان الحركة الوطنية القائمة في الاناضول لن تسحق حقوق الدول الاوربية بسوء

قبلتان في الصميم ..

الخفاف الاسود يشعر بدنو الخاتمة ، يبدأ أنه لا يسلم ، فها هو ذاتي في حضرة مولاه وحيد الدين وبين يديه خطة مدبرة لمؤامرة رهيبة ..

انتصار مؤقت

الخفاف الاسود يقدم لوحيد الدين خطته السوداء : فالوطنيون الثائرون جماعة قليلة لا خطر لها . ووحيد الدين ما زال السلطان وال الخليفة . وأمره لا شك مطاع . والانجليز يسرهم أن يعمل الخليفة على القضاء على الثورة قبل استفحالها . فإذا قضى عليها قدم الخفاف الاسود معاهدته لشعب لا أمل له الا في الحياة الوداعة بعد أهوال الحرب وكوارثها . وسرعان ما ينسى الشعب ماضيه - وما أسرع نسيان الشعوب الشرقية !

والخفاف الأسود يضع بين يدي مولاه منشوراً شاهانياً يطلب منه التوقيع عليه لينشره في طول البلاد وعرضها . فيوقه الخليفة وفي اليوم التالي يذاع المنشور الشاهاني فيقرأه المتعلمون ويستمع اليه الأميون ..

الخليفة يعلن أسفه على هذا الخلاف الذي شجر بين العثمانيين بسبب نكارة من النكرات يريد الخروج على الحكومة ومعاكسة القائدين بأمر المفاوضة مع الحلفاء .. ويقول ان هذا الخلاف يؤخر اجراء الانتخابات مما يزيد المشاكل تعقيداً .. « وانى اتظر من سائر افراد الأمة أن يقدروا دقة الموقف وأن يحترموا القوانين والأحكام ويطيعوا الحكومة القائمة طاعة عمياء فيخبووا أمل كل من سولت لهم نفوسهم بذر الفتنة والقلق بين صفوف الأمة . . . »

قبلة لا شك فيها يقذف بها الخفافش الأسود كلاماً ومؤتمراً سيواس . ولو أنها جاءت قبل عقد المؤتمر وتوزيع شراته في سائر الانحاء لاختتمت على الحركة الوطنية بخاتم التخاذل الابدي . ولكنها لسوء حظ الخفافش الاسود - تنشر بعد أن وقف الخاص والعام على كل شيء ، ولذلك فهي تمر دون أن تصيب أحداً بسوء ، شأن كل زيف ينشر بعد أن تفتح الذهان إلى الحقائق السافرة

أعضاء مؤتمر سيواس يجتمعون ليردوا على منشور الخليفة ، فيقولون إن مطالبهم لا شك شرعية ، وإن فريداً لا شك خائن ، وإن هذا الدهاية لا شك يخفى عن مولاهمحقيقة المطالب الوطنية ويصورها له كأنها أعمال قوم ثائرين متورين . ويختمون رسالتهم بالمطالبة باسقاط الوزارة واعتماد وزارة وطنية يحق لها أن تمثل الأمة أمام مؤتمر الصلح

ولا تكاد هذه الرسالة تذاع حتى تنهال برقيات التأييد على المؤتمر من ولايات طرابزون وارضروم ووان وبطليس وديار بكر وخربوط ودرسم وسيواس وسامسون وملاطية ومرعش وعينتاب وقىصرية وانقرة وقره مان وافيون قره حصار ودكزلى ثم ان على فؤاد قومندان انقرة يسير بقواته الوطنية إلى اسكندرية حيث يحاصر الانجليز فيعلنون رغبتهم عن القتال وينسحبون إلى سامسون طالبين إليه ألا يتعرض لهم بأذى ما داموا لا يعتزمون اعلان الحرب على الوطنيين

وفي تلك الاثناء يقول مسيو لولون مندوب السفاراة الفرنسية في استانبول لأعضاء مؤتمر سيواس ان فرنسا ستقف موقف الحياد التام ازاء حركات الوطنيين ويصل بعده الجنرال هيربرت الامريكي فيؤيد باسم حكومته أعمال المؤتمر ، ويثبت للسفارة الامريكية ضعف الحكومة القائمة وعدم تمثيلها للبلاد تمثيلاً صحيحاً وبعد أيام تبرق سائر السفارات الاجنبية الى حكوماتها متنبئة بقرب سقوط الداماد

فريد ، مستندة الى ما تراه من قوة الرأى العام الذى لم يؤثر فيه منشور السلطان كل هذا يعرفه الوطنيون ويذيعونه في أنحاء البلاد . فزداد الحاسة اشتعالاً ويقاد نور الوطنية يغنى عيني الخفاش الأسود .
والخليفة يخشى سوء المغبة فيوسط عبد الكريم باشا للتفاهم مع مصطفى كمال .
باعتباره رئيساً مؤتمناً سيواس !

وحيد في أنقرة !

عبد الكريم باشا جالس أمام آلة التلفراف في استانبول
ومصطفى كمال جالس أمام آلة التلفراف في سيواس
عبد الكريم باشا يرجو أن يفض النزاع القائم بين السلطنة والوطنيين وأن يتم
الصلح بين الفريقين
فريد عليه كمال قائلاً إن الحركة الوطنية لم تكن في وقت من الأوقات موجهة ضد
السلطنة والخلافة ، فهدفها الوحيد أولئك الذين باعوا وطنهم وخانوه من أمثال
فريد باشا وسائر وزرائه . ثم انه يأسف اذ يرى الخليفة منعهم العينيين ازاء خيانة
رئيس وزرائه ، واذ يرى رئيس الوزراء يحاول أن يشوّه من جمال الحركة الوطنية
بقوله انها حركة بشفافية ، في الوقت الذي يسمع فيه للإنجليز باحتلال الاناضول ..
ثم يقول : « فهل كان يبقى فريد باشا في الحكم دقيقة واحدة اذا كانت لديه ذرة
من الحمية والوطنية ؟ »

عبد الكريم باشا رجل طيب القلب . . ولتكنه رجل فارغ . والنقاش يتخد
شكلاً انسانياً لا تميزه وجهة نظر خاصة ، فهو لا يزال يلح في ضرورة فض النزاع
والصلح بين الطرفين مع أن النقاش البرق ظل قائماً ثمانى ساعات متواصلة ..
اجابات كمال البرقية تحمل إلى السلطان فيرى أن العاصفة تكاد تقلب اعصاراً
لا يبقى ولا يندر ، فيستدعي فريداً ويقيمه ويعين مكانه على رضا باشا . . .
ولا تكاد الاقالة تبلغ سيواس حتى يصدر كمال نشرة عامة يبشر فيها الأمة بانقضاء
عهد الخفاش الأسود . ثم يقدم مطالب الوطنيين إلى الصدر الأعظم الجديد ، وهي
تنحصر في الاعتراف الرسمي بقرارات مؤتمر إرضروم وسيواس ، وعدم التعاون

مع الحكومة حتى يتم انعقاد المجلس الوطني الكبير الذي سيقرر مصير الأمة وينتخب
من يمثلها في مفاوضة الحلفاء

* * *

قانون الانتخاب يصدر . والانتخابات تجري في جو هادئ ، فيفوز الوطنيون
بأغلبية ساحقة ، ويكون معظم أعضاء مؤتمر سيواس نواباً في المجلس الجديد
مؤتمر سيواس لا يزال قائماً . وهو ينتقل إلى انتربور ليتخذ لنفسه مقرًا يتوسط
ولايات الاناضول

ومصطفى كمال نائب ارضروم في المجلس الجديد يذهب إلى انتربور ليجلس النبض
ما بال النواب تلهيهم النيابة عن شؤون وطنهم الرازح تحت نير الاحتلال ؟
وما بالهم يهمون بوجوب العودة إلى استانبول وعقد المجلس الجديد هناك تحت
انف الاسطول البريطاني الجاثم في مياه الدردنيل ؟

وما بال بعض ذوى القلوب البريئة يقولون بوجوب حل مؤتمر سيواس لأنّه لم
يعد له كيان حكومي معترف به بعد الانتخابات الجديدة للمجلس الجديد ؟
وهل يقف الوطنيون في أول الطريق إذ ينالون أول نصر تافه يصادفهم ويعمون
عن المستقبل المهم - المستقبل الذي ينذر بالحرب وويلات الحرب ؟

مصطفى كمال يتصور جلسته في شرفة المجلس القديم في استانبول حيث رأى وسع
النواب وهم يؤيدون حكومة توفيق باشا على حساب وطنهم ، فيتساءل : هل يعود
السياسيون الفارغون إلى عهد التردد والهزيمة ؟

انه جندي . وانه يرى الجندي أصلح من السياسي لقيادة السفينة في خضم
الحوادث المائج

ولكن النواب من رجال السياسة لا يقررون على رأيه . بل انك لتسمع من
بعضهم كلاماً غريباً ما كان ينتظر من قوم كانوا إلى الامس القريب ينادون بوجوب
قيام حكومة ثانية في الاناضول تعمل مستقلة عن حكومة السلطان . فهل ياترى تبدل
الحال وزال الاحتلال ؟

كلا ولتكنه خور في العزائم لا زال نراه إلى الآن في الشرق - واءسفاه ! -
وهم اذ ينادون بوجوب العودة إلى استانبول يكتفون من الجهاد بالقليل التافه الذي
قاموا به احتجاجاً وكلاماً ، لا حرباً وصداماً ..

ورءوف بك - الرجل الكبير الذي رأيته في القاهرة وأكترت أخلاقه واعجبت
بدهائه وذكائه - يقود تلك الحركة الخطيرة ويسير في طليعة النواب الى استانبول ..
فإذا حاول كمال أن يحتفظ لنفسه بحق رئاسة البرلمان ، وقام ينادي بوجوب بقائه
في انقرة سخروا منه - بل قل أوجسوا خيفة من الوجه الصامر وعنيي الدئب
المتألقين ..

اذًا فلينذهبوا الى استانبول . ولبيق الدئب في انقرة وحده لينظم فاول الجيش
الوطني وليستعد لكافح موعده قريب
وسيعلم النواب الذين ذهبوا الى استانبول أى منقلب ينقلبون !

سعید في الدارين من يقتل مصطفى كمال !

النواب يصلون الى مياه البسفور ويعبرونها الى العاصمة خلال بوارج الاحتلال ،
ثم يدخلون مجلس المبعوثان دخول الظافرين هاتفين مهاللين لأنهم استعادوا مجلسهم
وقانون انتخابهم الحر ..

مهزلة طالما تكررت في الشرق - وما زالت تكرر !
النواب يرفعون الى الخليفة كتاباً لسان حاله يقول : المجد لوحيد الدين ، ومن بوز
هو ذلك المارق الجائم في انقرة

ثم يشرعون في العمل . فيتناقشون ، ويطول بهم النقاش
وعندما تصلهم أنباء انسحاب الانجليز من بعض جهات الأنضول ، والفرنسيين
من بعض الولايات التركية ، تبلغ بهم حتى النقاش أشدتها ويخيل اليهم أنهم حقيقة
يعملون - فيتناقشون ، ويتناقشون ..

وعندما يتدخل الانجليز في شؤونهم الداخلية : يحتاجون ، ثم يحتاجون ..
فيضرب الانجليز ضربتهم القاضية في جنريوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ : فهذه
جحافلهم تنزل من الاسطول لاحتلال العاصمة ، فتسير من كبرى غلطة الى وزارة
الحرية ، ثم الى ميدان بايزيد

وهنا يقف التاريخ ليتحدث عن مذبحة بايزيد ووحشية الانجليز في قره قول
بايزيد : فهو لاء عساكر القره قول نiam . وهذه قوات انجلزية تأمر محمد النوبتجي

بالتسليم ، فيرفض ، فتصرعه لتوه . . ثم تدخل القره قول قرى العساكر في ثياب النوم ، فتصرعهم دون رحمة . . فيسجل التاريخ موتهم في أول قائمة الشهداء في حرب الاستقلال

النواب المجاهدون يصممون على الاحتجاج فيشتت جنود الاحتلال شملهم ويسوقون بعضهم - وعلى رأسهم رءوف بك وفتحى بك - الى مالطة وتبلغ الشمس على بلد أرضه محتلة ، ومياهه محتلة ، وفي وسطه قصر يجلس فيه خليفة وسلطان يقال انه حامي الدين وخليفة المسلمين ومن عجب ألا يحتاج هذا الرجل والاحتجاج أوهى مراتب الجهاد !

* * *

فول النواب يفرون الى الاناضول . وفول وزارة الحريية : عصمت وفوزى ولا أحدى من من كبار الضباط وصغارهم ، يلتحقون بزملائهم كمال وكاظم ورأفت وعلى فؤاد وعارف

والعاصمة لا تنسى بنت شفة وكانتها طلل ينبع فوقه ال يوم في هذا اليوم المشئوم يدخل تلاميذ احدى المدارس فصوّلهم . وفي أحد الفصول النهائية يجلس الأستاذ صامتاً مفجوعاً . ويطول صمته . فيقوم أحد التلاميذ فيقول : « ما بال استاذنا لا يتكلم ؟ » فيرفع الأستاذ رأسه ويقول : « اليوم لا كلام ولا درس . فالدروس تلقى خير الوطن ، ونحن منذ اليوم لا وطن لنا نعمل من أجله ! » ثم تتألق عيناه بريق رهيب ويقول : « لقطع الألسنة ولتصفيف الأقلام ربّا نستعيد مجد الوطن . . فإذا سألكتني : أين هو الوطن ؟ قلت : انه هناك في قلب الأناضول حيث مصطفى كمال ومحمد وفاطمة * . . فهل فيكم من يعمل مع هؤلاء ويستشهد في سبيل وطنه ؟ ! »

التاريخ يقول : أجل . وان من لم يقدر له الفرار الى الاناضول ليعمل في العاصمة ، والا فكيف نفسر عشرات الانجليز على عشرات من قتلهم في الطرقات صبيحة كل يوم ؟

* * *

الانجليز ضربوا ضربتهم القاضية . وبقي أن يقوم وحيد الدين بدوره

* محمد وفاطمة اسمان ينما على الجندي التركي والمرأة التركية *

هؤلا يخرج من اعتكافه الى ميدان العمل . و اذا بُرِزَ الخليفة الى الميدان فلا غنى
 له عن الحفاش الاسود
 والحفاش الاسود انجلزي أكثر من جون بول . وهو يرى تشتيت النواب
 واغلاق مجلس المبعوثان بدأة حسنة لم يبق بعدها الا القبض على كمال واركان حربه
 ليتم له بذلك الفوز الحاسم
 وما أسهل القضاء على كمال وحركته بمنشور يحل فيه الخليفة سفك دمه !
 والمنشور مكتوب لا ينفعه الا توقيع الخليفة . وتوقيع الخليفة يتم دون تردد منه
 وفي اليوم التالي يذاع المنشور في دواعين الحكومة وفي الطرقات . ويتبلي في
 المساجد وتوزعه الطائرات اليونانية - براءة الخليفة - في سائر أنحاء الأنضول ،
 ويخرج الشعب منه بأن الحركة القائمة في الأنضول حركة سداها الخيانة - وأن زعماءها
 خائنون ، وأن الخليفة يدعو كل مواطن مسلم الى نصرته ونصرة الدين الحنيف -
 فالجهاد الجهاد تحت لواء الخلافة للقضاء على اعداء الوطن الكافرين ، ومباح هودم
 مصطفى كمال المارق ، وسعيد في الدنيا والآخرة من يقتل هذا الخائن !

قضى الامر

الخليفة وخفاشه الاسود ينتصران على طول الخط
 والحركة الوطنية تتسلق كاوراق الخريف في يوم عاصف
 ومعاقل الوطنيين تسقط في يد الخلافة تباعاً مبتدئة من السواحل موغلة شطر
 قلب الانضول
 و « جيش الخليفة » الذي جمعه سليمان شوكت باشا بأمر من مولاه يدخل
 الانضول ظافراً وكأن الانضول قطعة من أرض العدو يفتحها سليل آل عثمان
 والجالس على عرش محمد الفاتح
 ورجال الدين يستنفرون الناس الى الجهاد الديني ، فإذا بُرِزَ لهم أنصار كمال
 قتلواهم ومثلوا بجثثهم أفعى تشيل
 قرية في اثر قرية ، وولاية في اثر ولاية تعلن ولاءها للخليفة : أزمير .. بروسة
 قونيا .. آطه بازار .. سمسون .. هوذا جيش الخليفة أوشك أن يبلغ أنقرة ..

ثم ان الفرنسيين يتقدمون من ناحية الحدود السورية ، والانجليز والايطاليون يتحفرون . واليونانيون يزحفون من أزمير الى الداخل . والارمن يقومون لتحقيق حلمهم العتيد : مملكة أرمينيا . والاكراد يرفعون علم الثورة بايعاز من الانجليز . وكل تركى من أنصار الخليفة يتعطش الى سفك دم مصطفى كمال ونيل المكافأة التي قررت لقاتله

فإذا بحثت عن قوات الوطنيين لم تجد إلا جيش كاظم قره بيكير في الولايات الشرقية . أما بقية القوات فهى إما مرتدة الى جيش الخليفة ، وأما قلول لا خطر لها ، وأما عصابات ضررها أكثر من نفعها
فقد مصطفى كمال كل شيء ، الا الأمل !

هو ذا جالس الى مكتبه العتيق في بهو مدرسة الزراعة بأنقرة ومعه صديقه عارف ونفر من الحراس المخلصين ، وأمامه خريطة ينظر فيها من حين لحين .. هوذا جندى يرفع يده بالسلام العسكرى ويسلمه رسالة برقية . فيقرأ فيها بناً كارثة جديدة . فيصدر الامر باتخاذ بعض الاجراءات . ثم يدخل الجندي بكارثة أخرى ، فيصدر اليه أمرًا جديداً وهكذا الى ساعة متأخرة من الليل ، كل يوم !
ترى هل يخونه حراسه وجنوده ؟

ولم لا وفي قته رضاء الخليفة وبضعة آلاف من الجنود ! ؟
فإذا ظل حراسه له مخلصين ، فهل ينجو من خطر الاغتيال طالما ان انقرة محاطة بطائفة من السفاحين المتعطشين الى الدم الباح ؟

فإذا نجا من السفاحين ، فهل ينجو من الثورة التي توشك ان تندلع فيها حول انقرة ثم تسقى الموت على آخر معقل من معاقل الوطنية ؟
وحدة ألبية .. ويسأس قاتل .. وصراع مع القدر فوق طاقة البشر !
الذئب يظل في وحدته حديثاً جليداً . ويهاهف من حين إلى آخر : « ليكن ما يكون ... ان تركياً لم تمت بعد ! »

وبعد بضعة أيام يفتح الباب ويدخل عليه رجلان : عصمت القصیر الضئيل ، وفوزي الطويل الفحل . فيتعانق الرجال الثلاثة ولا يتكلمون، بل ينفرد كل منهم في غرفة ويعمل

ثم ينعد عليهم نفر آخرون :
 خالدة أديب نابغة نساء الترك . زوجها عدنان . نواب نجوا من النفي الى مالطة
 ووفدوا الى رئيسهم السابق وهم على ما بدر منهم آسفون وعلى الخلافة ثائرون . رجل
 كبير الرأس ضامر الجسم ذو لحية صغيرة اعرفه وتلمسه له ، فر من العاصمة
 ودخل على كمال وصحبه ليهيب الثورة بشعره الناري ول البعض للحركة الوطنية نشيداً .
 هذا الرجل هو شاعر تركيا الاوحد واستاذي العزيز محمد عاكف
 وفيما عدا ذلك فالیأس القاتل ما يزال مخيما على انقرة : والسفاحون ما يزالون
 متعطشين الى الدم الباقي !

لک اللہ یا فاطمہ !

عجب والله أمر هذا الشعب التركي : تحرمه خطبة ثم يبسطه منشور . يشير كمال
 ثم يقعده الخليفة ومن وراءه الخفافش الاسود
 ولعل السر في هذا التقلب أنه شعب ذهب كوارث الحرب برصاصاته المعهودة
 وبروده المأثور وأشرف به على تلك الخفة وهذا النزق الذي تتأدى به المهزيمة
 إلى الفناء

كان الاتراك حتى الأمس كتلة واحدة تؤيد الخليفة وتسعى في قتل كمال . واليوم
 تتغير الحال غير الحال وينقلب الرأي العام آفلا إلى الرجل الحديدي الجاثم في أنقرة .
 فقد تسامع الناس بأنباء احتلال أرض العاصمة ومصرع العساكر في قره قول بايزيد ونفي
 النواب وأغلاق مجلس البعوثان ، وأيقنوا أن الخليفة وخفاشه الاسود يعلمان بوحي
 من الأنجلترا إذ يريحان دم كمال ويسيئان في القضاء على حركة التي لا مصلحة له فيها
 إلا مصلحة الوطن . وحتى الذين احسنواظن بالخليفة لم يعودوا يؤمنون بقدرته على
 فعل الخير وهو السجين في قصره في العاصمة المحتلة ، والرأي العام الذي تاب إلى كمال
 وأناب وتراءى على مكتبة العتيق في دار مدرسة الزراعة بانقرة ، رأى عام مؤمن برسالته
 تأثر لخيانة الخليفة . ولا نظن أنه سيترواح بين الشك واليقين بعد ذلك
 جيش الخليفة تنقصه الروح المعنوية . وهو كل يوم يشهد فرار عساكره وانضمامهم
 إلى القوات الوطنية . ولا تكاد تمضي الأسابيع حتى يضمحل ويذوب كل باطل
 يواجهه حق عتيد

والجند الذين ارتدوا عن القوات الوطنية يعودون إلى الانحراف في فرقهم
وينحنون على قدمي كمال يللوهنا بدموع الندم
والشباب ، والشيخوخ ، والنساء - وفيهن العقائل المحسنات - سيل يتحدر من
سائر الأحياء ويحتمع في انقرة

والقروية الحسناه فاطمة تحمل إلى انقرة الأقوات وتخدم الجنود . ثم تكرس
أعصابها لحمل البنادق والمسدسات ومئات الآلاف من قطع الرصاص والقنابل المهرية
من حيث لا يعلم أحد . فإذا أشرف عليها الليل وهي في عرض الطريق نامت حيث هي
وحينما اتفق واستكثرت الغطاء على نفسها في صدارة الشتاء والمطر ينصب عليها انصباباً
فقطت به ما تحمل من أسلحة وذخائر !

وهي لا تحمل السلاح والذخائر وحسب ، وإنما تقدم للوطن ابنها ووحيدها
قرباناً حلا

لله يا فاطمة يا بنت الشهيد ، وزوجة الشهيد ، وأم الشهيد !
مصطفى كمال يرى كل ذلك فلا يزال حيث كان وكما كان حديداً جليداً . ويطيب
له الآن أن يدرب عساكره بالحديد والنار على صراع مقبل رهيب ، الذخائر فيه
شحيحة والراحة عمرة والقوت تافه قليل . وإنك لتراء هنا وهناك في كل مكان
كالميكل الجبار من فولاذ أسلامكه
وهو يدعو سائر نواب الأمة إلى أنقرة فيجتمعون فيها ويعقدون مجلساً يسمونه
« المجلس الوطني الكبير » . وهم إذ ينتخبون كمالاً للرئاسة في هذه المرة إنما ينتخبون
أصلحهم عن عقيدة وإيمان . ولا يخففهم - بعد - الوجه الضامر وعيناً الذئب
التألقان

بعد نكبة « سيفر »

وتضى معاهدة سيفر . والسلطان يتحمس لها . والمعاهدة تنشر وتذاع فيقرأها
الأتراك فتجيش الثورة في قلوبهم من جديد
أهذا أمرهم السلطان بالصبر والتريث وعدم القيام في وجه الاحتلال ؟
أهذا افتق العلماء بکفر مصطفى كمال وأباح الخليفة دمه ؟

إن تركيا لتقسم بين الحلفاء قسمة عادلة .. ولا يترك للوطنيين منها الا قسم ضئيل .
مِنْهُمْ لَا يدعون للأتراك شيئاً مِنَ الْحَقِّ فِي الْإِشْرَافِ عَلَى شَؤُونِ بَلَادِهِمْ :
فَالجُنُوبُ سِيَّامُ الْحَلْفَاءِ بِتَسْرِيْحِهِ . وَالْمُوَاصِلَاتُ سَتَكُونُ تَحْتَ اشْرَافِهِمُ الْمُبَاشِرُ .
وَالضِّرَائِبُ وَالْعَوَادِدُ وَالْمَكْوَسُ كَذَلِكُ . وَكُلُّ بَارِقةٍ أَمْلَ في الْإِسْتِقْلَالِ يَحْمُونَهَا مَحْوا
أَزْلِيَّاً ..

نكبة فادحة . ومعاهدة جاءت بدون كفاح دموي .. معاهدة رخيصة هزيلة ،
جاء بها سياسي كذاب يلوح بطالبه يد وبالدفع يد أخرى
ذهب انقرة يتحدى السلطان والخفافش الأسود وأولئك الجباره الذين يقررون
مصالح الدول والشعوب لصالحهم بعد أن خرجوا من الحرب العظمى ظافرين
وهو لا يترى حتى توطد أقدام الحلفاء في الأنضول ، بل يأمر جيوشه في
الشمال والجنوب والشرق والغرب بمناوستهم واحتلال كل شبر من الأرض ينسحبون
منه ، فتخلصوا له ولائيات بأسرها من خالب الفرنسيين والإنجليز
وهو في تلك الائتمان يلهب نواب المجلس الوطني الكبير بخطبه النارية . ثم يعود
إلى الشعب فيرى منه أذنا صاغية واستعداداً للكفاح :
« لقد خرج الحلفاء - أو كادوا - من الأنضول . ولم يبق إلا اليونان في ازمير ،
والإنجليز في استانبول . وإن حملة واحدة موقعة لتدفع باليونان إلى البحر ، وبالإنجليز
إلى حيث ... »

وهو يقول إن الاحتلال الإنجلزي في استانبول احتلال ضعيف لا يقوى على
المقاومة . ثم إن أحراز الفرنسيين والإيطاليين والأمريكيين يقولون - بوحى من
صاحبنا المهزيل ذى الخصلة النابليونية - إن الحلفاء في حالة من الضنك والأسأم لا تسمح
لهם بعاودة الحرب من جديد ، وإن الشعوب الأوربية لن تتبع حكوماتها بعد ذلك
أن ترجم بها في نيران حروب جديدة منها يكن اليماث على ..

ثم إن جيش الاحتلال في استانبول خائف متوجس بعد أن علم بقوة الحركة
الوطنية وتصميم بطل الدردنيل على الكفاح . والإنجليز إذ يتصورون كمالاً يتصورون
معه عشرات الآلاف من قتلامن الثاوين تحت تراب غاليسولي ..
إذاً فالبدار البدار إلى استانبول !

* * *

ميت يبعث من جديد !

جيش الخليفة لا تبقى منه باقية !

جلاء الحلفاء عن أطراف الأناضول يتم بسرعة عجيبة !

كاظم قره بکير ينطفئ منطقة أرمينيا ويزيل شبح الأرمن . إلى الأبد !

صناديق وافرة من الرصاص يغنمها هذا الرجل من الاعداء فيادر إلى ارسالها

إلى أنقرة

على فؤاد ينطفئ المنطقة المحيطة بازمير من طلائع اليونان والأرمن

أدهم الشرکسى - رئيس العصابات فيما سلف - يقوم بأعمال حربية باهرة مع

على فؤاد !

جعفر طيار : هذا الجندي الكبير المخلص لكمال والحاصل لواهه في تركية أوربا ،
في منطقة أدرنة ، يشرع في الزحف على استانبول

ومصطفى كمال في أنقرة كالقلب الجبار يبث في الجنود روح الاستبسال ويدفعهم
إلى هنا وإلى هناك

وإن في ارادته الفولاذية وروحه القوية ونظراته النارية لآية لمن يرى ويسمع

فنزيلوس رجل الساعة !

رجل ضئيل أصفر : فيه من الذئب والشلب الغدر والدهاء . في كريد ولد ،
وفي الثورات شب عن الطوق . وفي الدماء ولع . وله في عالم السياسة الدولية
جولات بارعات

فدائی كأروع ما عرف عن شيخ الجبل وطائفة الحشاشين !

مائات الآلاف من الجثث يتخطاها . وبخار من الدماء يعبرها ليصل إلى غايتها في
الحياة : مجد اليونان ، ورفع الصليب على مسجد أيا صوفيا

هو الآن رجل الساعة : فقد جلس مع جباررة العالم ليت معهم في مصائر الأمم
والشعوب ، فرأى ما هم فيه من ارتباك بعد أن ثار الترك واعتنموا إجلاء الحلفاء عن
استانبول ، فقطعوا لافناء الترك بجيش من بنى وطنه

جبابرة العالم يرجون بما عرض عليهم ثعلب كريد ، فلئن كانت شعوب أوربا في

حالة من الضنك والأسأم لا تسمح بقتال الأتراك ، فهذا شعب يتطلع قائدته بالقتال دون أن يرغمه أحد على ذلك
ثعلب كريد ينقلب ذئباً ، ويطلب إلى جباررة العالم امداده بالأسلحة والذخائر ،
فيبدو له بما بقي لديهم من مخلفات الحرب ، مدافع وقنابل ورشاشات وبنادق وطلقات
وطائرات وخيول وعربات
وذئب كريد يسوق إلى أزمير زهرة الضباط والجنود اليونانيين تميداً للزحف
على الأناضول

وفي طرفة عين يرى كمال أن الموقف انقلب رأساً على عقب : بعد فلول الحلفاء
الراغبة عن القتال يفدي الأناضول جيش عرمم متحمس للحرب مستعد لها
وفي ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٠ يشرع اليونان في الزحف :
ففي تركية أوربا يهزم جعفر طيار بجيشه ويقع في الاسر ، ويستولى اليونان على
ما بقي في يد الأتراك من القرى والبلدان
وفي ازميت يقضى الجيش اليوناني على مقاومة الأتراك قضاء مبرماً
ومن أزمير يزحف جيشان يونانيان جباران فيكتسحان عصابات أدهم الشركى
وقوات على فؤاد ، ويسيران في الأناضول صعداً رافعين ألوية النصر على القرى
والمدن

اليوناني في السلم ندل وبقال . ولكن في الحرب جندى جار . وهو في زحفه
هذا على الأناضول وحش كاسر أيقظ فيه ذئب كريد ثأره القديم فراح يقاتل كأروع
ما يقاتل جندى تركى أو فرنسي
ثم انه لم يقاس أهوال الحرب الكبرى . والسلاح والذخيرة في متداول يده .
والاموال تنهال عليه . والخلفاء من خلفه يدفعونه و يؤيدونه . والوطنيون أمامه
عصابات وفلول جيوش جائعة ، قفيرة ، لا سلاح معها ولا ذخائر

* * *

ما أشنع فرار الوطنيين أمام الزحف اليوناني ! وما أسعد الخليفة والخفافش الاسود
بهذا الفرار !

اليونان أوشكوا على بلوغ اسكيشهر . وقادهم يصرون على وجوب الزحف
حتى يلغوا شرق الأناضول . ولكن ثمة اراده عليا من الخلفاء تمنعهم من موافقة

الزحف حتى يوطدو أقدامهم في الأرض التي فتحوها
وفي انقرة ثورة كلامية توشك أن تؤدي إلى فشل ذريع . فنواب المجلس الوطني
الكبير الذين سمعوا بالأمس من كمال أنهم على وشك الظفر وبلوغ استانبول تهولهم
اباء المهزائم والفرار ، ولا يصدقون أن الحالة تغيرت عما كانت عليه . فهل كان كمال
يلعب بعقولهم عندما قال إن استرجاع استانبول أصبح قاب قوسين أو أدنى ؟ أم أنه
تسبب - بمحاقته وطبيشه وجبن قواده - في فشل الحركة الوطنية ؟ !

مصطفى كمال يكاد يصبح عدو الشعب في نظر بعض النواب . وعصمت وفوزي
لا يصلحان لادارة المعارك . وعلى فؤاد الذي انسحب أمام اليونانيين خائن يجب
اعدامه . وأدهم الشركسي - السفاح - ورئيس العصابات فيما سلف ، هو المنقذ الوحيد
والرجل الذي يصلح الآن لادارة المعارك !

بل ان في النواب من ينادون بوجوب حل الجيوش المنظمة وجعلها عصابات يقودها
أدهم الشركسي . . .

وأدهم الشركسي يزور أنقرة فستقبله استقبال الغزاوة الفاتحين . وزعيم العصابات
السفاح يدخل المجلس الوطني الكبير فيقوم له النواب اجلالا ويهتفون له ويصفقون ،
فإذا دخل كمال المجلس استقبلوه ببرود وفتور ، وتفرسوا فيه بنظرات ، الاغتيال
كامن فيها والتأثير في أشعتها يتائق . . .

مصطفى كمال لا يزال كما كان وحيثما كان حديثاً جليداً
إنه يتقدم إلى منبر الخطابة بخطوات ثابتة ، ويقف أمام النواب صامتاً ريثما تفرغ
جعبة هتافهم العدائية ، ثم يتكلم خافت الصوت في أول الأمر ، قويه بعد لحظات ،
مدمدماً بعد دقائق . . .

إنه يقول للنواب إنهم لا يقدرون الموقف حق قدره . وإن الحركة الوطنية
لا ينتظر منها أن تقف في وجه الزحف اليونياني وهي بعد في مهدها . وإن الجيش
اليونياني جبار مزود بالمال والسلاح والذخيرة . وإن الخليفة وخفاشه الأسود
ها الملومان فقد سرحا القوات الوطنية ثم وقعا على معاهدة سيفر ، ولم يكفها ذلك
بل أثارا حرباً أهلية بين أهل البلاد فأصبح الترك يقاتل أخاه وكأنه يقاتل عدواً
دخلاً . . فكيف ينتظر من بلد هذا شأنه ، وجيشه تلك حالته ان يقف أمام
اليونانيين ويهزهم في أول معركة يواجههم فيها ؟

ثم ينطلق موجهاً كلامه إلى دعاء التسليم بالأمر الواقع ، فيهتف بهم أن اذكروا
مجدكم القديم ونثار آباءكم وأجدادكم ، وتذكروا انكم كتم لليونان سادة حاكمين .
فكيف تقبلون الذل والأسر من عبادكم بالأمس ! ؟ « حاش لله أن تكونوا عبيداً
وقد خلقكم الله أحراراً . ثوروا لقوميتك ، ووحدوا شتات قوتكم ، واعلموا أن
لواء النصر معقود لكم آخر الأمر باذن الله ! »

ويغادر الرجل الحديد الجليد النبر فيسود الصمت العميق بضع دقائق . ثم تنطلق
الخاجر بالهتاف والأكف بالتصفيق مجدة عدو الأمس وبطل اليوم !

الويل لأدھم الخائن !

مصطفى كمال رجل الحرب النظامية يخرج من قاعة المجلس الوطني الكبير ظافراً
بتأييد النواب مصمماً على القضاء على أدھم الشرکسى زعيم حرب العصابات . وهو
ـ كعادته دائمـاًـ لا يغفو عنمن أساء إليه والى قضية الوطن . وقد أساء أدھم الشرکسى
إليه كما أساء إلى الحركة الوطنية بغوره وحركات عصاباته الجنونية ، وتسبب في هزيمة
القوات الوطنية أمام الجيش اليوناني الزاحف ، وأوشك أن يقى على النظم العسكرية
التركية ، وشجع نفرـاًـ من الضباط والجنود على خلع اللباس العسكري والتزيـنـ بـزـىـ العصابات
وكمال رجل النظم العسكرية والخرائط والارقام يرى في حرب العصابات المهزـمةـ
المحقـقةـ . فهو لذلك يعين عصـتـ قـائـدـاًـ للجـهـةـ الغـرـيـةـ ، ويأمر أدھم وأتباعه بتلقيـ
الأوامر من قـائـدـهمـ وتنفيذـهاـ تـفـيـداـ حـرـفـياـ

ولـكـنـ أدـھـمـ يـرـفضـ أـنـ يـكـونـ تـابـعاـ لـعـصـتـ وـنـصـيرـ جـيشـهـ . وـيـجـمعـ منـ أـشـتـاتـ
عصـابـاتـهـ جـيشـاـ يـسـمـيهـ «ـ الجـيشـ الـأـخـضرـ »ـ . وـيـحـاـوـلـ أـنـ يـنـفـرـدـ بـالـلـوـلـاـيـاتـ الـغـرـيـةـ وـبـقـتـالـ
اليـونـانـيـنـ . وـيـجـمعـ منـ أـهـلـ القرـىـ ضـرـائـبـ فـادـحةـ ، وـيـتـحدـىـ كـمـلاـ وـحـكـومـةـ أـنـقـرـةـ .

بلـ أـكـثـرـ مـنـ ذـالـكـ كـلـهـ يـهـدـدـ كـمـلاـ بـالـشـنـقـ إـذـاـ تـعـرـضـ لـهـ بـسـوءـ !

ولـقـدـ حـاـوـلـ كـمـالـ أـنـ يـرـدـعـ عـنـ غـيـهـ فـماـ اـرـتـدـعـ . وـاستـقـدـمـهـ إـلـىـ اـنـقـرـةـ ذاتـ مـرـةـ
ليـقـنـعـ بـوـجـوبـ حلـ عـصـابـاتـ ، فـهـدـدـهـ زـعـيمـ العـصـابـاتـ بـسـدـسـهـ .. وـدـعـاهـ إـلـىـ زـيـارـةـ
عـصـتـ فيـ خـطـ النـارـ وـفـضـ النـزـاعـ القـائـمـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ غـرـيـهـ ، فـقـفـزـ أـدـھـمـ منـ القـطـارـ فيـ
أـحـدـيـ المـحطـاتـ وـاعـتـصـمـ بـعـصـابـاتـهـ مـخـافـةـ أـنـ يـغـتـالـهـ مـصـطـفىـ كـمـالـ ..

وهناك في ولاية كوتاهية يشق أدهم عصا الطاعة على كمال وعلى الحركة الوطنية .
ويعود السفاح إلى أصله فيعيث في الأرض فساداً . ثم ينقلب خائناً فيفاوض حكومة الآستانة ويعرض عليها مساعدته ، ويعمل على قتل الروح المعنوية في صدور الآراك ، ويصدر النشرات بوجوب الكف عن القتال والاستسلام للأمر الواقع ومحاوضة الحلفاء على أساس التسليم بكل شيء ..

كل ذلك بوحى من حقده على كمال ورغبته في القضاء على حركته . وهو في هذا الانحدار من الوطنية المتطرفة في أول الحركة الوطنية - إلى الخيانة السافرة في متصرفها يسعى في أحد أمرین : اما القيادة العليا ، وإما القضاء المبرم على الحركة الوطنية !
وأخيراً يضرب كمال ضربته القاصمة إذ يوجه رأفت إلى كوتاهية بجيش كبير يهز عصابات أدهم ويشتت أتباعه ، فيفر أدهم إلى حيث استقر جيش اليونان ، ومن ثم يندثر اسمه كزعيم وطني .. إلى الأبد

ومصطفى كمال رجل النظم العسكرية والخراطط والارقام يتنفس الصعداء فقد استراح من خصم عنيد أوشك أن يشطر تركيا المحادة إلى معسكرين مقاتلين

عصمت في «أينونو»

في منزل السيدة الكبيرة القلب بابيان شريفه صالح كورخان جلست في أحد أيام العام المنصرم آتخدت إلى رءوف بك ، وكان موضوع حديثنا عصمت . فقال رءوف بك : « انه رجل كبير . كان القواد يتنافسون في الحصول عليه عندما كان ضابطاً بسيطاً . وقد عرفه في اليمن فعرفت فيه رجل المستقبل . ولما عين أنور وزير الحرية آتخدته مديرًا لشعبة الحركات - وهي وظيفة كبيرة باللغة الخطورة . وان أنس لا أنسى سفرنا إلى « يانيا » مع بعثة أركان الحرب ، إذ قال لي وهيب باشا - وكان معنا - مشيراً إلى عصمت : هذا رجل ليس له مثيل .. »

ثم صمت رءوف بك لحظة ليعاود حديثه :

« وأنا لا أظن ان مصطفى كمال خلق عصمت كما يقول الكثيرون ، فعصمت خلق نفسه بنفسه . وكل ما استطيع أن أقوله في صدد الكلام عن رجل تركي العتيدين أن أحدهما يكمل الآخر »

هذا الرجل الكبير الذى يقول رءوف بك انه يكمل مصطفى كمال يفتح الان
تاریخه الوطنی الحافل بنصر حميد في معرکة « اینونو » الأولى ، فقد حسب اليونان
أن انضمام أدهم اليهم معناه انقسام الجيش الوطنی ، فزحفوا على مدينة افیون قره
حصار واحتلوا جانباً من الخط الحديدي الرئيسي في الاناضول ، ولكنهم سرعان
ما فوجئوا بهجوم واسع النطاق من عصمت اجلام عن المدينة التي احتلوها وأعادهم
إلى صفوفهم الأولى عند اسکی شهر

عصمت في هذا المجموع موفق إلى أقصى حده . واليونانيون - بعد - يستشعرون
الخوف من الجيش الوطنی الذي زعم ذئب كرييد - وكان محقاً في زعمه - أنه الى
الفول الواهية أقرب منه الى الجيش المنظم الكبير

وفي انتصار عصمت الذي يكاد يكون احدى العجذات اضعاف للروح المعنوية في
صفوف اليونان ، وقوية لروح الكفاح في الجيش الوطنی . وتلك الفول التي حرر
فزيلاوس من شأنها يعاودها الحماس ويصور لها الانتصار تصاویر باهرة فتجالد الفقر
والجوع والعرى و تستعيد ما فقدته من البساطة والنظام تحت لواء عصمت
وأما اليونانيون فيظلون معسکرين حول اسکی شهر . وهم في هذه الشهور الستة
يزيدون في قواتهم ويطلبون المزيد من الاسلحة والذخائر من حلفائهم استعداداً
للهجوم المتظر

أیام انقرة ولیاليها

مصطفى كمال في أنقرة يعلم . وعلى كثب منه فوزى مكب على خرائطه وشئون
الجيش التي لا أول لها ولا آخر . وعصمت في « اینونو » كما عهدناه - وسعهم
دائماً - كتلة من العمل صماء بكماء

ويخلو في هذا الصدد أن أعدل في أقوال رءوف بك قليلاً : فمصطفى كمال
وعصمت وفوزى أقانيم ثلاثة يكمل أحدهم الآخر و تتألف منهم - مجتمعين - تلك
الحركة الوطنية الباهرة التي تتحدث عنها في هذا الكتاب

ومن حق فوزى أن نصفه للقراء ما دام يزهد في الاعلان عن نفسه :
هو رجل مديد القامة ممتلئها ، حديدي الارادة ، كامل الأخلاق ، لا يدخن ولا

يعرف الخمر أو الميسر ، متزوج وله ذرية صالحة ، محافظ على الشعائر الإسلامية في مظهره ومحبته ، يصلى ويصوم ويذكر ويرتل القرآن منذ نعومة أظفاره ، زاهد في المال والجاه ، لا يعرف إلا مكتبه وخرائطه وجنوده وسجادته . اذا تحدث خلته رجالا عاديا . وهو في تنظيم الجيش وتدبير الأقوات والأسلحة عسكري من الطراز الاول عالمي الكفاءة الحربية . ملم بخريطة بلاده إمام الرجل منا بتصميم منزله ، لا تسأله عن قرية أو جدول أو راية أو طريق زراعي في أية جهة من جهات الأناضول حتى يحدد لك مكانه بالضبط وكأنه ولد وعاش فيه طوال أيام حياته ..

مصطفي كمال يعمل في أنقرة الى جوار هذا الرجل . وهو موقن أن اليونانيين في اسكندرية يستعدون لهجوم واسع النطاق ، فهو لذلك يصدر الاوامر الى سائر الولايات بتجنيد التطوعين ، ويشرف على الحركات العسكرية بنفسه ، ويأمر أهل الأناضول باقراض حكومة أنقرة نصف محصول أراضيهم وما يربحون ، ويعدهم بتسييد هذا القرض عندما تستقر الأحوال بعد طرد العدو من أرض الوطن وأهل الأناضول لا يتددون في اراضي الحكومة نصف محصولاتهم . بل ان منهم من يتبرعون بهذا النصف ولا يطالبون الحكومة به . ولقد يعجب المرء لهذه التضحية من شعب استنزفت الخليفة موارده طوال ستة قرون ، كان ينفق فيها بسخاء على اليمن وببلاد العرب والعراق والشام ويسبك دماءه في تلك البوادي السحيقة ، دون أن يعترف له أحد بفضلاته عليه - وانى لأجد السر في تلك التضحيات الجديدة في هذا الروح الجديد الذى نفعه مصطفي كمال فىهم ، فهو الآن لا يطلب منهم أموالهم ومحصول أراضيهم للدفاع عن أقطار أخرى وتعميرها ، بل يأخذ منهم ليعطيهما ، ويستخدمون في الدفاع عن الوطن الذى يشربون ماءه ويعيشون تحت سمائه . وهو في حركته الوطنية الجديدة مصمم على أن يكون الأناضول لأهل الأناضول ، ومنهم واليهم ، وهو دائمًا أبدًا يعترف بأن أهل الأناضول هم تركيا الحقيقة ، تركيا التي ستتخذ مكانها في طليعة الدول الشرقية وعلى قدم المساواة بالدول الغربية . وأهل الأناضول لذلك مغتبطون مزهونون بتلك المسئولية العظمى الملقاة على عواتقهم ، فلا عجب أن يجودوا الآن بأخر قطرة من دمائهم ، وأخر سبلة في أراضيهم وتضحياتهم لا تقف عند اقراض الحكومة وحسب . بل انهم يتطوعون في الجيش الوطنى غلامانا وشيماً . فمن لم يتطوع في الجيش منهم انضم الى الفواطم العاملات

في نقل المؤن والدخائر الى خط النار . وان السائر في المنطقة بين ائنقرة و « اينونو »
اذ ذاك ليرى ألوفا مؤلفة من النساء والرجال فيهم وفيهن حاملة القنابل على ظهرها ،
وحامل الغلال على عربته التي تجرها الشiran في طرق متعرجة ووهاد ونجاد ، دون
أجر معلوم أو مجهول
وفي الميدان اليوناني كنت ترى سيارات النقل الكبيرة والقطر والطائرات
تستعمل في نقل المؤن والدخائر والرجال الى خط النار

* * *

ومصطفى كمال ينتقل الآن من دار مدرسة الزراعة الى دار ناظر محطة انقرة .
فترة هناك في حجرة ضيقه مظامة فيها من الآثار أقفاله ، ومن الخرائط والخابر والأقلام
والاعلام الصغيرة التي تستعمل في رسم الخطوط على الخرائط آكام
يومه من مطلع الشمس الى مغربها ينقضى في المجلس الوطنى الكبير ، وحيث
الجنود وال الحديد والنار ، وأمام عامل التلغراف ، وهناك وهناك وفي كل مكان
وليله ينقضى في غرفته الضيقه حيث يجلس على نور الغاز وأمامه منضدة فوقها
خربيطة الاناضول وبجواره عشرات من لفائف التبغ يدخلتها تباعاً ويلقى بأعقابها في
المنضدة أو في الغرفة حيث اتفق . وهو في جلسته أمام الخريطة دائباً على تثبيت
الاعلام الصغيرة على موقع العدو وموقع جنوده ، يرسم خطته ويناقشها ساعات
طويلة ، فإذا وجد فيها نقطة ضعف عدل عنها في جملتها أو في بعض تفاصيلها . وكثيراً
ما نرى بجواره صديقه عارف ، أو مساعدته فوزى ، أو هذا أو ذاك من ضباط أركان
الحرب أو من حراسه المعروفين « باللاظ » وعلى رأسهم عثمان أغرا
والفرح وحده يجد كمالاً متعددأً على فراشه الحشن . . .

وبعد بضعةأساير ينتقل كمال من منزل ناظر المخطة الى قمة راية «تشان كايا» الشرفة على قرية انقرة . هنالك يقيم في منزل متواضع مبني من الحجر فتصلح حاله قليلا . وتعمل أمه « زبيدة » على توفير أسباب الراحة له فترى لونا مؤثراً من حنان الامهات « زبيدة » التي رأيناها في سلانيك وسمعنها تتصح ابناها كمالا بعدم التعرض للخليفة الذي يملك قوة سبعة من الاولياء .. زبيدة التي أشرفت الان على مرحلة عمرها الاخيرة ، والتي لا تزال تتصور كمالا طفلا في المهد يبكي ويضحك ويرضع اللبن من ثديها .. زبيدة هذه لا تكاد تصدق أن ابناها أصبح «باشا» من الباشوات وأقذر كيا

من نكبة غالبيوليوها هو ذا الآن ينتقدنا من نكبة سيفر ..
انها تتحدث اليه كما تتحدث الأمهات لى طفل شقي . فيضحك كمال = وما اندر
ما يضحك !

وهي تشرف على طعامه وفراشه بمساعدة فكرية هامه ولا تنسي أن تقول : «ابنی
كان يحب كذا ولا يحب كذا من ألوان الطعام لما كان طفلاً يلعب ..»

وهي تقوم من فراشها في الصباح مبكرة فلا تجد ابنتها في المنزل . فتدخل غرفة
نومه فتجد اثناثها منقلباً رأساً على عقب : كثيراً مهياً فيه « قلب » وطربوش وحذاء
عسكرى خشن وملابس داخلية وخارجية وخرائط وأعلام صغيرة وعشرات من
أعقاب السجائر تملأ أرض الغرفة . . فتتهجد

* * *

المجلس الوطنى الكبير دائم على العمل . يعقد جلساته في الحقير والخطير من
الأمور . والنواب يعملون بالخلاص وتضحية ولكنهم في نظر كمال جمهرة من الناس
لهم السنة تتكلم ، وأفئدة تحيش فيها الوطنية ، وأكف تجيد التصفيق ، ولا أكثر
من ذلك . . شأن سائر البرلمانات في سائر أنحاء العالم

نعم ان فيهم السياسي ، والعلم الديني ، والزارع ، والتاجر ، والصانع ، والشاعر
الاديب . وكل ما يصدر من قوانين أو أوامر لابد أن يناقشوها ويواقوا عليها .
ولكن من الذى يشرع القوانين ويوجه باصدار الأوامر ؟

نحن نقرر - للحقيقة والتاريخ - انهم كانوا يرهقون أعصابهم في النقاش والهتاف
ولكننا نقرر - للحقيقة والتاريخ أيضاً - ان كلاماً هو الذى كان يقرر وينفذ . ييد
أن وجودهم وجود المجلس الوطنى أمر لا بد منه لستخد قرارات كمال ومشروعاته
صفة القوانين

ومصطفى كمال إذ يجلس على أحد مقاعد المجلس الخلفية شخصية لا بأس بها في
نظر النواب . ييد أنه يتقلب شخصاً غير مرغوب فيه اذا استكثر مناقشاتهم وسُئِّم
شعب وجهات أنظارهم فارتقي ذروة المبر وظهر أمامهم بوجهه الشاحب الضامر وعيني
الذهب المتألقين . . فإذا تحدث وعلا صوته ودمدم ، وراح يخلب أليابهم بسحر بيانه
وروعة خطابته ، صفقوا له طويلاً وأيدوه على طول الخط . .
وان كلاماً ليواجههم في كل يوم بكل جديد مستطرف :

فروسيا البلشفية التي قالت على انقضى القىصرية تختطف في مستهل حياتها سياسة جديدة أساسها هدم الرأسمالية وعداء حلفاء الأمس وعلى رأسهم إنجلترا . وهي تنسى تلك العداوة التقليدية للاتراك التي توارثها الروس قيصرًا عن قيصر ، وتقترب الى حكومة انقرة بعد اعترافها الرسمي بها وعقد محالفتها معها في ٢٤ أغسطس سنة ١٩١٩ وكانت قره بيكير يهزم الأرمن عند (قرص) ويستولى على كميات وافرة من الذخائر والمدافع والبنادق صنعت في معامل إنجلترا ومنتجة للأرمن بعد عقد الهدنة فيرسلها فوراً إلى أنقرة

وفرنسا وايطاليا تشعران بالضيق والخرج من جراء السياسة الانجليزية اليونانية ، فتوحيان إلى حكومة انقرة بأنهما - منذ الساعة - على الحياد ، وبأنهما على استعداد لبيع السلاح للجيش الوطني

وانجلترا لا تقل عن زميلتها ضيقاً وحرجاً . ولكنها لا تزال تؤمل في نجاح الغزوة اليونانية ، فهي لذلك جائمة بأسطولها وجيشهما في مياه استانبول وثكناتها ، عاملة على امداد اليونانيين بالأسلحة والمؤن والمال

وفي الشرق الاسلامي موجة من الحماسة تحوّل آثار العهود البائدة ، وتيار من العطف يتحدر على انقرة من سائر الأحياء ، وأموال تجمع ، وأدعية تلقى في المساجد وقصائد يهتف بها الشعراة مجددين كلّاً وحركة الوطنية ، قائلين :

« من العار أن يفدى الغزاوة نفوسهم ونحن بدينار نضن ودرهم ... »
وان فيهم من يبلغ به التأثر شاؤه فيهتف :

عظم المصاب وضج كل موحد وملأ الأسى في القبر قلب محمد
وتزلزل الحرمان حتى أوشكا يتداعيان إلى الخضيض الأوهد ..

كل هذا يقصه كمال على النواب من فوق المنبر ويضيف عليه الواناً من آيات بلاغته فيتحمسون ويهتفون ! وبذلك يحتفظ بمحكماته في قلوبهم في تلك الأشهر الطويلة المعلنة التي تسبق زحف اليونانيين وتنذر بهبوب العاصفة النكبات

ثم ينطلق داهية الحرب والسياسة في تحميس النواب والجنود فيقترح تأليف نشيد للحركة الوطنية . ويعين للفائز جائزة كبيرة . فيتباري الشعراة والمتشارعون في تأليف النشيد . ولكن أني لهم ذلك وشاعر تركيا الأكبر محمد عاكف مقيم في

أقرة ؟ وهل يؤلف النشيد وعاكف في المدينة ؟

أطال الله بقاءك يا استاذى العزيز . . انه يضع نشيدا : الاعجاز في كل بيته منه ، والنار فيه تتوهج . . فيفوز بالجائزة ، ولكنكه يتنازل عنها للحركة الوطنية وهو أحد أقطابها قائلا : ان قبول الوطن لننشيدك يكفيه خارجاً وتخليدا

ويلقى النشيد في المجلس الوطني الكبير في يوم اشتدت فيه الحماسة ، فيقاطعه النواب بعد كل شطارة منه بعاصفة من التصفيق تستمر بضع دقائق ، حتى اذا ما وصل الشاعر الى قوله :

« لتبزغن أيام مجدك التي وعدك بها حظك العتيد

« ومن يدرى . . فلعلها تبزغ غداً ، أو لعلها أقرب اليك من الغد القريب ! »
نرى كلاما يخرج عن طوره فيتف للنشيد وواضع النشيد ، وينادي بأن أيام لمجد أقرب اليه من جبل الوريد ، ويقفز الى فوق المقاعد هاتفاً مصفقاً ، حتى تسجل عقارب الساعة مرور عشر دقائق !

المناحة الكبرى

عصمت في خط النار يستعد للاقاء الم hormom اليوناني . وهو الآن سعيد بجيشه المنظم بعد أن رحل أدهم الشركسي وتشتت فلول عصاباته ، معترم الدفاع عن اسكندرية وأفيون قره حصار وما حولها بما بين يديه من جيش صغير واسلحة لا تقاد تقارن باسلحة الاعداء

وفي كل يوم يسمع عصمت اذيز الطائرات اليونانية فوقه ، فيصر على أسنانه غيظاً لأن قوة دفاعه لا تملك طائرة واحدة . .

وكان القدر يأبى الا أن يكون ساخراً فيبعث الى الجيش بطائرة واحدة من طائرات الانجليز يقودها شاب تركي جسور . .

ولهذه الطائرة قصة : فهذا الشاب الاستانبولي يخجل لأنه لم يتمكن من الالتحاق بأخوانه المجاهدين ، فيبعث بزوجته الحسنة الى حيث ضباط سلاح الطيران الانجليزي فيلعب جمالها دوره الساحر الخطير ويأسر لب أحد الضباط ، ويحاول العاشق أن ينال من معشوقته ما يتمنى فتقول في دلال واغراء : « قبل أن ايناك أمنيتك خذني معك

فـ الطـائـرـةـ مـرـةـ وـاحـدـةـ .. » فـ يـوـافـقـ الطـيـارـ عـلـىـ ذـاـكـ وـيـدـعـوـهـ لـلـرـكـوبـ مـعـهـ . فـ تـقـولـ
لـهـ : « أـلـاـ تـركـ زـوـجـيـ مـعـنـاـ ؟ إـنـهـ أـبـلـهـ لـاـ خـطـرـ لـهـ .. » فـ يـرـكـهـ الطـيـارـ مـعـهـ أـيـضاـ ..
وـفـ عـالـمـ الـفـضـاءـ نـشـهـدـ مـأـسـاةـ رـهـيـةـ : فـالـشـابـ التـرـكـ يـصـرـعـ الطـيـارـ الـأـنـجـلـيـزـيـ وـيـلـقـيـ
بـحـيـتـهـ إـلـىـ الـأـرـضـ ، ثـمـ يـقـودـ الطـائـرـ بـهـارـةـ فـائـقـةـ إـلـىـ اـنـقـرـةـ .. إـلـىـ مـصـطـفـيـ كـمالـ ..
فـتـكـونـ الطـائـرـةـ الـوـحـيـدةـ الـتـيـ يـعـلـكـهـ الجـيـشـ الـو~طـنـيـ !

عـصـمـتـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ مـبـادـرـةـ الـيـونـانـيـنـ بـالـمـجـوـمـ فـكـلـ جـنـدـيـ يـقـدـهـ ، وـكـلـ طـلاقـةـ
يـضـعـهـاـ تـضـعـفـ الجـيـشـ الـو~طـنـيـ

أـمـاـ الـيـونـانـيـنـ قـادـرـوـنـ عـلـىـ الـمـجـوـمـ . وـهـاـ هـىـ ذـىـ مـدـافـعـهـمـ تـلـاـءـمـ الـفـضـاءـ قـصـفـاـ
وـتـدـكـ اـسـتـحـكـامـاتـ الـأـتـرـاكـ دـكـاـ .. هـاـهـىـ ذـىـ طـلـائـعـهـمـ تـخـرـجـ مـنـ الـخـنـادـقـ مـعـتـصـمـةـ بـقـنـابـلـ
الـمـدـافـعـ ، حـامـلـةـ عـلـىـ جـيـشـ عـصـمـتـ حـمـلـاتـ رـهـيـةـ توـشـكـ أـنـ تـحـمـلـهـ عـلـىـ التـقـهـقـرـ ..
وـوـالـوـيلـ لـهـ إـذـاـ تـقـهـقـرـ !

وـهـنـاكـ فـيـ اـنـقـرـةـ رـعـبـ شـدـيدـ وـنقـاشـ طـوـيـلـ .. وـنـوـابـ المـجـلـسـ مـتـشـبـثـوـنـ بـضـرـورـةـ
صـدـ الـيـونـانـيـنـ مـهـمـاـ تـكـنـ النـتـيـجـةـ . وـمـصـطـفـيـ كـمالـ يـشـعـرـ بـخـطـورـةـ الزـحـفـ الـيـونـانـيـ
فـيـعـمـلـ لـيلـ نـهـارـ ، وـيـتـصـلـ بـعـصـمـتـ فـيـ كـلـ سـاعـةـ لـيـقـفـ عـلـىـ سـيرـ الـمـعـارـكـ ، فـيـعـلـمـ مـنـهـ أـنـ
الـزـحـفـ الـيـونـانـيـ لـاـ يـكـنـ الـوقـوفـ فـيـ سـيـلـهـ ، وـأـنـ الـعـدـوـ اـحـتـلـ كـوتـاهـيـةـ وـأـفـيـوـنـ
قـرـهـ حـسـارـ وـأـوـشـكـ أـنـ يـدـخـلـ اـسـكـيـشـهـرـ .. فـيـأـمـرـهـ بـالـدـفـاعـ عـنـ اـسـكـيـشـهـرـ . وـلـكـنـ
عـصـمـتـ يـوـقـفـهـ عـلـىـ اـسـتـحـالـةـ ذـلـكـ ، وـيـتوـسـلـ إـلـيـهـ أـنـ يـأـتـيـ بـنـفـسـهـ لـيـدـيرـ الـمـعـارـكـ أـوـ يـأـمـرـ
بـالـانـسـحـابـ إـلـىـ مـوـقـعـ آـخـرـ مـنـيـعـ . فـيـغـادـرـ مـصـطـفـيـ كـمالـ اـنـقـرـةـ وـيـذـهـبـ إـلـىـ خـطـ النـارـ
وـسـرـعـانـ مـاـ تـذـاعـ اـبـنـاءـ الزـحـفـ الـيـونـانـيـ وـتـقـهـقـرـ الجـيـشـ الـو~طـنـيـ فـتـقـومـ فـيـ الـأـنـاضـولـ
كـلـهـ مـنـاحـةـ كـبـرىـ ..

لـنـ يـقـيـ الـيـونـانـيـنـ عـلـىـ شـىـءـ اـسـمـهـ تـرـكـيـاـ فـيـ هـذـهـ مـرـةـ !
وـلـيـنـقـمـنـ الـأـرـمنـ مـنـ الـأـتـرـاكـ أـشـدـ اـنـتـقامـ !

وـلـتـحرـقـنـ الـقـرـىـ وـالـمـدـائـنـ . وـلـتـبـاحـنـ الـأـعـرـاضـ . وـلـيـقـتـلـنـ الشـيـوخـ وـالـنـسـاءـ وـالـأـطـفـالـ
بـعـدـ الـرـجـالـ . وـلـتـهـدـمـنـ الـمـسـاجـدـ . وـلـيـصـمـتـنـ إـلـىـ الـأـبـدـ صـوتـ الـمـؤـذـنـ : « اللـهـ أـكـبـرـ
الـلـهـ أـكـبـرـ ! » وـلـتـقـلـبـنـ تـرـكـيـاـ اـرـضـاـ غـيرـ الـأـرـضـ ، وـقـوـمـاـ بـعـدـ قـوـمـ ، وـدـيـنـاـ بـعـدـ دـيـنـ ..
أـهـلـ الـقـرـىـ يـسـتـعـدـوـنـ لـلـفـرـارـ فـيـ حـمـمـوـنـ أـمـتـعـتـهـمـ وـيـوـدـعـوـنـ مـسـاـكـنـهـمـ وـيـسـتـوـدـعـوـنـ
الـلـهـ مـسـاجـدـهـ وـقـبـورـ أـوـلـيـاءـهـ وـشـهـادـهـمـ ..

وأهل انقرة يفرون الى الداخل فتسكاد تخلو القرية الا من أعضاء المجلس الوطني
والجنود وبعض الرجال الشجعان
واليأس ، والخراب ، والموت ، كل أولئك أشباح تراءى للناس في نومهم
ويقظتهم
وهناك في استانبول لا يزال خليفة المسلمين وظل الله في الأرض صديقاً للعدو ،
عدواً للمجاهدين

مصطفي كمال يذهب الى خط النار فيستقبله عصمت بحرارة ويتخلى له عن القيادة
مكتفياً بتنفيذ الأوامر
وفي بعض ساعات يقضيها مصطفي كمال متقدلاً في خط النار يؤمن إيماناً لا تردد بعده
بأن الانسحاب الى الداخل أمر لابد منه ، والا فالهزيمة المحققة .
ومصطفى كمال إذا آمن بشيء لم يتردد . فهو لذلك يأمر عصمت بالتقهقر إلى
ضفاف نهر سقاريا

معركة سقاريا

أرأيت الذئب الذي دوخ مراعي آسيا منذ بفر التاريخ ، وانطلق يقفز من تلك
القمة الشامخة إلى هذا النجد الشاهق ثم ينحدر إلى الوديان ومنها يعاود ارتقاء النجد
ليحيط إلى الوهاد من جديد ؟
أرأيت ضمور وجهه وتألق عينيه في ساعة الخطر ؟
إن هذا الذئب بعينه يقطع المسافة بين اسكيشهر وانقرة قفزًا ، حتى إذا ما بلغ
نقرة هرع إلى حيث تجتمع الذئاب في المجلس الوطني الكبير ، ف تستقبله بوعاء :
الموت في جلجلته واليأس القاتل في نبراته . فيعود أمامها بدوره ويقول لها كما قال
ذئب آسيا لاتراك آسيا من قبل : « النجاة من هنا .. على كثب من انقرة .. على
ضفاف سقاريا .. »

فتعاود الذئاب العواء ، وتتكسر عن أنيناها ، ويتألق الموت في عينيها ، وتهزم
باقتراس زعيمها في ساعة الخطر ول يكن بعد ذلك ما يكون ..

ولكن الذئب الزعيم يتحدى الانياب والنظارات القاتلة بانياب ونظرات أشد منها فتكا وأروع تألفا ، ويقول وهو يلهث : « ما بالكم تجبنون ، وفي ساعة اليأس تتردون ؟ أقول لكم النجاة من هنا .. على كثب من انقرة .. على ضفاف سقاريا .. امتحوني قيادة الجيش العليا أمهد لكم سبل النجاة .. »

فتعاود الذئب العواء من جديد . وقاعة المجلس الوطنى تكاد تخترق من تألف النظارات النارية . والموت ترقص اشباحه في عالم من اليأس ميت

وهناك في أقصى القاعة يقعى الذئب الزعيم على ذنبه ويتحفز للهجوم ..

يا له من منظر !

إن عواءه يضم الآذان . إن وجهه الضامر يدوّن كقطعة من الفولاذ حمراء ملتهبة . إن عينيه تصرعان سائر الذئب بتألقها الوحشى المخيف .. إنه لا تكاد تمر لحظات حتى يخرج الذئب الزعيم من المجلس قائداً أعلى للجيش لا يرده أمر

* * *

والذئب الزعيم يقطع المسافة من انقرة إلى سقاريا قفزًا . وهو إذ يدنو من خط النار يسمع دوى قنابل العدو فتتألق عيناه بشدة .. ويلهث !

فإذا اشرف على مواقع العدو ، نراه على ظهر جواده وفي يده منظار الميدان المكبر . نراه يطبع تضاريس الميدان على صفحة ذهنه . نراه يقيس كل شبر في هذا الميدان ويقدر لذاك السهل يوما ، ولذلك الراية ليلة ، ولهذه التلال وما وراءها ليالى وأياما

ثم نراه فوق السهل . وعلى الراية . وفوق قم التلال . وفي كل مكان : كما رأينا في غالىولى من قبل يتحدى الموت وهو موقن أن الموت ليس من نصيه

آلاف من الطلقات تصوب إليه فلا يموت

مائات من القذائف تتهاوى حوله فتقصف الأعمار : أعمار القواد ، والضباط ، والجنود ، وهو رغم ذلك كله لا يموت

ونهضة طلقة واحدة تصيب جواده فيهوى إلى الأرض صريعا . فيقوم الذئب من فوقه وقد تكسرت ثلات عظام من ضلوعه ..

ولكن هل مات ؟

كلا .. إنه يقعى على ذنبه ويهتف في جنوده وهو يلهث : « إلى بجواب آخر ..

هنا فوق هذه الراية سقطت عن ظهر جواد ، وهنا فوق هذه الراية سينهزم
العدو ! »

ثم نراه فوق ظهر جواده ثانيةً واربعين ساعة متالية لا يذوق خلالها طعم النوم ،
مع أن ضلوعه المكسرة تذيقه من الآلام ما هو فوق طاقة البشر
إنه يتحدى القدر . . إنه يعلم أن سقاريا هي الأمل الأخير : فاما نصر حياة ،
واما هزيمة فناء . فهل يعبأ بعد اليوم بسقطة من فوق جواد ، أو تكسير في بعض
الضلوع ؟

* * *

سقاريا تسجل تاريخها بدماء عشرات الألوف من الضحايا
فعلى كثب من النهر يحمل اليونانيون على الآراك حملات صادقة ويفنون منهم
في كل حملة كتلا هي زهرة الشباب التركي وآخر أمل للذئب الزعيم
واليونانيون إذ يقاتلون الترك إنما يصيرون عليهم حما من التأثير القديم الماجع ، التأثر
الذى أيقظه فنزيلوس ذئب كرييد
والأرمن الذى يقاتلون في صفوفهم ينتقمون اليوم من الآراك أعداء الامس
والاليون ، ويؤملون في قيام دولتهم على انقضاض دولة آل عثمان
وعلى مسيرة أميال من النهر حيث تتعرج التلال وتحدر الطريق إلى انقرة ،
نجد جنود الذئب الزعيم جاثمين في حيثا تهم الأرض أو تتجدد . نجدهم في حالة من اليأس
لا شبيه لها فيما قرأنا من صفحات التاريخ . ولكن ثمة رجلا واحدا يثبت في نفوسهم
الأمل وفي قلوبهم الاستبسال والجبروت : هذا الرجل هو الذئب الزعيم . .
فإذا أخذرت مع الطريق المؤدية إلى انقرة رأيت معالم المهزيمة في كل مكان :
فهذه اسر تفر إلى قلب الاناضول على ظهور الخيل أو بعربات تحرها الثيران
وهولاء تجأر أو زراع يصفون أملاكهم بسرعة ويحزمون حقائبهم استعدادا
للفرار

وأولئك ذئاب المجلس الوطنى بعنوا بزوجاتهم وأفلاذ أكبادهم إلى حيث الأمان
ووقفوا على باب المجلس يسمعون دوى القنابل وازيز الطائرات ويصررون على انيابهم
صارخين : « الويل للذئب الزعيم اذا عاد اليانا مدحورا ! ! »

* * *

وهناك في قرية «آلاكوز» نجد مزلاً صغيراً منفرداً يقف يبابه نفر من الحراس الشاكِي السلاح ، ونسمع في الطريق المؤدية إليه وقع حوافر الحيل على الصخور ، وصليل بعض السيوف ، ونرى من حين لآخر ضباطاً وجنوداً يدخلون وينخرجون بوجوه في صفة الموت ونظارات دائمة وأعصاب تكاد تتحطم فإذا ولجنا باباً باب المزل رأينا حارساً مخيفاً يقف يباب حجرة القيادة . فإذا ولجنا بابها وقفنا أمام هذا المنظر :

غرفة حقيقة ، أثاث تافه محطم ، سقف يكاد يتداعى ، مائدة كبيرة ، مصباح غاز ، خريطة لتركيا ، أعلام صغيرة مثبتة فوق الخريطة هنا وهناك ، والذئب الزعيم نراه أمام المائدة رهيا مخيفاً ..

كل شيء هادئ في غرفة الذئب . ولكن العاصفة توشك أن تعصف ..
هذا جندي يدخل عليه برسالة طويلة . فيتناولها الذئب دون أن ينظر في وجهه ، ويقرأها ، فيلهم ..

العدو اكتسح الترك حيث الجناح اليسير !
الذئب يقطع أرض الغرفة جيئة وذهاباً . ثم يعود إلى المائدة ويتطلع إلى الخريطة .
ثم يقتلع بعض الأعلام الصغيرة من أماكنها ويثبتها في أماكن آخر . ثم يصدر أمره بالهجوم من حيث ثبتت الأعلام . فيهرجم الأتراك فيكتسحون العدو أيام اكتساح !

وبعد بضع ساعات :
رسالة أخرى يقرأها الذئب ، فيلهم ..

ثم يثبت الأعلام في أماكن جديدة . ويصدر أمره بالهجوم . فيهرجم الأتراك ولكنهم لا يكتسحون العدو في هذه المرة . فيقوم الذئب من فوق المائدة ويفوز بجواهه إلى حيث المعركة الدائرة . ولا يكاد يشرف عليها ويراه الجنود حتى يستميتوا في الدفاع ويردوا اليونان على أعقابهم منهزمين !

وفي منتصف الليل :
كل شيء هادئ في غرفة الذئب الزعيم
الذئب الزعيم غارق في تأملاته الخالية . والأعلام الصغيرة تكاد تغطى نهر سقاريا
والتلال الملتفة حوله

عارف يدخل عليه . ثم عصمت . ثم فوزى
وكل واحد من هؤلاء الذئاب يصف هول المارك ويخشى المزيمة في الغداة ..
ولكن الذئب الزعيم لا يتوقع الا النصر .. ويقول بصوته الذى يتحدر من فمه
كارل صاص : « انظروا .. ألا ترون تلك الراية المشرفة على العدو هناك ؟ فوق
هذه الراية سوف ننتصر على اليونانيين .. »
يقولها هكذا على البديهة دون أن يتذرها ..
ومن عجب أن يتحقق الغد بنيوته العجزة !

* * *

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل :
كل شيء هادئ في غرفة الذئب الزعيم
الذئب الزعيم متمدد على فراشه الخشن بمحاذاته الضخم ولباسه العسكري ومعطفه
الرمادي الطويل ..
وعلى كثب منه المائدة الكبيرة ، وعليها مصباح الغاز ، والحريرية ، والاعلام
الصغيرة ، ومئات من اعقاب السجائر
إنه ينام . وعشرات الآلاف من جنوده ينامون في خط النار استعداداً للغد ..
وفي الساعة الخامسة صباحاً :

الذئب الزعيم يقوم من نومه ليعاود الكفاح
والشمس تشرق عليه وهو متتط جواده في طريقه الى خنادق الجيش
لم يعد مكانه في غرفة القيادة في « آلاكوز » بل وجب عليه أن يعيش مع جنوده
في خنادقهم رغم الحاج القواد عليه بوجوب الابتعاد عن مراكز الخطوط
لقد بدأت المارك في صباح يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ وهابي شمس ٦ سبتمبر
ترى دون أن يظفر بأعدائه . فهل تظل المارك هكذا أبداً الأبد؟
لقد دحر اليونانيون غير مرة . ولكن ظهر أن قواتهم لا ينضب لها معين .
فهم في كل يوم يعادون الهجوم بقوات جديدة . وذخائرهم - لوفرتها - تطمعهم في
النصر آخر الأمر . فهل ينتصرون ؟
الذئب الزعيم يقفز بجواده فوق التلال والمرتفعات وفي يده منظار الميدان ، ويقيس
الا بعد ويدير الخطط الحربية بسرعة ، ويزور تلك الفرقه زيارة مفاجئة ، ثم ينطلق

إلى الفرقة التالية فيتقددها ، ثم إلى خط النار حيث يتحدى القنابل والرصاص ، ثم يعود إلى الفرق مرة أخرى ، ثم ينزل عن ظهر جواده ويتحدث إلى ضباطه أركان الحرب ، ثم يقف هو وعصمت وفوزي ويناقشهم في خططهم الحربية ، ثم يعالج نفسه اطلاق أحد المدافع ، ثم يقفز إلى التلال حيث يهجم اليونانيون على الاتراك ويقادون يحاولنهم عن أماكنهم ، فيجد جنوده على وشك الفرار ، فيحمسهم ويخطب فيهم ، ويهددهم بالقتل ، ثم يعود فيتوسل إليهم ألا يفروا ، فتقلب المزية آخر الأمر نصرًا ...

وفي الليل نراه في كل مكان

وقبيل الفجر بساعات نراه بجذائه الضخم ولباسه العسكري ومعطفه الرمادي الطويل متمدداً على أرض الخندق ، أو تحت عجلة مدفع من مدفع الميدان .. هكذا حيثما انفق !

وفي الصباح المبكر نراه حيث يجب أن يكون . نراه في مناطق الخطر . فنعجب كيف توحى إليه غريزة الحرب أن يكون هناك في الساعة التي يجب أن يكون فيها هناك وينقضي النهار بطوله والذئب الزعيم يقفز بجواده فوق المرتفعات ويزور الجنود في الخنادق ويحدث الضباط ويناقش القواد ويساهم في اطلاق المدفع ، ويرى حوله آلاف من الجثث فلا يعيها التفاتا . ويسمع آلاف الآهات فلا تخليج احدى عضلات وجهه ولا يedo عليه شيء من التأثير ..

انه يحارب . وال Herb ضرورة الحياة على الإنسانية . وهذه الجثث يدفعها الذئب الزعيم لعزراائيل عن طيبة خاطر . أما الأنين والتأوه فضعف في القلوب وخور في العزائم لا يود الذئب أن يراه ، ويصم أذنيه دونه ..

وفي صباح ذات يوم شرق الشمس على خط النار فيدو كما هو ، ولا يرى فيه القواد أو الجنود شيئاً جديداً

ولكن الذئب الزعيم يتطلع إليه بانتظاره الكبير فيرى هذا الشيء الجديد الذي لا يتاح إلا من كان ذئباً أو زعياً ..

انه يرى ان اليونانيين على وشك المزية والتقهقر !

ومن العبث أن تناشه في رأيه هذا فهو لا يقبل النقاش ولكن يأمر بالمجموع ، والهجوم بشدة ..

في هجم الأتراك ، ويستميت اليونانيون في الدفاع عن خطوطهم . ييد أن جحافلهم لا تقوى على القتال ، فهي لذلك تغادر الميدان في ١٣ سبتمبر وتعبر نهر سقاريا بمحنة في الفرار !

فيتسم الذئب الزعيم وهو واتبع فوق تلال من الجثث والأشلاء
فقد انتصر !

« لم ننتصر بعد ... »

انهزم اليونانيون في « سقاريا » وارتدوا إلى مواقعهم الأولى حول اسكيشيهـر
وعاد مصطفى كمال إلى أنقرة
أنقرة تستقبل بطلها استقبال الغزاة الفاتحين . والأتراك الذين كانوا يسمعون
أمس قصف المدافع فيراودون أنفسهم بين البقاء والفرار ، يحملون رجل الساعة على
الأعنق ويهللون ويهتفون في فرح جنوني
والمجلس الوطني الكبير يجتمع ويقرر منح مصطفى كمال لقب « الفائز » ورتبة
« الماريشالية »

وبعد أسابيع :

أعضاء المجلس الوطني الكبير يقولون : لقد انتصرنا . فلنعقد مع الأعداء هدنة
ومع الحلفاء معاهدـة نستعيد بها استقلالـنا المفقود
ومصطفى كمال يقول : لم ننتصر بعد ، وإنما أوقفنا تقدم العدو باحدى العجـزـات ،
أما الهدنة والمعاهدة فلن أسمح بهما حتى تندفـ بالـ عـدوـ إـلـىـ مـيـاهـ الـ بـحـرـ الـ ايـضـ !
وتتنفسـ أـسـابـيعـ فـيـ صـرـاعـ بـيـنـ أـنـصـارـ الـوقـوفـ فـيـ منـتـصـفـ الـطـرـيقـ وـالـأـمـلـ فـيـ
الـعـاهـدـاتـ الرـخـيـصـةـ ، وـبـيـنـ الرـجـلـ المـصـمـ علىـ السـيرـ إـلـىـ آـخـرـ الـمـرـحلـةـ وـاـمـلـاءـ شـروـطـ
الـصلـحـ عـلـىـ عـدـوـ الـمـغلـوبـ

وـأـخـيـرـاـ يـنـتـصـرـ مـصـطـفـىـ كـمـالـ . لـيـدـأـ صـرـاعـآـخـرـ
فالـنـوـابـ يـقـولـونـ : لـمـ لـاـ تـهـاجـمـ عـدـوـ مـادـمـتـ مـصـمـاـ عـلـىـ اـجـلـاهـ عـنـ الـأـنـاضـولـ ؟
فـلـاـ يـجـيـبـهـمـ مـصـطـفـىـ كـمـالـ بلـ يـسـتـعـدـ لـلـقـتـالـ باـذـلاـ جـهـودـ الـجـابـرـةـ فـيـ تـرمـيمـ أـنقـاضـ الـحـربـ
وـتـجيـشـ الـجـيـوشـ وـشـرـاءـ الـأـسـلـحةـ وـالـذـخـارـ ، وـيـعـقدـ مـعـ الـرـوـسـيـاـ مـعـاهـدـةـ «ـ قـرـصـ »

ومع فرنسا « ميثاق أنقرة » الذي استعاد بمقتضاه عمانين الف جندي أسير ضمهم الى الجيش الوطني ، ويشتري من ايطاليا وفرنسا عشرات الآلاف من البنادق ، ويحمل الشبان على التطوع في الجيش ، ويحمس الأتراك الراغبين عن القتال بخطبه النارية ، ويقاوم رغبات السياسيين في الصلح ، ويضرب على مؤامراتهم يد من حديد . ويسمع إذ ذاك أن أنور رجل الخيال والخطط الجنونية أصبح أميراً في بخارى ، وأن جمالاً أصبح مستشاراً في حكومة افغانستان ، وتصله منها برقيتان يقول أنور في احداها انه مستعد للانضمام الى القوات الوطنية بجنوده من التركستانيين ، ويقول جمال في الأخرى انه يهدى لتحالف عسكري بين تركيا وأفغانستان ، فيمزق البرقيتين في غضب واحتقار ، ويهتف بصوت كعواء الذئب : « لن أسع لأنور وجمال بالعودة الى تركيا ، ولن أسع لتركيا أن تستقل الا بجهاد أبنائهم ! »

* * *

وفي الثالث الأخير من شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ يزور مصطفى كمال خط النار زيارة قصيرة يسر فيها الى عصمت وفوزي بأن يستعدا للهجوم في يوم ٢٦ ولکي يحيط حركاته بالكتمان ويعدها عن الشبهات يأمر باقامة مباراة في كرة القدم بين جنوده . . وفي ساحة اللعب يجتمع بالقواد ويفضي اليهم تفاصيل الهجوم ثم يعود الى أنقرة فلا يشعر أحد بأن ثمة شيئاً جديداً . . بل إن داهية الحرب ليدعو سائر النواب الى حفلة ساحرة في ليلة ٢٦ أغسطس ، في ليلة الهجوم العتيد . . وفي تلك الليلة بالذات يعود الذئب سراً الى خط النار . .

الى الإمام !

في الساعة الرابعة من بэр ٢٦ أغسطس يصدر الأمر التالي :

« أيها الجنود . . الى الإمام . . الى البحر الا يضن ! ! »

في هجم الجنود على « دوملوبنار » ويأخذون العدو على غرة ، ولا تغرب الشمس في هذا اليوم المجيد حتى يشطروا الجيش اليوناني الى شطرين . . . والقائد الأعلى لجيش العدو يسقط أسيراً هو وجميع أركان حربه . . قضى الأمر . وانهزم اليونانيون أشنع انهزام !

هاهي ذى فولطم ترتد على أعقابها في فرار مخجل مشين . الغزال لا يلحق بهم اذ يفرون . الدمار والموت والنار في كل قرية عنها يرتدون . شيوخ وفتیان ونساء تقر بطنهم أو يذبحون

وفرسان الترك في أثر العدو المهزوم يرون كل ذلك فيصابون بجنون الحرب فلا يرحمون . يقتلون ولا يأسرون . وفي الدماء يخوضون . وعلى الاشلاء يسيرون . . . ونساء الترك ينقلبن ذئاباً يندن عن أعراضهن ويحملن السلاح مع الرجال ويتقدمن الصدوف فاتكatas مقاتلات . .

وفي احدى القرى يحملن رءوس الزجاجات المحطمة ويقتلن بها مئات من اليونانيين والطيور الجوارح تخلق فوق الجثث ثم تحدّر إليها لمشاركة الذئاب والكلاب في ولبة الموت . .

والمهواء تسممه روائع الجثث المنتنة في منطقة بين « دملو بنار » والبحر الايض ذرعها مائتان من الاميال . .

ذئب انقرة على ظهر جواده يسير في أثر العدو فوق الانقاض والقرى المحترقة وعشرات الآلوف من الاجداد دون أن تطفر دمعة من عينه أو يبدو على وجهه الضامر ظل من التأثير !

إنه يسير ويسير . . ولا يسمع أنين هذا الجريح . ولا حشرجة هذا الطفل ولا نواح تلك الأم الثاكلة ، ولا لعنة هذا الشيخ التي يصبه على العدو ، ولا عواء الذئاب ، ولا نباح الكلاب . .

إنه يسير ويسير . . ومن حوله أرواح تزهق ، وقرى تحترق ، ومساجد تهار ، ومزارع لا تبقى فوقها نابتة ، ونسور تشيل من فوق الرمم وتخلق في الفضاء . . إنه يسير ويسير . . عشرة أيام كاملة حتى تبدو ازمير من بعيد . .

إنه يسير . . حتى يدخل المدينة في عاصفة من التهليل والمحتاف ، ويسير في طرقها في موكب عسكري فرسانه قد جردوا سيفهم فتصاعد اهتزافات من صميم الافتدة ، وينهال الاتراك على قدميه ويديه وجواده تقبيلاً وبكاء . .

إنه يسير حتى يرى مياه البحر الايض . . فيبتسم ! وكما تلمع البرقة الحافظة ثم تستسر في بهيم الليل ، تختفي هذه الابتسامة ويعود الذئب كما كان وحيثما كان حديداً جليداً

الخدعة البارعة !

مصطفي كمال لا يزال غير راغب في الصلح مع أنه قذف باليونانيين إلى مياه البحر الأبيض انه مصمم على اجلاء آخر جندي أجنبي عن تركيا ليتمكن بعد ذلك من املاء شروط الصلح على الحلفاء - لا مفاوضتهم عليها ومع ان اليونانيين خرموا من الانضول ، فان جيوشهم لا تزال في تركية أوربا ، في تراقيا

ومصطفى كمال مصر على عبور الدردنيل وافباء الجيش اليوناني عن آخره .. ولكن ثمة مشكلة دولية تقوم في طريقه ، فالإنجليز معاكسرون في منطقة جناق قلعة ، وقد رفضوا السماح للجيش التركي بالمرور إلى تراقيا . وهام أولاء يقفون أمام طلائع الأتراك ويهددون باطلاق النار ..

المجلس الوطني الكبير في انقرة في أزمة عصبية .. والنواب فريقان : فريق يصر على وجوب عقد المدنة والشروع في مفاوضة الحلفاء ، وفريق يرى وجوب الهجوم على الإنجليز والاشتباك معهم في حرب طاحنة ، وليكن ما يكون !

ويقوم بين الفريقين صراع دبلوماسي خطير . فيقف مصطفى كمال في المجلس بين التيارين المعارضين ، ويقول انه لا يقبل رأى هذا الفريق ولا رأى ذاك ، فالصلح قبل اجلاء آخر جندي أجنبي عن أرض تركيا نكبة فادحة . والاشتباك مع الإنجليز في الحرب نكبة أفح . فلينتظروا قليلاً ربما تهدأ العاصفة ..

ثم يعود إلى منزله فيستعرض الموقف من أوله إلى آخره ويرسم خططاً عديدة يناقشها واحدة بعد الأخرى حتى يستقر على خطة بارعة فيصدر الأمر إلى القوات التركية بالتقدم إلى خنادق الإنجليز خافضي بنادقهم معلنين رغبتهم عن القتال . !

ويتقدم الجنود الأتراك شطر الخنادق الإنجليزية بخطى وثيدة وبنادقهم مخفضة إلى أسفل ، فيرتبك الإنجليز أمام هذا الزحف السلمي العجيب ويستشرون ضباطهم فيما يجب عليهم عمله ، فيستشير الضباط قوادهم ، فيستشير القواد قائدهم الأعلى السير شارلس هارنجتون ، فيتغير هارنجتون فاه دهشة ، ويرتكب بدوره ! !

ولا عجب في ذلك فهارنجتون لا يقدر على مقاومة الأتراك . ثم إن الرأي العام

الإنجليزى ينكل الآن بكل من يهدى لحرب جديدة . والخلفاء يخشون أن يؤدى
اشتباك الأتراك مع الإنجليز إلى حرب دولية أخرى ..

مصطفى كمال يشاهد فصول هذه الرواية التي ألقها تمثل أمامه على مسرح السياسة،
فيتسم . وعندما يدخل عليه فرانكلن بويون ممثل فرنسا الرسمى ويطلب إليه في الحاج
وخوف أن يوقف زحف جنوده مخافة أن تطلق في الفضاء طلقة طائفة فتؤدى إلى
الحرب .. فيقول مصطفى كمال يرود انه يتضرر هذه الطلقة بصبر نافد .. فيقف
شعر فرانكلن بويون عندما يتصور هول الحرب المنتظرة ، ويحسب أن كلاً يريد
اعلان حرب جديدة تؤيده فيها الروسيا .. فيصرح له بكل شيء ويسلم بكل شيء :
فاليونان يتهدى للخلفاء باجلامهم عن تركية أوربا . وجيش الاحتلال يتهدون بسجهه .
والصلح يتهدون بقبوله ..

وامام إصرار فرانكلن بويون وتوسلاته المستيرية يقبل مصطفى كمال أن يوقف
تقدمة جنوده .. ويكون ذلك منه تفضلا على الخلفاء ومنه يقابلونها بالشكر وعرفان
الجليل !

وفي قرية « مودانية » تعقد الهدنة في ٩ أكتوبر على يدي عصمت . وبعد أيام
لا يقى في تركية أوربا يوناني واحد !

مصطفى كمال كأعرافه

تمت المعجزة . واتصر مصطفى كمال . ولم يبق من آثار الاحتلال إلا جيش
بريطانى هزيل فى استانبول أوشك أن يستقل بوارجه إلى بلاده ، وخلفة خائن
أوشك أن ينبذ نبذ النواة

ومصطفى كمال الآن رجل الساعة . رجل الشرق . رجل العالم
وهذا الرجل النحيل بوجهه الضامر وعينيه الدئبتين يقف على قمة الانتصار
والفاخر وسط حالة من المجد

والأتراك يهتفون له من أعماق قلوبهم : « يعيش الغازى مصطفى كمال ! »

والشرقيون يهتفون : « يعيش البطل الشرق ! »

والاسلام يهتف : « يعيش سيف الاسلام » !

ومن مصر ، وسوريا ، والعراق ، وإيران ، وافغانستان ، والهند ، والصين ،
وجزر الهند الشرقية ، والجهاز ، واليمن ، والسودان ، والحبشة ، وتونس ، والجزائر
ومراكش ، تهال البرقيات ، والدعوات ، والسبح ، والمصحف ، والسيوف ،
والخاجر المرصعة بالجواهر . . .

وفي كل قطر من هذه الأقطار ، وفي كل مدينة وقرية ، وفي كل منزل ، يجدد
المسلمون بطل الشرق والاسلام

ومئات الملايين من المسلمين الذين خرجوا من الحرب العظمى مستعبدين مضطهدين ،
يتمنون لو يعاود التاريخ سيرته الأولى ، ويحمل الغازى مصطفى كمال سيف الاسلام
 ولواء الاسلام ، ويدعو سائر المسلمين الى الجهاد في سبيل الحرية ، في سبيل الشرق ،
في سبيل الاسلام . .

ودعاء الامبراطورية العثمانية من الاتراك يتمنون لو يصبح قائدهم محمدًا وفاتها
آخر يشرع في بناء امبراطوريتهم من جديد . .

وفي وسط هذا العالم الراخر التأجج ، والحماسة المستمرة ، والليل العرم ،
والشرق المضطرب ، يقف الرجل النحيل بوجهه الضامر وعينيه الدئبتين كما كان
وحيثما كان حديداً جليداً . .

فاما الراغبون في بعث الامبراطورية العثمانية جوابه عليهم : « لا .. دعوا العظام
النخرة في قبورها ولا تزعجوا الأموات في عالم الأموات .. نحن لا نحي الموتى ،
ولا نشيد الأنقاض الخربة من جديد »

وأما الراغبون في الجامعة الاسلامية فنصي لهم منه : « لا .. أنا لا أؤمن بالجامعة
الاسلامية في عصر ناري حديدي لا يعرف الا دولًا مستقلة وحدودًا معترفا بها في
القانون الدولي العام . فان كان ثمة اتفاق فليكن بمعاهدات هجومية دفاعية ، ومثل
هذه المعاهدات لا أعقدها الا مع الدول المستقلة ذات السيادة والقوة ، والمصلحة التي
أراها أممي كما أرى أن $1 + 1 = 2$ »

واما الراغبون في المساعدة فيقول لهم : « لا .. كيف نساعدكم ونحن أنفسنا في
حاجة الى المساعدة ؟ ! أنا أعلن على رؤوس الاشهاد انى لن أساعد أحداً . وكل
ما هناك اننى أتمنى لسائر الشرقيين الحير والحرية »

واما الراغبون في بعث الاسلام بالسيف والجهاد جوابه عليهم : « لا .. لسنا في

عصر الحروب الصليبية . دعوا الاسلام وحده وجاهدوا اتم لتسقلا ، فاذا نلت
استقلالكم ورأيت على خريطة العالم عشرات من الدول الاسلامية المستقلة أيقنت أن
الاسلام بعث من جديد . أما الجهاد في سبيل الاسلام وأتم مستعبدون خرب تعلونها
على الاسلام ..

وأما البلاشفة ، أولئك الذين جاءوا بنظام عالمي جديد ، وعولوا على اتخاذه بوقاً
شرقياً وخليجياً يعبرونه ليصلوا منه الى الشرق جوابه عليهم : « اتم تقولون انكم
سترفعون عن الطبقات المستعبدة نير الاستعباد . فأقول لكم اني لا أعرف طبقات
مستعبدة (بالكسر) وأخرى مستعبدة (الفتح) ، وإنما أعرف طبقات تسمح
لغيرها بأن تستعبدتها . ومثل هذه الطبقات يجب أن تفنى في الرق والاستعباد ..
دعونا من البلاشفيه فأنا لا أؤمن بها . وتعالوا تتفق على الهجوم والدفاع كما تفعل
سائر الدول الغربية »

كلة « نعم » لم يقلها هذا الجبار لأحد قط .. ولو كان أحد غيره في مكانه
لأسكرته نشوة الظفر ، وأخرجه الشرق المضطرب عن طوره، فراح يتخطى في سياساته
خرقاء ، كتلة التي سارت عليها الامبراطورية العثمانية في أواخر عهدها ، فيتحطم ،
ويحطم معه الشرق أجمع

وانى لأراه في هذه الساعة واقفاً فوق قمة الانتصار والفاخر وحوله هالة المجد ،
فأرى كتلة من الحديد الجليد ، وأرى عينين متألقين ولكنهما لا تبصران إلا حدود
تركيا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وأسع كلمات كأنها الفولاذ المصوب :

« ألا بعداً للعاطفة . ! ألا سحقاً للجماعة الزائفة والتعصب الديني الكليل الزائف ،
لن أكون بطلاً شرقياً ، ولا بطلاً اسلامياً .. لن أقاوم الغرب .. فقد رأينا الويل
من عداء الغرب .. لن أقاوم المسيحية فقد قاومناها قروننا وها نحن أولاء نقف أمامها
مهزومين مدحورين ..

« الجامعة الاسلامية والجهاد الديني يواظبان عداوة الغرب وتعصبه ، فيطالبنا أبداً بأن
نعيش له عبيداً .. سأعيش ويعيش الأتراك لتركيا وحسب .. حدودنا لا تتجاوزها ..
صدقة الغرب لابد منها .. مجارة الغرب في مدنيته واحتراعاته وعلومه ديننا ..
أما الاسلام ، دين الله ، فسوف أمحو من معالمه الدنوية ما يثير تعصب الغرب وعداؤته ..
ألا بعداً للشيوخ المتعصبين الجاهلين .. ألا بعداً للتعصب وكل ما يعت الى التعصب

بسیب .. ألا بعداً للخلافة .. ألا بعداً لكل ما يعيد الى الأذهان عهد الخلافة
فيوقف عداوة الغرب الماجعة .. الدين بيني وبين ربى ، أما الدنيا فيبني وبين الغرب ،
ولأفضلن بين ديني ودنياي ما دمت حياً .. تلك رسالتى للعالم ، وللشرق خاصة .. »

* * *

وهناك على راية بعيدة في التركستان ترى قبراً كقبور الأولياء يحج اليه
التركتانيون ويملؤون صخوره بدموعهم الحرى
تحت هذه الصخور عظام أنور : رجل العاطفة ، رجل الحماسة الزائفة ، رجل
الخلافة ، رجل الامبراطورية ، رجل الجامعة الاسلامية ..
قضى هذا الرجل نحبه شاهراً سيف الاسلام - سيف الشرق المجاهد - في وجه
الروسيا - في وجه الغرب المتعصب !

فماذا كان نصيه الا الدموع ؟
ألا تعساً لأولئك الباكيين ولتلك الدموع الحرى ان كانت العاطفة والحماسة الزائفة
والخلافة ، والامبراطورية ، والجامعة الاسلامية تؤدى بالشرق الى قبر كقبور
الأولياء يحج اليه الضعفاء باكين مترجمين !

تم الكتاب الثاني

الكتاب الثالث

محمد بن ديد

« لقد قلنا في وقت قصير بأعمال عظيمة مثمرة . وان أجل هذه الاعمال خطرا هو اعلان الجمهورية التركية التي ترتكز على بطولة الشعب وثقافته العالية . ويجب علينا أن نعمل على نجاح هذا الأمر معتمدين على ارادة الظفر الحديدية التي أظهرها شعبنا وجيشنا الباسل . ولكن هيئات أن نعد ما فعلناه كافياً ، فان من الواجب علينا وفي نيتنا - أن تقوم بأعمال أخرى وآثار أعظم من سائر آثارنا . لنرفعن وطننا فوق مهد سيكون أعظم أقطار العالم رخاء وأرقاها مدنية ، ولنتيحن لأمتنا أحسن الموارد وأغناها ، ولمنحنا وسائل الرخاء والرفاهية ، ولنشيدن ثقافتنا الوطنية فوق مستوى المدينة المعاصرة »

كتاباته

اكتوبر سنة ١٩٢٣

رسول انقرة في استانبول

١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢

ما بال استانبول تدفع بأهلها من مساكنهم الى الطرقات في تلك الساعة المبكرة ؟
الطرقات تموج بالرجال والنساء والأطفال وفي يد كل منهم علم وصورة مكبرة
لمصطفى كمال . وساحل البسفور لا تكاد تجد فيه موطنًا لقدم
والجميع يهتفون ويهللون ويكبرون . . .

وتبرغ الشمس . ويرتفع الضحى . وتدق الساعة الثانية بعد الظهر . فتظهر من
بعد الباخرة « جول نهال » . . .

وتتر بضع دقائق تخفق فيها القلوب بشدة . . . وفي تلك الانتاء تدنو الباخرة
من الميناء متهدية على صفحة الماء ، لابسة من الأعلام والاكاريل حلة الظفر . .
الخاجر تنطلق بهتافات تشق عنان السماء ، وتهتز لها صفحات الماء :
« يحيى الغازى مصطفى كمال باشا ! » . . . « يحيى رأفت رسول انقرة ! »
آلاف من الزوارق تنطلق الى الباخرة وعليها عشرات الآلاف من أهل استانبول
ذهبوا يحيون رسول انقرة في عرض البحر . وانك لتسمع لهم هتافات لن تنساها
مياه البسفور أبداً . .

وتلقى الباخرة مرساها ، وينزل منها وحوله الآلاف المؤلفة - رأفت باشا مندوب
مصطفى كمال فوق العادة في استانبول
رجل قصير جداً ، نحيل جداً ، في بذلة عسكرية انيقة جداً ، على رأسه « قلب »
طويل جداً ، الابتسامة لا تفارق شفتيه ، والذكاء يتألق في عينيه
ولا يكاد رأفت ينزل من الباخرة حتى يختفي في خضم زاخر من الكتل البشرية
الأيدي تتد اليه وترفعه الى الأعناق فيرتفع ، ولكن - لفريط صغر حجمه -
لا يكاد يظهر من بين الجماهير الا اذا قفزت الى الهواء لتبينه . .
« ياشا ! ياشا ! ييك ياشا ! ! »

شباب وشيب . رجال ونساء وأطفال . . الجميع في نشوة الظفر سكارى وماهم
سكارى

الرصين منهم يقفز في الهواء مصفقا مهلاً .. فما بالك بغير الرصين ؟ !

طرق استانبول تشهد من المواكب الحماسية ما لم تشهده أبداً - حتى في عصر السلاطين واستقبال الغزاة الفاتحين !

ولا عجب ، فتلك عاصمة الاحتلال تستقبل رسول عاصمة الحرية . وهذا بلد النيل والأسر والهوان رفع النير عن كاهله فعاد - كما كان - حراً ، وبحريته سعيداً . وتلك نفوس كانت ترهقها أغلال العدو الغاصب أتيح لها الآن أن تتنفس الصعداء بعد أن قطع الرجاء

وتغرب الشمس فلا تغرب مواكب الجماهير . وتأوى ذكاء إلى مضمونها ولكن هيرات أن تؤوي الجماهير المضاجع !

إنها ليلة في العمر . فلا حرج عليهم أن يقضوها في مرح وسرور وتهليل وتكبير .. المشاعل تحيل الليل نهاراً . المنازل والمساجد تغرقها الثريات أنواراً . استانبول تتطلع إليها من على قبرى - وما أجمل ما ترى ! - ترى من الانوار المتألقة أنهاراً ..

* * *

وفي أحدى طرقات « بيره » يرى فريق من الشبان الوزير السابق والصحافي اللاحق على كمال : الخائن المرتشى الذى طالما نادى بوجوب القضاء على الوطنين وعلى الحركة الوطنية . فيختطفونه في سيارة ويسيرون به إلى شاطئ البسفور حيث ينقلونه إلى ازميت ويودعونه في منزل حاكم المدينة نور الدين باشا

ومن منزل الحاكم يساق الخائن إلى السجن ، فلا تكاد الجماهير تراه في حراسة الجندي حتى تنحال عليه بصقا وضرباً ورجماً بالحجارة فيموت الميادة التي يستحقها هو وأمثاله

ومصرع على كمال يصل إلى مسامع وحيد الدين فيما الرعب قلبه ويتساءل : أهكذا اعتزم الوطنيون أن يعاملونا ؟

ثم يطلب من هاربون قائد جيش الاحتلال في استانبول أن يزيد قوة الحرس الانجليزى الذى يحمى قصره ، فيوفد إليه صديقه الحميم عشرات من الجنود الانجليز ولا يهدأ بال الخليفة المسلمين بعد تلك الحماية ، فيطلب إلى صديقه هاربون أن يتوسط له لدى رأفت باشا في تحديد موعد مقابلته والتحدث إليه في شؤون المستقبل ، فتحدد المقابلة في الساعة السادسة من مساء ٢٩ أكتوبر

وفي تلك الساعة يلتج رأفت أبواب قصر يلدز ، ثم يدخل على وحيد الدين دون

أن يكترث بما يسمونه « البروتوكول » ، يدخل في ثوبه العسكري والعدارة معلقة في منطقته

ويقف الرجالان وجهاً لوجه :

هذا شيخ جاوز الستين من عمره ، قضى سنّي ولايته للعهد في عالم الحريم فتهرّب من عالم اللذات وكرع ، وأمضى سنّي سلطنته في هزائم متتالية فتحت بها الحرب الكبرى ، وفي صراع دموي رهيب استهل به حرب الاستقلال ، فوافق على صلح مودروس ، وسلم للعدو المحتل بلاده وحل جيشه ، ورضي باحتلال أزمير ، وأمر كلاً بتسريح القوات الوطنية في شرق الاناضول ، وقاوم الحركة الوطنية في مهدها إذ سلط عليها العشائر الكردية والجاسوس الانجليزي ، وأباح دماء الوطنيين بنشره اللعين الذي وزعّته الطائرات اليونانية على سائر بلاد الأناضول ، وقع بمعاهدة سيفر وحكومة خفافش الاسود ، وانضم إلى الانجليز واليونانيين طوال حرب الاستقلال .. وهو إبان تلك الحادثات لم يزل في عالم الحريم واغلاً وفي وهة الخيانة متديلاً وعلى فراش النزل والخنا متقبلاً سعيداً ..

وذاك رجل دعاه وطنه فأجاب ، وبهره الجهاد فانهرب ، قاتل ، فظفر ..

الرجلان يقمان وجهًا لوجه . فيحاول الخليفة الخائن أن يستوضح رأفت رأى حكومة أنقرة فيه ، فيقاطعه رأفت بحده قائلًا : « سيدى ! الموقف الحالى لا يقبل التأجيل أكثر مما أجل ، ومحال أن تظل في تركيا حكومتان احدهما في استانبول والأخرى في انقرة . فهل لك في أنت تخنى رئيسك أمام الأمر الواقع فتوقف هذا الا زدواج الذى يتعارض مع مصالح البلاد باقالة حكومة الباب العالى ؟ »

وحيد الدين يراوغ .. ويشرع في التحدث عن الدستور وواجبه نحوه ، ويقول إن حكومة أنقرة لا تمثل البلاد تمهلاً صحيحاً .. ويقول أشياء كثيرة يختتمها بالسؤال عن نيات حكومة أنقرة . فيصيغ رأفت في وجهه :

« ماذا تنتظر من الذين حكمت عليهم بالإعدام ! ؟ إن أغلبية المجلس الوطنى الكبير تأبى أن تقبلك سلطاناً على تركيا بعد ما كان من صداقتك لاعداء الوطن . ومن يدرى فعلها ترغب أيضاً في إراحتك من سلطانك الروحى تكليفه للمسلمين ! ! »

وحيد الدين وجهه في صفرة وجوه الموتى .. ولكنه سرعان ما يستعيد رباطة جأشه فيقول إن مسألة الخلافة أخطر من أن يفصل فيها مجلس انقرة ، فهى مسألة

الشرق الاسلامي أجمع .. ثم يحاول أن يهدد رأفت فيقول : إن بقاء حكومة استانبول أمر لا مفر منه .. فيحز رأفت على أضراسه ويصبح : « لا تنس يا سيدي أنك الآن في يدنا .. أما وزراؤك فانهم إذا كانوا يصرون على البقاء في مناصبهم ضد ارادة الشعب ، فمعنى ذلك أن جبل المشنقة معد لكل واحد منهم ! ! »

ويخرج رأفت . فيتملك وحيد الدين على أحد المقاعد الوثيرة ، وتر أمام الخليفة الأسود أشباح سوداء معلنة دنو الخاتمة ..

خاتمة السلطنة

أنقرة بعد الظفر ..

معالم الفرح توشك أن تزول ، وإنك لتترس في القرية فتراها كما كانت : منازل عتيقة ، وأكواخا حقيرة ، ووجوهاً شاحبة ظاهرة الاعياء معركة السياسة تقوم بعد معارك القتال ، نواب المجلس الوطني الكبير يتناقشون في خير الطرق للحصول على معاهدة تعيد إلى البلد استقلاله ، ووزراء المجلس يتطلعون بلهفة إلى رئاسة وفد المفاوضة وعضويته وعندما تبلغ أنباء استانبول أنقرة ، ويتسامع النواب بتلك المقابلة التاريخية التي تمت بين وحيد الدين ورأفت ، يدب الشك في نفوسهم ، ويتوجسون شرًّا من نيات كمال نحو الخلافة والسلطنة

نعم انهم يقتلون وحيد الدين ويلعنون عهده الأسود . ولكنهم لا يقتلون السلطنة ولا الخلافة . بل انهم لا يتصورون تركيا بدون سلطان وخليفة . وما كانت الجمهورية تخطر لأحد منهم يبال

ورءوف بك الذي يكاد يرأس الآن حركة المعارضة في المجلس ، يكثُر من المحس والغمضة والمناورات السياسية . فيشعر كمال بأن في جو المجلس شيئاً غريباً ، شيئاً ينكره العقل والنطق وتذكره البرامج السياسية التي وضعها في مخيلته ورسوها في صفحة ذهنه

وفي ذات يوم يدخل عليه رءوف في غرفته الخاصة في المجلس الوطني في حالة

عصبية ، ويظهر له رغبته في الافضاء إليه بأمور خطيرة ، ويدعوه للحضور إلى منزل رأفت باشا والسماح لعلى فؤاد باشا بالحضور أيضاً ، فيقبل كمال الدعوة وفي منزل رأفت يجتمع الأربعة : كمال ورءوف ورأفت وعلى فؤاد ، ويشرع رءوف في الحديث فيقول إن المجلس قلق أشد القلق من جراء الاشاعة الرائجة عن الغاء مقام السلطنة ومحاولة هدم الخلافة ، وأنه - أي رءوف - مرتاب في خطط كمال المقبلة ويطلب منه بالحاج أن يطمئن المجلس - بيان رسمي - على مقامي السلطنة والخلافة

مصطفي كمال يلعب دوره ببراعة فائقة ، فيبعث بشاربه قليلاً ثم يشعل سيجاراً ويسأل رءوفاً في هدوء عن رأيه هو في السلطنة والخلافة ، فيقول رءوف انه مرتبط حسماً ووجданاً بمقام السلطنة والخلافة ، لأن والده نشأ في ظلال نعمة السلطنة وأصبح من أركان الدولة العثمانية . وان ذرات من تلك النعمة تجول في عروقه . وإنه لن يكون كافراً بهذه النعمة . وأنه يشعر بواجب المحافظة على إخلاصه للسلطان . أما ارتباطه بالخلافة فرجعه إلى تربيته الدينية . ثم انه فضلاً عن ذلك كله يرى استحالة تصريف الأمور في تركيا بدون السلطنة والخلافة .. وأخيراً يقول إن محاولة إلغاء هذا المقام الجليل يؤدى - بلا شك - إلى أعظم النكبات . . .

فيسأل رأفت عن رأيه ، فيقول انه يشترك في الرأي مع رءوف . وأنه لا يمكن التفكير في أي شكل للادارة غير السلطنة والخلافة ..

فيسأل على فؤاد ، فيتهرب من الاجابة ببلادة قائلاً انه عاد من موسكو أخيراً وليس في استطاعته ابداء رأى قاطع في هذه المسألة . . .

ويسود الصمت المجلس بعض دقائق يشعر فيها كمال بخطورة الموقف . ولكنه رغم ذلك يعالج ببروده ودهائه المعهودين ، فيقول متفرساً في وجوه الحاضرين بنظراته المخيفة ، ان المسألة التي يتحدثون عنها ليست مسألة اليوم ، وأنه لا محل لقلق بعضهم في المجلس

فيبدو على رءوف انه ارتاح لهذا الجواب . . . ولكنه لا يقوم بعودته إلى منزله بل يظل يتحدث في نفس الموضوع ساعة بعد ساعة . . حتى ينتصف الليل . . ثم الى الصباح ! وأخيراً ينال من كمال وعداً بالقاء بيان في المجلس يطمئن النواب القلقين . فيدون كمال بالقلم الرصاص بعض ما قاله خلال المناقشات ، ويعد بالقاء البيان

وفي نفس اليوم يلقى كمال البيان فيخليء إلى أعضاء المجلس أنهم سجلوا عليه وعداً صريحاً بعدم التعرض لمقام السلطنة والخلافة ، مع أنه لم يعد بشيء ، ولم يقل أكثر مما قاله لروعه بك - وهو أن هذه المسألة ليست مسألة اليوم ..

ثم مجلس كمال في مقعده في المجلس متطرضاً يوم السلطنة كما ينتظر اللاعب الماهر

نهاية لعبة مضمونة النجاح

ويحيى هذا اليوم إذ تصله من الصدر الأعظم توفيق باشا برقة يقول فيها : إن النصر « الذي أحرزناه بعونه تعالى ! » قد أزال أسباب العداء بين استانبول وانقرة ومهد للوحدة القومية .. وانه لم يبق في البلاد عدو . ومعنى ذلك أن الخليفة لا يزال على عرشه ، وأن الواجب يقتضي بالانقياد لأوامره . ثم يطلب إليه أن يوفد - على وجه السرعة - شخصاً يوثق فيه ليحمل إلى الوفد المسافر من استانبول تعليمات انقرة - إذ أن الدعوة إلى مؤتمر الصلح موجهة إلى حكومتي استانبول وانقرة معاً ! هذه هي القبلة التي سينسف بها كمال السلطنة .. وهذا هوذا يثور إذ توجه الدعوة إلى حكومة استانبول الخائنة التي لم تعد تمثل إلا نفسها ، وإذ يرى الصدر الأعظم يتحدث عن النصر « الذي أحرزناه بعونه تعالى .. » مع ان الخليفة وحكومة استانبول كانا حرباً على الحركة الوطنية وشوكته في ظهرها وسيفها مصلتاً في أيدي الأعداء ومصطفى كمال يعرف متى يجب الصمت ومتى يجب الكلام والعمل ، فهو لذلك يقيم القيامة على حكومة استانبول ، ويستمطر عليها الاعنات ، ويستخرج من نفوس النواب عوامل التأثير الماجعة ، ويعلن على الخونية حرباً شعواء يتجلّى فيها على حقيقته : رجل حرب في ميادين القتال وفي عالم السياسة المضطربة . وانك لترى في عينيه ذواتي البريق الذي رأيناها فوق مرتفعات غالیولى وعلى شاطئ سقاريا ..

ومصطفى كمال لا يرحم . فهو لذلك في صراع رهيب مع دعوة الابقاء على قوائم عرش مزعزع الأركان ، يريد أن يثله لينقض خرائب ينبعق فوقها البوم . وانه ليتضرر - كما اتضرر دائماً وسيتضرر - وانك لترى زعماء المعارضة يلتلون حوله ويسامون له

على طول الخط

المجلس يعقد في يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢

النواب ثائرون . والاعصاب متوتة . ومنصة الخطابة تهتز من تحت الخطباء الذين راحوا يتعاقبون فوقها منادين : الويل للخونية المارقين ..

وئمة بيانات تلقى . وتقارير تقدم بوجوب محكمة ووزراء استانبول بتهمة الخيانة العظمى ، لأنهم - باتصالهم صفة ممثلى الأمة أمام مؤتمر الصلح - إنما يطعنون الحركة الوطنية في الصميم

وئمة تقرير طويل يقدم إلى المجلس موقعاً عليه من أكثر من ٨٠ نائباً - بينهم كمال طبعاً - متضمنا انتراضاً الامبراطورية العثمانية وقيام دولة تركية جديدة لها دستور وحقوق مستمدة من الشعب نفسه ..

وفي ثورة النفوس وتوتر الأعصاب يوافق النواب على ما جاء في هذا التقرير وهم لا يكادون يشعرون بأنهم أقضوا على السلطنة بقرارهم هذا . ييد أن فريقاً من غالبية المعارضين يصيرون ملء أفواههم بأنهم لا يوافقون على القرار ، فيبتلع هاتف المجلس صياحهم وتطغى الأغلبية المتحمسة على معارضتهم الضئيلة

وفي ركن من أركان المجلس يجلس كمال كالساحر الرهيب يوزع نظراته المتألقة الملتهبة ذات العينين وذات الشفاف ويسجل على كل نائب حركاته وسكناته وأقواله تهديد للعقاب والثواب في يوم موعده قريب

ثم يجتمع المجلس في أول نوفمبر والحماس بالغ أشدده . فيسعى كمال إلى النبر كما سعى من قبل إلى خط النار ، ويقف أمام النواب حديداً جليداً ، ويلقي عليهم خطاباً هو البيان والتاريخ والمنطق أجمع ، أعده للنواب في الليلة السابقة - ولا ندرى بأية معجزة أعده - فيقول إن البشرية مرت بطورين : طور الطفولة والشباب ، وطور الرجولة وكمال القوى الروحية والعقلية . وإن الطور الأول هو العهد الذى بدأ بأدم وتخالله الأنبياء الذين جاءوا قبل محمد ، حتى إذا ما بعث نبينا الكريم بدأ الطور الثانى . ثم يحدثنا عن ميلاد محمد حدينا يخلب الآلباب ، ويقول إن مولده كان في مثل هذا اليوم الذى يخطب فيه ، فما أجمل المصادفة السعيدة ! ..

ثم يصف لنا محدداً : وجه نوراني ، وكلام روحاً ، ورشد لارشد بعده ، وصدق وحلم ، ومروءة ، وأمانة لا حد لها ، ونفر للعلم أى فخر

ثم يحدثنا عن ذاك الصراع الرهيب بين محمد والكافرين ، بين الكتاب والاصنام ، بين الروح والمادة الصماء ، بين الحق والباطل

ثم يقول إن محمد انتقل إلى الدار الآخرة بعد أن ترك الدنيا ديناً هو خاتمة الأديان وأصبح - برسالته العظمى - خاتم النبيين والمرسلين

ثم ينتقل بنا إلى انتخاب أبي بكر للخلافة ويطيل الحديث عن هذا الانتخاب ، ويعيد كلية الانتخاب غير مرة عندما ينتقل إلى خلافة عمر . . ثم يحدثنا عن فتوحات عمر وشعوره بالانقلاب الشامل الذي سوف يتطور بالإسلام إلى أمبراطورية واسعة النطاق ، ويصف لنا عمر التقى الورع الذي يخشى أن تؤثر الفتوحات والمدنية الدينوية على روح المسلمين فيسأل حذيفة بن الحمأن عن الباب الذي سيؤدي إلى هذه الفتوحات ، هل سيفتح أم يتحطم ، فيقول حذيفة : بل سيتحطم . . فيقول عمر إنه إذاً لن يغلق بعد ذلك . . ومن عجب أن يصل بنا كمال في حديثه التاريخي هذا إلى قنة النضج التاريخي إذ يصف فتوحات عمر ووفاته ، وانتخاب عثمان وما جره على الإسلام من نكبات ، وخلافة على وما دار بينه وبين معاوية من حروب ، وموقف عمرو بن العاص من أبي موسى الأشعري ، ومصرع على ، وخلافة معاوية . . وهنا يتحدثنا عن مبدأ ظهور السلطة مع الخلافة ، تلك السلطة الوراثية التي جرت على الإسلام أهول النكبات طوال تسعين عاماً اندثرت بعدها وظهرت على صفحات التاريخ الدولة العباسية ، دولة الملك والأئمة والتلف والرخواة ، دولة الخلفاء الذين كانوا يولون ارضاء لشهوات سياسية أو طائفية ، الخلفاء الماجنيين السكيرين المهاجرين في علم الحرمين بين الكأس والطاس والمحرامات . . وفي هذه الدولة لا يرقى للخلفاء من السلطة شيء ، فقد اتقتل - أو كادت - إلى الاتراك السلاجقين ، ولا يرقى لهم من الخلافة شيء ، فمن العار أن يمثلوا دين الله وخلافة دين الله وهم أبعد ما يكونون مما أمر به الله والرسول . فما أشبه تلك الحال بحال الخليفة في استانبول ، والمجلس الوطني الكبير في اقرة !

ثم تمر القرون من بين شفتيه سرعاً ، فيحدثنا عن قيام جنكيز خان في أواسط آسيا وأكتساحه الشرق والغرب ، ثم انحدار حفيده هولاكو إلى بغداد وقتله الخليفة المستعصم ومحوه بذلك معلم السلطة والخلافة من علم الوجود . . وينجو المستنصر بالله - أحد ورثة الخلافة العباسية - من مذبحة بغداد بأعجوبة فيفر إلى مصر ويعتصم بها . وتمر قرون أخرى تتنقل فيها الخلافة بين بلاد المغرب ومصر ، وتقوم دول وتندثر أخرى ، حتى يركب السلطان سليم جواده ويدخل مصر ظافراً ، فيجد فيها - فيما يجد - رجالاً هزيلاً يكاد ينكره قومه ولكلهم يدعونه « خليفة المسلمين » ولا يستعملونه إلا في مواكب النصر ومعالم الافراح ، فلا يجد بأساساً في اغتصاب لقبه منه . ولكن سرعان ما تلهيه فتوحه عن التفكير في أنه أصبح « خليفة المسلمين »

ويرث عرش سليم سلاطين آخرون لا يكادون يفكرون في الاستفادة من الخلافة، حتى يدب الanhلال في السلطنة العثمانية ، ويظهر على مسرح التاريخ العثماني سلاطين ضعفاء متذاذلون ، فيحاولون ستر ضعفهم باللقب الذى ورثوه عن سليم ولم يستفد منه أحد من آبائهم ، فيحيون ما اندثر - أو كاد - من معلم الخلافة ، ويهولون فيه أو يفحرون حتى نصل الى عهد عبد الحميد فنجد السلطان الدهاهية يستغل لقب الخلافة إلى أقصى حدود الاستغلال ليسير به سلطنته التي بلغت أقصى حدود الضعف والهزال ..

ثم تتحدر الخلافة والسلطنة إلى وحيد الدين ، فيستغل لقب الخلافة في التسلیم للعدو بكل شيء ويسرح الجيش بأمر الخلافة ، ويتأمر مع العدو باسم الخلافة ، ويعبد للوطنيين جبل المشقة باسم الخلافة ، ويحو تركيا من علم الوجود في معاهدة سيفر باسم الخلافة ..

(أصوات صاحبة : الويل لوحيد الدين ! !)

« هذا الرجل الذي يحاول القضاء على الوطن باسم الحكومة ، باسم السلطنة ، باسم الملكية ، باسم الخلافة »

(أصوات مدمرة : قاتله الله ! !)

« ولكن هيهات أن يضمحل الوطن أمام شخص كهذا نخر في عظامه الأضمحلال من عهد بعيد »

(تصفيق حاد)

* * *

وهناك في احدى غرف المجلس الوطني الكبير تجتمع ثلاث لجان لبحث مسألة فصل السلطنة عن الخلافة : لجنة الدستور ، ولجنة الشئون الشرعية ، ولجنة الشئون القضائية

ويرأس هذه اللجان الثلاث الشيخ مفید افندي : رجل عتيق الافكار ، غارق الى شوشه في خضم من كتب الفقه لا يعرف لها براً .. .
ويبدأ النقاش . . . ويطول . . . ويطول . . .

والشيخ المتمون الى لجنة الشئون الشرعية يدعون أنه لا يمكن فصل السلطنة عن الخلافة ..

وأعضاء اللجان الأخرى لا يعارضون ..

وتدر ساعة بعدها ساعة و النقاش في تشعب مستمر . .
ومصطفى كمال الدين جالس في ركن من أركان الغرفة كالبركان يوشك أن ينفجر
وتدر ساعة أخرى . . فيثور البركان ، ويقف كمال الريهيب على المنصة فيبدو
كالجبار المارد ، ويقول بصوت قاسف :

« اسعوا . . ليست السلطنة أو الحكم من النح التي تنبع بالنقاش على اعتبار
انهما من ضرورات العلم ، إنما السلطنة تؤخذ قوة واقتداراً . . وقد سيطر آل عثمان
على الشعب التركي زهاء ستة قرون قوة واقتداراً ، أما الآن فها هوذا شعب يثور في
وجه مغتصبي حقوقه ويسترد منهم حقه المضوم . هذا أمر واقع وليست مسألة ترك
السلطات للشعب مسألة اليوم فهى مفرووع منها . وإنما مسألة اليوم هي : تقرير هذه
السلطات ، وهذا التقرير لا شك واقع . وإلا فمن المحتمل قطع بعض الرءوس ! ! »
ثم يخفف من حدته قليلاً فيشرح لأعضاء اللجان حقيقة الخلافة والسلطنة بجمل
عسكرية مقتضبة - ولكنها مقنعة - فيقف النائب الشيخ مصطفى افندي ويقول
بصوت مضطرب :

« معذرة فقد كنا ندرس المسألة من وجهة أخرى . والآن وقد ظهرت الحقيقة
بما أدليتموه من بيانات فقد انتهت اللجان المشتركة من حل المسألة . . .
وكانون فصل السلطنة عن الخلافة يعد بسرعة عجيبة تمهيداً لعرضه على المجلس
الوطني الكبير . .

* * *

مصطفى كمال يخرج من غرفة الاجتماع إلى غرفته الخاصة في المجلس . وهناك
يستدعي رءوفاً ويستقبله استقبلاً عسكرياً ويقول له بلهجة آمرة :
« سنفصل بين الخلافة والسلطنة ونعمل على الغاء السلطنة . أريد منك أن تلقى
من فوق منبر المجلس بياناً تجيز فيه هذا الأمر . . . »
فيخرج رءوف دون أن يتبين بيذت شفة !
وهناك فوق المنبر يلقي رءوف بيانه في حماس عجيب ، ويقترح اتخاذ يوم الغاء
السلطنة عيداً من أعياد تركيا القومية !

* * *

١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢

أعضاء المجلس الوطني الكبير يستمعون في دهشة واستنكار إلى برقية رسمية وردت من استانبول هذا نصها :

« لقد اختفى وحيد الدين افندي من السرای هذه الليلة »

ثم تقرأ برقية أخرى هذا نصها :

« الحضرة السلطانية وضعت نفسها في حماية انجلترا وغادرت استانبول على ظهر سفينة حرية انجلزية على الوجه المبين بالبلاغ الرسمي المرفق صورته »

إمضاء

١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢

« هارنجتون »

وفيما يلى نص البلاغ الرسمي :

« يعلن رسمياً أن الحضرة السلطانية قد طلب حماية الانجليز ونقله في نفس الوقت من استانبول بصفته خليفة جميع المسلمين اجتناباً للخطر الذي يهدد حرية وحياته على أثر الحالة الحاضرة . وقد تمت رغبة الحضرة السلطانية في هذا الصباح اذ ذهب الجنرال سير شارلس هارنجتون القائد العام للقوات الانجليزية في تركيا لتسليمه ورفاقه الى سفينة حرية انجلزية . واستقبله على ظهر الباخرة الاميرال سير دوبروك القائد العام لاسطول البحر الايضاً . وزار السير نيفل هندرسون الندوب السامي الانجليزي الحضرة السلطانية في السفينة واستفهم عن رغباته لا بلاغها الى جلالته الملك جورج الخامس »

مصير وحيد الدين

ماذا حدث في استانبول؟ وكيف فرَّ الخليفة؟

ان لهذا الفرار قصة يخلو لـ أن أرويها للقراء :

فوحيد الدين لما صمم على أن يرسل وفداً عنه إلى لوزان ، كان يعمل بوحى من صديقه هارنجتون الانجليزي . فلما ثارت أنقرة وتحدى كمال الصدر الأعظم توفيق باشا وشعر الانجليز بـ ان وراء الأكمة ما وراءها ، أعلنوا حيادهم وتركوا وحيد الدين في حالة من اليأس لا يحسد عليها !

بـ يـدـ أـنـ الـخـلـيـفـةـ الـأـسـوـدـ يـأـبـيـ إـلـاـ يـقاـومـ . فيـظـلـ مـتـمـسـكاـ بـحـكـومـتـهـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ

متواليات رغم الغاء سلطنته . ولكنها يتغاذل في اليوم الرابع فيشير على توفيق بالاستقالة ، فتشهد بوابة « يلدز » الكبيرة آخر مظهر من مظاهر السلطنة في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٤ نوفمبر ، إذ يخرج توفيق من لدن مولاه مستقيلاً وفي اليوم التالي تبدأ حاشية الخليفة في الانحلال السريع .. وتصل أبناء مقلقة من أنقرة .. ويصور الوهم لوحيد الدين أن جبل المشنقة في انتظاره . فيصمم على الفرار ..

ووحيد الدين يستدعي زكي بك مدير فرقة الموسيقى الشاهانية وينفرد به في أحدى غرف قصره بعد أن يغلق الأبواب ويسلّم الستائر ، ويهمس في أذنه بأن خليفة المسلمين قد اختاره من بين حاشيته ليؤدي له الواجب الأخير . فيعلن زكي بك استعداده لخدمة مولاه فيأمره وحيد الدين بالذهاب سرًا إلى منزل الجنرال هارنجتون ومفاوضته في أمر الاحتفاء بإنجلترا والفرار على أحدى بوارجها الراسية في ميناء استامبول ..
زكي بك يذهب لأداء واجبه . فيقابل هارنجتون ويقول إنه لا يمانع في حماية الخليفة ومساعدته على الفرار . ولكنّه يرجو منه أن يكتب بذلك طلبًا كتابياً يوقعه بامضائه الشريف ..

فيعود زكي بك إلى مولاه ويبلغه أوامر هارنجتون . فيكتب الخليفة الطلب بيده ويوقعه « محمد خليفة المسلمين » ..
وتغرّ أيام في مفاوضات بين هارنجتون ولندن . وهذه الأيام يقضيها وحيد الدين في يأس ورعب لا حد لها ، ويرى بعيني رأسه كيف ينفض أتباعه من حوله ، وكيف يزول الباطل أمام الحق القوى ..

وفي يوم الجمعة ١٠ نوفمبر يذهب ليؤدي فريضة الجمعة على جاري عادته . فيمر في طريقه إلى المسجد في طرق خاوية . ويقبض صدره انحلال موكيه الفخم الذي اعتاد الخروج فيه

وفي المسجد يقف الخطيب على المنبر داعيًا لخليفة المسلمين دعاء فاترًا لا يردد المصلون بعده كلامًا آمين . أما « سلطان البرين وخاقان البحرين » وما إلى ذلك من ألقاب السلطنة فلا يسمعها الخليفة
والعود من المسجد عود سخيف فاتر ..

وهو إذ يدخل حجرته الخاصة يجد خطاباً من هارنجتون يحدد فيه موعد الفرار

وفي اليوم التالي : ١١ نوفمبر ، ينتقل مع ابنه الصغير أرطغرل وكبير أمنائه وزيكي بك والدكتور رشاد باشا وبعض الخدم والأغوات إلى « كشك المراسم » حيث يقضون الليل ساهرين بعد أن قدسوا في الحقائب ما خف حمله وغلاً منه من جواهر السلطنة العثمانية وتحفها الذهبية - الا أرطغرل فقد نام على الفراش الذي نام عليه من قبل امبراطور المانيا في زيارته لبعد الحميد ..

نام وهو لا يشعر بأنه على وشك مغادرة العاصمة التي ولد فيها وكان مقدراً له أن يجلس على عرش سلطنتها وخلافتها في يوم من الأيام

وفي الساعة السادسة صباحاً - والظلام لا يزال دامساً - يخرج من « كشك المراسم » خليفة المسلمين وأتباعه ، ويستقلون سيارتين من سيارات الصليب الأحمر الانجليزى إلى الميناء ، وتتبعهما سيارات أخرى فيها الحرس الانجليزى

وفي الطريق ينضم إليهم هارنجتون صديق الخليفة

وفي الميناء ينزل وحيد الدين : شيخاً عظماً مخطى الأعصاب ظاهر الخوف ، فيسير بخطى مضطربة إلى حيث رست البارجة الجبارية « ملايا » ..

و قبل أن يستقر فيها يفتقد شيئاً .. فيعود إلى الجمرك مسرعاً ويبحث عن حقيقة الجواهير ، فيجدها هناك في أحدى القاعات ، فيعود بها إلى البارجة ويفتحها ليطمئن على ما فيها ..

ويستقبله الاميرال سير دوبروك القائد العام لأسطول البحر الأبيض استقبلاً رسميًّا ، ثم يتقدم إليه السير نيفل هندرسون الندوب السامي البريطاني في استانبول ويسأله عن رغباته ليليقها إلى ملك الانجليز ، فيشكر له وحيد الدين عطفه وللملك الانجليز كرمه

ثم تهم البارجة بالرحيل فيودع وحيد الدين صديقه الحميم هارنجتون
وتتحرك البارجة :

ها هي ذي استانبول عاصمة السلطنة العثمانية منذ محمد الفاتح تختفي عن الانظار

ها هي ذي غالیبولي حيث هزم كمال الاحلفاء

ها هي ذي اوزمير التي سلمت لليونانيين بأمر من الخليفة

ها هو ذا رصيف اوزمير حيث فر آخر جندى يونانى

ها هي ذي مياه البحر الأبيض المتوسط

لقد اختفت تركيّا عن أنظار وحيد الدين إلى الأبد ، واحتفى شبح السلطان
الأسود . . إلى الأبد ! *

عصمت في لوزان

« بعد الحرب ياباشا يجب أن تستريح . . فقد أجهدت نفسك أيام اجتهد . . »
هذا ما قالته خالدة أديب لمصطفى كمال قبيل دخوله أزمير ، وهذا ما كان يقوله
كل سياسي في المجلس الوطني الكبير
مصطفي كمال ، وعصمت ، وفوزي : هم الثلاثة يجب أن يستريحوا ، أو بعبارة
أخرى : يجب أن يتركوا الميدان لرجال السياسة فقد ختمت الحرب العسكرية وبدأت
الحرب الدبلوماسية !

وفي أزمير - وقبل صلح مودانيا - تصل كلاما برقة من هيئة الوزراء في أنقرة
يفهم منها أن عمله في السلك الحربي قد انتهى ، وان رئيس الوزراء رءوفا يستدعيه
إلى أنقرة على وجه السرعة ، فلا يترى بانتهاء عمله طبعاً ، ويبعث هو في استدعاء
رؤوف إلى أزمير !

وعند عودته إلى إِنقرة يجد - فيما يجد - ان الاجماع يكاد يكون معقوداً على
إيفاد رءوف إلى مؤتمر الصلح كرئيس لجنة المفاوضين . . ومصطفى كمال يعتقد ان
الوقد الذي يرأسه رءوف لا ينجح ، لأنه لا يكاد يفرق بين مشاعره وواجباته ، الا
أن رءوفا يصر على الرئاسة ، ويحاول - ارضاء لـ كمال - أن يعين عصمت مستشاراً
له . فيقول كمال ان الفائدة تكون أعظم لو أصبح عصمت رئيساً للوafd ، فلا يقتضي
رؤوف برؤيه هذا ، ويظل يقوم بالدعایات السياسية لنفسه

وفي تلك الأثناء يؤدى عصمت مهمته في صلح مودانيا على الوجه الأَكمل ،
ويذهب إلى بروسيا ، فيلحق به كمال هناك ويشرع في استجوابه عما تم في مودانيا ،

* تساؤل الناس بعد فرار الخليفة : لم لم يقتله مصطفى كمال جزاء خيانته ؟ وجواباً عن ذلك
تقول إنه أشدق على وحيد الدين أن يصبح ضحية من الضحايا وشهيداً من الشهداء في نظر
بعض ذوي القلوب والرياح ، فأراحه من الاعدام ، واستراح منه ، وأتاح له الفرار في حمى
الإنجليز نفث حياته بخاتم الخيانة التي لا خيانة بعدها

فيقتصر تماماً بكتابته السياسية ويضم على أن يعينه رئيساً لوفد المفاوضة وفي هذا اليوم بالذات ييرق إلى يوسف كمال وزير الخارجية راجياً منه أن يستقيل ليعين عصمت بدله تمهيداً لايقاده رئيساً لوفد ، فيستقيل الوزير عن طيبة خاطر معلناً انه يخذل الفكرة

وفي ذات يوم يربت كمال على كتف عصمت ويقول له بلهجة الامر الواقع إنه أصبح وزيرًا للخارجية ورئيساً لوفد المفاوضة . . .

فيظهر التردد والخيرة على وجه عصمت ، ويشرع رجل الحرب في الاعتذار عن قبول النصبين بأنه جندي - والجندي قد لا يجيد تعاطي السياسة ، فلا يوافقه كمال على رأيه ، وعندئذ يقول عصمت بلهجة عسكرية :
— اذاً أنا أقبل الاقتراح كامر عسكري . . .

* * *

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢ يعقد مؤتمر الصلح في لوزان ، ويجلس الرئيس كيرزون رئيس وفد الحلفاء ، وعاصمت رئيس وفد اثيرة ، وجهاً لوجه وكيرزون هذا لورد انجلينزى بغيض الصلف عتيق الافكار ، ما جلس في مؤتمر قط الا حاول أن يفرض أفكاره على العالم فرضاً ، فكان يفشل على طول الخط ، ويكون موضع سخرية المتفاوضين

وهو في هذه المفاوضات بالذات يعن في الصلف والارستقراطية ، ولا يخطر بباله انه يفاوض وفداً وراءه جيش جرار يحمل لواء النصر . فيقابل به عصمت برود سياسي يكاد يصرعه ، ويتعمد الصمم عندما يسأله أسئلة سخيفة ، ويتجاهله كلاماً دمدم وضرب على المائدة بقبضته ، ويعبث بطرف المائدة ويسرح ، حتى اذا ما فرغ صاحبنا من بياناته السقيمة راح يعرض عليه أقصى ما يطمع فيه من شروط الصلح .. فيثور .. فينظر اليه عصمت برود وفتور ..

وتمر أسايع وشهور وكيرزون لا يزال بغير الصلف فاشلا في مهمته كدبوماسي يمثل بريطانيا . وفي لندن يثور الرأي العام ويطالب حكومته بانهاء المهزلة التي تردد فيها عندما ساعدت اليونانيين في حربهم مع الاتراك ، وعندما أمرت بابقاء أسطولها في مياه استانبول بعد أن فقدت كل أمل في احباط الحركة الوطنية والواقع أن موقف كيرزون أمام عصمت كان موقفا أقل ما يقال فيه أنه مزر

بالدبلوماسية البريطانية التي اشتهرت بالهرب في ساعة الخطر والتسليم بكل شيء
للقوى المعند بقوته ..

كامل يؤمن حزباً سياسياً

المجلس الوطنى الكبير يدخل في سنته الأخيرة . والانتخابات الجديدة قاب قوسين
أو أدنى

مصطفى كامل يشعر بأن أمامه صراعاً سياسياً رهيباً ، فعناصر الرجعية توشك أن
تلعب بذنها ، وفي المجلس الوطنى حركة معارضة واسعة النطاق الغرض منها مقاومة
مصطفى كامل السياسي وساعدته الائين عصمت

ومصطفى كامل رجل يعرف من أين تؤكل الكتف . فهو يغادر انقرة بخieraها
وشرها في ١٤ يناير سنة ١٩٢٣ وفي نيته أمران : الاتصال بالشعب اتصالاً مباشرأً ،
وتحويل جمعية الدفاع عن حقوق الأنضول إلى حزب سياسي . فيزور معظم ولايات
الأنضول ويطلب من الجمهور أن يوجه إليه ما يشاء من أسئلة في مختلف شئون
السياسة ، ويلقي محاضرات طويلة في كل بلد يمر به ، وبذلك نراه ينقلب رجل سياسة
بعد أن كان إلى الأمس القريب رجل حرب

وبينا هو في ازميٰت يقوم بالدعـاء السياسية لحزبه الجديد ، إذا به يسمع أن أحد
نواب المجلس الوطنى : الشيخ شكري افندي وزع على النواب وعلى سائر الولايات
التركية نشرة سياسية دينية عنوانها « الخلافة الإسلامية والمجلس الوطنى الكبير » ،
وقوامها « أن الخليفة للمجلس والمجلس لل الخليفة » ، وأن الخلافة « حكومة عينية
وليس في وسع إنسان أو مجلس أن يبطل حقوقها وواجباتها » .. وأنه لا بد من
توحيد الشرق كله تحت لواء الخلافة الحاكمة ..

نشرة لا شك أنها باللغة الخطورة والسيخافة . فالخلافة التي اثبتت كامل ا�认تها
وانحلالها بالبراهين التاريخية التي لا تقبل جدالاً هي التي ستحكم الآن ، وستحكم جامعة
إسلامية قوامها ثلاثة مليون مسلم ، وتدير شئون الأمم ، وتعمل على تنفيذ المشروعات
النافعة وتدافع عن حقوق المسلمين كافة ، وترد عنهم عدوان الدول الأجنبية .. !
أو بعبارة أخرى إن تركيا التي خرجت من الحرب الكبرى محظمة واهية القوى

ناضبة الموارد هي التي ستكون زعيمة الشرق الإسلامي كله ، وهي التي ستدافع عن الشرق كله ، وهي التي ستشمل بتاج خلاقها الإسلام كله ، والاستعمار كله ، والتعصب كله ..

فإن لم يكن هذا سخافة فأين هي السخافة بعد ذلك ؟

وهل استشير الشرق الإسلامي في هذه السيادة ؟ وهل يقبلها إذا هو استشير فيها ؟ فإذا لم يقبلها واعتذر باستقلاله فأين هي القوة التي ستتخضعه لتاج الخلافة ؟ وإذا قبلها فكيف تتحمل تركيا المزعنة الخطة اعباء خلافة حاكمة لم تتح لأحد من الخلفاء قط بعد أبي بكر وعمر ! فإذا لم تكن الخلافة حاكمة مهيمنة على شؤون الشرق ، فما فائدتها ، وهلا يكون وجودها كعدمها ؟ والغرب المستعمر المعصب : ألا يقيم على هذه الخلافة حربا شعواء ويعمل على ألا تقوم لها - ولا للشرق التابع لها روحيا أو سياسيا - قائمة بعد الآن وخاصة بعد أن خرج الشرق من الحرب العظمى مجزأاً موزعاً بين إنجلترا وفرنسا وآيطاليا ؟

مصطفي كمال يبشر بهذه البداء بين طبقات الشعب الذي تغلقت الخلافة في ذرات دمه ، ويشعر وهو واقف أمام تلك الكتل الضخمة من التعصب الساذج أنه مستهدف لخطر شديد ، ومع ذلك فهو لا يخف ، ولا يتزدد ، بل يحمل على الخلافة الحاكمة حملات صادقة فيليق من الجماهير آذانا صاغية ، ولا يترك بلدآ من البلدان حتى يترك فيه آلافا من المتحسين لآرائه السياسية والدينية

وكلا ربع منشور شكري افندى ولاية من الولايات رباع كمال بحولاته السريعة وخطبه البارعة ولايات بأكمتها ..

* * *

وفي استانبول نرى الخليفة عبد المجيد الذي انتخبه المجلس الوطني للخلافة بعد وحيد الدين كهلا في الخامسة والخمسين من عمره ، طيب القلب ، رضي الخلق ، ولكنه آسف على ضياع السلطة ، عامل على استعادة مظاهرها

وأمثال الشيخ شكري افندى في تركيا كثيرون . وهم يعملون سراً وعلانية على التهديد لعودة السلطة . وبعد المجيد لا شك مرتاح إلى هذه الدعايات والمؤامرات . وثمة علاقة متينة بينه وبين رافت ورءوف وغيرهما من رجال الحرب والسياسة ، علاقات قد يرون هم أنها بريئة ، ولكن ذئب انقرة لا يراها كذلك ..

اعلان الجمهورية

« حافظوا على حزبكم وناضلوا عنه . ان العدو خرج من بلادنا ، ولكن الحرب لم تضع أوزارها بعد . البلاد ملاي بالخائين . ادعوا الى سبيل حزبكم ، وانشروا مبادئه في كل بلد ، وفي كل قرية ، وفي كل منزل ، وقفوا في الجهد دوني وأطيعوني . فبكم سأبني تركيا الجديدة – تركيا التي ستظل أبداً للاتراك

« حزبكم هذا هو حزب الشعب . والسيادة فيه للشعب . أي مقام غير مقام المجلس الوطني الكبير لا سلطان له على الشعب . السيادة القومية هي رائتنا في سن القوانين وتنفيذها بما يكفل لكم الرخاء والحرية . والقرار الصادر بالغاء السلطنة دستور لا يتغير »

الشعب بأسره ينضم الى الحزب . والمعارضون في المجلس الوطني يشعرون بدنه الخاتمة ، فيقاومون كلاماً باخر ما في جعبتهم من وسائل النضال :

فهذا مشروع بقانون يحرم على كل من لم يولد في ارض تركية ولم يقم في دائرة الانتخابية خمس سنوات حق الانتخاب . والغاية من هذا القانون حرمان كمال من حق الانتخاب ، لأنه مولود في سلانيك – وهي ليست داخل الحدود الآن – ولأنه لم يقم في أية دائرة انتخابية خمس سنوات . . ولكن هذا المشروع يعبر في مدهه . . . وهذا رموف رئيس الوزارة يستغل انقطاع مفاوضات لوزان وعودة عصمت الى انقرة بدون معااهدة ليحمل عليه حملات شعواء الغرض منها القضاء عليه وإضعاف نصيره كمال ، فلا يستقبله في المحطة بدعوى أن كلاماً قابله في اسكيشهر وعرف منه خلاصة أخبار المفاوضة قبل أن تعرفها الوزارة ، فإذا ما حاسبه كمال على هذا الاتهام في واجبات اللياقة استقال من الوزارة وراح يرأس حزب المعارضة في المجلس . ولكن كلاماً يقاومه ويقاوم المجلس ويحمل الجميع على احترام عصمت والسماح له بالعودة لاتمام المفاوضات

وهذا وفد من نواب المجلس يتقدم الى كمال طالباً منه الاستقالة من حزب الشعب لأنه لا يليق برئيس البلاد الأعلى أن يكون رئيس حزب سياسي ، فيرد عليه كمال قائلاً انه لا يوافقهم على رأيهم ، فليس حزب الشعب حزباً سياسياً يمثل جانباً من الأمة ، بل هو الأمة بأسرها ، وأنه سيرأس المجلس الوطني كأمين رئيس الحزب الوحيد في البلاد

وهذه جهة قوية تؤلف ضده : رءوف ، كاظم قره بکير ، رأفت ، على فؤاد ، نور الدين ، رحمى ، عدنان ، وكلهم من أعظم القواد وأكبر الساسة مصطفى کمال يحمل المجلس الوطنى ويدعو لانتخابات جديدة . فيرى بعد أسابيع مجلساً وطنياً لا يكاد يفترق عن المجلس السابق في شيء : فرءوف ما يزال على رأس المعارضة ، ودعاة الرجعية موجودون ، والعداء السياسي يستفحـل شره إذًا لابد من الخطوة الخامسة : وهـى اعلـان الجمهـوريـة ، فـان تـركـيزـ السـلـطـةـ التـفـيـذـيـةـ فيـ المـلـجـسـ الـوطـنـىـ لمـ يـعـدـ مـحـتمـلاـ ، وـلـابـدـ مـنـ رـئـاسـةـ تـشـرفـ عـلـىـ أـعـمـالـ الـوزـراءـ عنـ کـثـبـ حـتـىـ لـاـ تـعـرـضـ عـلـىـ المـلـجـسـ کـلـ شـارـدـةـ وـوـارـدـةـ مـنـ شـئـونـ الـحـكـمـ وهذه الخطوة يسبقها عاملان جوهريان في نجاحها :

فعصمت رجل « اينونو » و « مودانيا » يصبح الآن رجل « لوزان » فقد عاد إلى أنقرة بمعاهدة « هي الوثيقة التي تدل دلالة واضحة على هدم المؤامرة الكبرى التي كانت تدب ضد تركيا منذ قرون ، والتي كانوا يظنون أنهم ختموا فصولها بمعاهدة سيفر . و « هي الاثر الحالـلـ لـاـتـصـارـ سـيـاسـيـ لـاـ مـيـلـ لـهـ فـيـ تـارـيخـ تـرـكـياـ الـحـيـدـ » على حد قول مصطفى کمال

وأسطول الاحتلال الذى كان راسياً في مياه استانبول يرحل عن المياه التركية وسط عاصفة من التهليل والتکبير ، وبعد أن يحيي جنوده العلم التركى تحية التجيد والأکبار مصطفى کمال الآن رجل الحرب الظافر ، ورجل السياسة الظافر . وسيضرب ضربته القاضية عما قريب

هو ذا جالـلـ فـيـ مـنـزـلـهـ المـشـرـفـ عـلـىـ أـنـقـرـةـ منـ «ـ تـشـانـ کـایـاـ »ـ وـفـيـ عـيـنـيهـ بـرـيقـ ذـئـبـ غالـیـولـیـ وـسـقارـیـاـ .ـ وـحـولـهـ هـيـئـةـ الـوـزـارـةـ وـعـلـىـ رـأـسـهاـ فـتحـىـ بـكـ هو ذا يـلـىـ عـلـىـ الـوـزـراءـ خـطـتـهـ الـخـامـسـةـ :ـ فـهـمـ سـيـذـهـبـونـ إـلـىـ المـلـجـسـ الـوطـنـىـ فـ الـغـدـاـ وـيـقـدـمـونـ لـهـ اـسـتـقـالـتـهـ .ـ وـهـمـ سـيـرـفـضـونـ اـشـتـراكـ فـيـ أـيـةـ وـزـارـةـ جـديـدـةـ تـشـكـلـ ،ـ وـهـمـ سـيـرـوـنـ بـأـعـيـنـهـمـ كـيـفـ يـخـتـلـطـ الـأـمـرـ عـلـىـ النـوـابـ فـيـتـخـبـطـونـ وـيـتـخـبـطـونـ حـتـىـ يـظـهـرـ اـفـلـاسـهـمـ ،ـ فـيـعـودـونـ إـلـيـ آـسـفـيـنـ نـادـمـيـنـ ،ـ وـيـسـلـمـونـهـ زـمـامـهـمـ وـيـخـضـعـونـ لـكـلـ مـاـيـأـمـرـهـ بـهـ وـفـعـلـاـ تـسـقـيلـ الـوـزـارـةـ .ـ وـيـتـخـبـطـ نـوـابـ الـمـلـجـسـ ثـمـ يـتـخـبـطـونـ دونـ أـنـ يـصـلـوـاـ إـلـىـ نـتـيـجـةـ حـاسـمـةـ .ـ وـيـتـصـادـفـ غـيـابـ رـءـوفـ وـبـقـيـةـ الـعـارـضـيـنـ فـيـ هـذـاـ الـاـسـبـوـعـ فـزـادـ الشـاكـلـ تـعـيـدـاـ

وأخيراً - وفي عاصفة من النقاش والاحتجاجات والمتناقضات، يقف كمال الدين سامي باشا ويقول إن ثمة رجلا واحداً بنقد المجلس مما هو فيه، وهذا الرجل هو مصطفى كمال .. فينسى النواب أنفسهم وما يحملون لكمال من سخاً وعداء ويوافقون على الاقتراح بحماس عجيب ..

ويوفد المجلس رسولاً إلى كمال في منزله ليحضر إلى المجلس وينقذه مما هو فيه .. فلا يعبأ كمال بالرسول ولا بالمجلس ..

فيوفد المجلس رسولاً آخر . فلا يعبأ به كمال .. ولكنه يعود بعد الحاج منه فيشترط على المجلس قبول ما يليه عليه دون نقاش أو معارضة . وعلى هذا الأساس يغادر منزله ويتجه صوب أنقرة

وهناك في أحدى قاعات المجلس يجتمع بأقطاب حزب الشعب ويطلّ عليهم على نياته : إعلان الجمهورية ، وتشكيل الوزارة بعد ذلك . ويقف عصمت فيقول : إن ساسة أوروبا اتقدوا هيمنة المجلس الوطني على شئون الوزارة دون وجود رئيس للحكومة ، وإن تشكيل الوزارة غير قانوني إذا لم يسبق إعلان الجمهورية وانتخاب رئيسها ، فيوافق الحزب على إعلان الجمهورية ..

ثم يعقد المجلس الوطني في الحال . ويدير عصمت - نائب الرئيس - دفة النقاش ببراعة مدهشة ، فيوافق النواب على إعلان الجمهورية .. في الحال ! !

وفي الحال أيضاً ينتخب مصطفى كمال رئيساً للجمهورية بجمع الآراء ! !

وفي الحال أيضاً يقف كمال على المنبر ليشكر النواب على ثقتم فيه ويحضّهم على التمسك بالجمهورية : أعظم أثر من آثار حرب الاستقلال ، ثم يعلن تشكيل الوزارة برأسه عصمت ، وينتخب فتحى لرئيسة المجلس

وتطلق المدفع . ويداع النبأ في سائر أنحاء فيستقبله الشعب بحماس عجيب : إلا طائفة المعارضين - وهم قليلاً

ويتم ذلك كله فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة من مساء ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٣ وفي منتصف الليل يعود النبئ الظافر إلى منزله المشرف على أنقرة ، فيدخل إلى أنه مارد جبار يقفز من مرتفعات غاليسولي ، إلى تلال سقاريا ، إلى انفاض السلطة ، إلى صخرة الجمهورية .. وأن بريق عينيه الذي رأيناها في غاليسولي وسقاريا ليزداد تألقاً وهو لا ..

الخلافة بعد السلطنة

مصطفي كمال يجلس الى رقعة تركيا فيجد كل شيء على ما يرام ، فقد زالت معالم العهد القديم ولم يبق منها الا الخلافة

ومصطفى كمال مصمم على الغاء الخلافة ، فقد مهد لهذا الالغاء بالمجلس الوطني الكبير ، ثم بحكومة المجلس الوطني الكبير ، ثم بالغاء السلطنة ، ثم باعلان الجمهورية . وهو الآن يتحين الفرصة لتحقيق آخر آماله وينتظر دسائس الرجعيين وقلاقلهم ليضرب الضربة القاضية

وما أسرع ما يشرع الرجعيون في إثارة القلاقل :

فهذه جرائد استانبول « طنين » و « توحيد أفكار » و « وطن » تستقبل اعلان الجمهورية استقبالا فاتراً ، وتقول إن العمل الجدى لا يتأتى بتغيير الأسماء واستعارة كلة « جمهورية » من قواميس الدساتير

وهذا رءوف بك المقيم في استانبول يتحدث الى الصحف حديثاً يفهم منه أنه معارض لقيام الجمهورية ، عامل على تأسيس حزب رجعى لمناهضتها وهذا لطق فكري بك يوجه الى الخليفة خطاباً مفتوحاً يقول فيه إنه سمع أن مقام الخلافة يفكر في الاستقالة ، ويصف أثر هذه الاشاعة في نفوس الأتراك ، وينذر بالويل والثبور إذا ما فكر أحد في التعرض لخليفة المسلمين

وهذا حزب رءوف به يظهر في الميدان . وها هو رءوف يغادر استانبول الى أنقرة فيودعه أنصاره : رأفت ، وعلى فؤاد ، وكاظم قره بيكير ، وعدنان ، وتحدث الصحف عن برامج المعارضة وعن الوداع الحماسى الذى لقيه من أهل استانبول وهذا رأفت يهدى الى الخليفة جواداً اسمه « قونية » ومع الجواد خطاب كله ولاء وعبودية للخليفة عبد الحميد

وفي أنقرة يشرع رءوف في المعارضة . فيقطع عليه كمال خط الرجعة بدعوته الى جلسة خاصة في حزب الشعب ليدافع فيها عن نفسه : فيحاول رءوف أن يبعد كلاماً من الجلسة ليأمن قوة تأثيره ، ولكن كلاماً يضم على الحضور وفي الجلسة يهاجم عصمت رءوفاً ، ويقول : « إن الخليفة إذا قامت في ذهنه فكرة التدخل في شئون البلاد ، فإن صاحب تلك الفكرة لا شئ مقتضى عليه . وإن كل من

يذكر في إحداث انقلاب قد يؤدي إلى عودة السلطنة بعد خاتمًا ، فقد كفى ما لقيته
 البلاد من وحيد الدين » فيتراجع رعوف مقهوراً ويعلن ولاءه للجمهورية وإيمانه بها
 وفي تلك الأثناء تقوم القيامة في استانبول . ويخلق أعداء الجمهورية حول
 الخليفة جواً مكثراً بمقالاتهم الشديدة اللهجة وترجمتهم على العهود الغابرة
 وفي أواسط أكتوبر سنة ١٩٢٣ تنشر جرائد استانبول خطابين موجهين إلى
 عصمت من أغاخان والأمير على (المرحوم الملك على) وخلاصتها أن مقام الخلافة
 لا بد أن يظل قوياً ، وأن السلطنة لا بد أن تعود إلى الخلافة كما كانت من قبل . .
 فيكتفي كمال بهذا القدر من عوامل الرجعية ، ويشرع في العمل الجدى على الغاء
 الخلافة ، فيقيم القيامة على المعارضين ، ويخطب ساعده الأيمن عصمت في المجلس
 الوطنى مستنكرةً تدخل أغاخان والأمير على في شؤون تركيا الخاصة ، ويتهم إنجلترا
 علانية بأنها بدأت تحرك ذنبها وتلعب في الخفاء
 وكلمة « إنجلترا » وحدها تكفى لإثارة المجلس . ولذلك لا نعجب إذا رأينا يقرر
 إيفاد محكمة استقلال إلى استانبول لتأديب الرجعيين وتطهير الجو منهم
 لطفي فكري بك يحكم عليه بالسجن خمس سنوات . رؤساء تحرير الصحف التي
 نشرت الخطابين يقدمون إلى محكمة الاستقلال . وئمه مشائخ يسجنون ، والدساsons
 يحاكون ، واليد الحديدية تسيطر على الموقف بحزم وسرعة
 ويخرج كمال من كل ذلك برأى عام يؤيده ويتوقع الغاء الخلافة يوماً بعد يوم !

* * *

٢٢ يناير سنة ١٩٢٤

مصطفى كمال في أزمير يشرف على مناورات الجيش . فتصله من عصمت رئيس
 الوزارة برقة مؤداها أن حف استانبول عادت إلى إثارة مسألة الخلافة من جديد .
 ووضعت الخليفة في صدر المعارضة . وأن الخليفة يود أن يتصل بالحكومة ويشارك
 معها في تحمل مسئوليات الحكم . وأنه يطلب زيادة مخصصاته ليظهر بالظاهر اللاقى
 بمقامه الكبير

فيرد عليه كمال ببرقية طويلة يقول فيها إن الخليفة وحده هو المسئول عن الجو
 السياسي المكهرب في استانبول ، فقد عمد إلى الظهور بمظاهر السلطنة ، وبالغ في
 تفخيم مواكه أيام الجمعة ، واتصل بسفراء الدول الأجنبية ، واستقبل في قصره كبار

الموظفين وصغارهم ، مع أنه لم يعد له – بعد قيام الجمهورية – كيان سياسي ، بل أصبح تذكاراً من تذكارات التاريخ لا أكثر ولا أقل . فلا معنى إذًا لاتصاله بشئون الحكم إلا أن يكون ساعياً في استعادة السلطة . ولا معنى كذلك لمظاهر خفخته فهو لم يعد سلطاناً وإنما هو رجل دين وحسب . والمقام الديني يتنافى مع مظاهر الدنيا . إذًا يجب وضع حد لهذه الحركات الخطيرة ، وإفهام الخليفة صراحة إن الحكومة ستقطع من كادره ما لا ترى مبرراً له

وبعد بضعة أيام يجتمع كمال وعصمت في أزمير ويتفق معه على وجوب إلغاء الخلافة بمجرد العودة إلى أنقرة

* * *

أول مارس سنة ١٩٢٤

مصطفى كمال يلقى خطبة افتتاح الدورة الخامسة للمجلس الكبير ، فيركز أقواله في ثلاثة أمور :

أولاً – رغبة الأمة في صيانة الجمهورية حالاً واستقبلاً
ثانياً – الرأي العام يطالب بوضع سياسة تعليمية من غير تسويف
ثالثاً – لابد من تنزيه الإسلام وإعلاء قدره بابعاده عن علم السياسة

* * *

٣ مارس

ثلاثة مشروعات لقوانين تعرض على المجلس :

- ١ – مشروع بقانون مقدم من الشيخ صفت أفندي بالاشتراك مع ٥٠ نائباً ، وهو يقضي بإلغاء الخلافة وابعاد الأسرة السلطانية
- ٢ – مشروع بقانون مقدم من خليل حلقي أفندي بالاشتراك مع ٥٠ نائباً ، وهو يقضي بإلغاء وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
- ٣ – مشروع بقانون مقدم من واصف بك بالاشتراك مع ٥٠ نائباً ، وهو يقضي بوضع سياسة تعليمية موحدة

فتحى بك رئيس المجلس يطرح المشروعات الثلاثة على المجلس . فيوافق عليها في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين !

وبقتى هذه القوانين تصبح الخلافة ملغاة . وتصبح الأحكام الشرعية من شأن

المجلس الوطني ، وتلغى وزارة الشريعة والأوقاف ، وتضم جميع المعاهد الدينية إلى
وزارة المعارف

* * *

ويقوم الشيخ راسخ افندى فيقول إنه مكلف من قبل المسلمين بعرض لقب السلطنة
والخلافة على مصطفى كمال . . فيذكر له كمال ولسائر المسلمين حسن ظنهم ، ولكنه
يعود فيقول إن السلطنة والخلافة مقامها مقام رئيس الدولة ، فكيف يستطيع أن
يكون رئيساً على دولة شرقية لها ملوكها ورؤساؤ حكوماتها؟ وهل إذا أصدر إليها
أوامره تنفذ هذه الأوامر؟ وهلا يكون من المضحك أن يتقدّم مرکزاً وهما ليس له
مدلول ولا موضوع؟

وبذلك تتحى كلة الخلافة من التاريخ التركي

* * *

الساعة العاشرة من مساء ٣ مارس

ال الخليفة عبد المجيد نائم في قصر « ضوله باججه ». والى استانبول ورجال
البوليس يطرون الباب ويدخلون القصر ويطلبون مقابلته . فيوقظه الخدم من نومه
ويدعون الوالي والضباط إلى مكتبه في القصر . وهناك يقابلهم الخليفة فيقرأون عليه
قرار المجلس الوطني بالغاء الخلافة واقصائه هو وأسرته إلى سويسرا . فيهتف الخليفة :
« لست خائنا . . أنا وطني وأحب بلادي . . » وتعمّره موجة من التأثر فيجلس
إلى مكتبه خائر القوى . فلا يلبث أن يكرر عليه الوالي أوامر أنقرة . فيستعد
للرحيل . .

وفي فجر اليوم التالي يغادر قصره هو وأفراد أسرته في سيارات الحكومة . وفي
الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يتحرك القطار من محطة « شاطلحة » حاملا آخر
خلفاء آل عثمان إلى سويسرا

وهناك في « تسان قايا » المشرفة على انقرة من على مجلس الذئب وفي يده رسالة
برقية تصف رحيل الخليفة هو وأفراد أسرته ، فيتسم كما ابتسم وهو يتطلع من شاطئِ
غالبيولي إلى أساطير الحلفاء الراحلة عن مياه الدردنيل
فقد زالت الخلافة فزالة معها تعصب الغرب

المؤامرة والهيبة

كلا . . لم تفرغ جعبة الرجعيين بعد
إن مؤامرة رهيبة تدبر في الخفاء لقلب نظام الجمهورية والعودة إلى المشل الأعلى
للحكم في نظر رءوف وانصاره : المجلس الوطني الكبير ، والخلافة
ها هوذا كاظم قره بکير باشا ، المشرف على ثلث الجيش الترکي في الولايات الشرقية ،
يقدم استقالته إلى رئاسة عموم أركان الحرب بحجة إهمال اقتراحاته لتنظيم الجيش ،
و قبل أن تقبل استقالته ويصل خلفه إلى مركز قيادته في شرق الأناضول نراه
في انقرة

وها هذَا على فؤاد باشا مفتش الجيش الثاني في قونية يستقيل من الجيش أيضا
ويعود إلى انقرة على حين غرة ويتصل برءوف وانصاره ولا يلبّي دعوة كمال لتناول
العشاء معه

وها هذَا رأفت باشا في حكم المستقيل
وصحف استانبول تظهر في تلك الأيام العصيبة حاملة حملات شعواء على الجمهورية ،
وعلى الدكتاتورية المزعومة في المجلس الوطني
والنائب الشیخ أسعد افندي يقدم إلى المجلس عدة أسئلة تتناول نقط الضعف
في الحكومة التركية الجديدة ، وهذه الأسئلة تنقلب استجواباً في اليوم التالي لتقديم
كاظم قره بکير استقالته

ويتم كل ذلك بسرعة عجيبة في تلك الأيام السوداء التي بعثت تأديب النسطوريين
واحتاجوا أنجلترا عليه ، ورد تركيا القاسي على أنجلترا ، هذا الرد الذي أوشك أن
يشير حرباً بين الدولتين . . وقبيل قيام الثورة الكردية الرهيبة التي كانت كل الدلائل
تشير إلى قرب وقوعها

وقد خيل إلى التآمرين الأربعة أنهم ضمنوا تأييد الجيش وأوشكوا أن يضمنوا
تأييد الرأي العام ، فأجمعوا أمرهم على المجموع ، وبسرعة ، وبشكل حاسم . .
مصطفي كمال كان ينتظر هذه الحركة من التآمرين . وإنه لسعيد بها فستتيح له
القضاء عليهم قضاء أخيراً

إنه يتطلب من عصمت وسائر الوزراء الاستعداد للرد على الخصوم في المجلس ببيانات

واافية مقنعة . ويطلب من فوزى باشا الاستقالة من النيابة فيستقيل في الحال . ثم يذهب إلى مكتب التلفراف حيث يطلب من بقية قواد الجيش الاستقالة من نياية المجلس ، فيستقيل منهم عز الدين باشا وعلى حكمت باشا وشکری نائل باشا ونفر الدين باشا ، ويرفض كل من جواد باشا وجعفر طيار باشا الاستقالة ، فيفصلها من الجيش ويعين بدلهمما اثنين آخرين في الحال . وبذلك يضمن ابعاد عنصر القواد عن عالم السياسة ، ويضع حدًّا لتسرب المناورات السياسية إلى الجيش

* * *

٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤

عصمت رئيس الحكومة يفتح الجلسة ببلادة وكياسة ، إذ يعلن أن الحكومة لم تكن تنتظر استجواب الشيخ أسعد افندي ، ولكن تبين لها أخيراً أن هناك أسئلة لا عدد لها توشك أن توجهها المعارضة إلى الحكومة . ومع أنها لم تكن على استعداد لكل هذه الأسئلة ، فإنه يسرها أن تجنب عنها ارتجالاً ..

ولا يكاد يعود عصمت إلى مكانه حتى يتكلم من فوق المنبر نحو ثلاثين خطيباً ، ويظهر جلياً أن المؤامرة باللغة أقصى درجات الخطورة ، فالمعارضون يحملون على الحكومة بشدة وعنف ، والحكومة تدافع عن نفسها دفاع المستميت ..

وعندما يجيء دور رءوف يصعد المنبر ويطعن الحكومة طعنات مسممة . ويقول بعد أن يحول في معارضته ويصول : إن شعار سياساته وسياسة انصاره يقوم على أساس السيادة القومية . . فترتفع من كل مكان أصوات هاتفة : « والجمهورية ! ؟ » .. فلا يعبأ رءوف بالاحتجاج ويقول : « المكان الذي تتجلى فيه السيادة القومية هو المجلس الوطني الكبير .. » فيعود الصياح : « والجمهورية ! ؟ » .. فلا يعترف رءوف بوجود شيء اسمه جمهورية .. ثم يطر الحكومة بوابل من الأسئلة المثيرة عن شؤون الجيش والتعليم والزراعة والتجارة والصناعة ، ويتهمها بأن ثمة ظلمًا فادحًا يقع على الأهالي ، ويروح في حملته الرهيبة واغلا دون أن يرحم أو يقدر أن الفترة بين انتهاء حرب الاستقلال وقيام الجمهورية لا تتيح لأية حكومة أن تفعل أكثر مما فعلت حكومة عصمت . وأخيرا يقول بلهجة (درامية) مؤثرة : « اللهم احفظ بلادنا ووطننا وارحمنا . . . » ثم يغادر المنبر وهو على يقين من أن طعناته أصابت

مقتلاً

مصطفي كمال جالس في المجلس دون أن يتحرك أو يتكلم . بيد أن الوزراء والنواب لا يلبثون أن يتلقوا على المنبر لتفنيد أقوال رءوف والدفاع عن سياسة الحكومة . وانك لتلمس في أقوالهم عزيمة المستميت في الدفاع . ومن عجب أن يحسنوا الرد على حملات المعارضة ، وأن يشفعوا أقوالهم بالبيانات والوثائق الرسمية ، مما يدل على أن (الارتجال) كان مناورة سياسية بارعة من عصمت !

وبعد بعض ساعات يعود رءوف إلى المنبر ليرد على الحكومة . وهنا تظهر خافية أمره وينكشف الغطاء عن مؤامرته ، إذ يعلن من فوق المنبر أنه - وإن لم يكن من انصار الخلافة والسلطنة - إلا أنه عدو لدود لكل من ينتزع حقوق هذين المقامين ثم تطول المناقشات وتستغرق بضعة أيام ، وكلما اشتدت استهتات الطرفان في الدفاع عن سياستهما ، حتى تختتم بطرح الثقة بالحكومة على المجلس . وعندئذ ينهزم رءوف وانصاره إذ يشق المجلس في الحكومة بأغلبية ١٤٨ صوتاً ضد ١٩ صوتاً

* * *

ولكن المعركة ما زالت قائمة على أشدتها :

فرائد رءوف تهاجم الحكومة باقلام من نار ، وانصاره يؤلفون حزباً يدعونه «حزب الترقى الجمهوري» . ومبادئه هذا الحزب تقوم على مناهضة الحكومة والعمل على استعادة الخلافة

وتحية دعائيات تروج بين سائر الطبقات ، وقوامها الحض على مقاومة الاستبداد والعمل على استرجاع الخليفة ورفع لواء الدين

وتحية مراسلات سرية بين الحزب من جهة ودعوة الثورة في الولايات الشرقية ثم الأكراد من جهة أخرى . وكاظم قره بيكير يصبح في نظر زعماء الأكراد - دون أن يعلم - المخلص الوحيد والرجل الذي سينقذ الدين من حكومة انقرة (الكافرة) وهكذا تتطور حركة رءوف وانصاره إلى ثورة رهيبة لهم في اسمها النصف ، وللذهب الانجليزي الذي ينشر في كردستان النصف الآخر

ولست من السذاجة بحيث أقول إن حزب رءوف ساهم في الثورة الكردية . ولكنني أقرر أن حركته كانت - دون قصد منه - أخطر تمهيد لهذه الثورة ، وهو عن هذا التمهيد مسئول أمام التاريخ

حجال المشائق

تركيا في حالة من القلق يرثى لها ، فالبلاد على أبواب حربين : حرب سياسة وحرب ميدان

معالم اليأس تراها في كل مكان : في استانبول ، في أنقرة ، وفي كل بلد أو قرية ، فرميوف وأعضاء حزبه ما يزالون يطعنون الحكومة والجمهورية طعنات نجلاء ، والشيخ سعيد زعيم الأكراد الرهيب يرفع علم النبوة الأخضر ، علم الثورة الدينية ، ووراءه لورانس وفي يده الجندي الانجليزي الرنان

كل شيء ينذر بالهزيمة والدمار . والأترال الجمهوريون في بيوتهم رابضون كأن على رؤوسهم الطير ، الا البيت المشرف على أنقرة من عل حيث يجلس الرجل النحيل الضامر الوجه ، رجل غالبياتي الذي اتصر والدنيا بأسرها تقسم : لينهزم ، رجل سقاريا الذي اتصر والعقل والمنطق وشواهد الحال تدمى : ليندحرن ، رجل الغاء السلطنة والخلافة الذي اتصر وتراث مئات السنين يسجل : لأعودن ..

هذا الرجل الحديد الجليد الآن يجلس وأمامه خريطة لتركيا عليها الأعلام الصغيرة ، فيشرع في تثبيت الأعلام حول منطقة الثورة الكردية ، ثم يسوقها إلى قلب الثورة من الشمال والغرب والجنوب ، فإذا فرغ من ذلك أشعل سيجارة وراح يدخن ، فقد اندر الأكراد !

أى والله لقد اندر الأكراد وكان القضاء عليهم مبرماً رهياً :
الطائرات تصيب عليهم من السماء دمارا ، والمدافع من فوهاتها ترسل حمما والبنادق ترسل ناراً ، والسيف يحز الرءوس ، والخناجر تقر البطون ، وأربعون ألفاً من الجنود ألهبهم كمال بخطبة نارية يقفزون في بلاد الكرد من راية إلى قمة ، ثم إلى الوهاد بنحدرون ، والناس يقتلون ، والقرى يحرقون ، ومن الانجليز وعناصر الرجعية في شخص الأكراد ينتقمون

وشرق شمس ٢٨ يونيو سنة ١٩٢٥ على مشائق تتدلى فيها حجال تتأرجح بحث خمسة وأربعين زعيماً من زعماء الأكراد

وأخيراً .. ها هو زعيمهم الأكبر الشيخ سعيد يتقدم إلى مشنته مبتسمـا . فيضع الجنود تحت قدميه كيساً مملوءاً بالذهب الانجليزي ليتخذه كرسياً . فيصعد فوقه

بثبات عجيب ويلتفت الى رئيس محكمة الاستقلال ويقول : « لست أبغضك . ولكننا جميعاً سنقدم الحساب يوم الحساب »

ثم يقول لقائد الجيش التركي الذى دحره : « تقدم إليها الجنرال وقل السلام على عدوك الأكبر . . . » فيسأل القائد : « ومن هو عدوى وعدو تركيا الأكبر ؟ » فيتسم الشيخ سعيد ويقول : « إنجلترا . . . »

وتكون هذه الكلمة آخر كلاماته إذ يسحب الجنادل من تحته كيس الذهب الانجليزى فيهوى به الحبل ، فيموت

ويرفع النذير النحيل الضامر الوجه ، الجاثم فوق أنقرة خريطة تركيا من أمامه ، ويقع في مربضه حديثاً جليداً . الا من بريق عينيه . بريق غاليلوي وسفاريا . . .

* * *

الآن هو منتصر . والآن الحديد منصر . فليضربه وليشكل منه ماشاء من الخاذج ، وليطهر جو الجمهورية من أدران الرجعية

الآن نراه خطياً على منبر المجلس الوطنى الكبير . وزرى الاتهام تلو الاتهام يتحدى من بين شفتيه ، ونسمع منه فى الوطنية والقومية كلما هوكالسحر ، يهتف له النواب طويلاً ويصفقون ، ثم ينحونه على البلاد سلطة دكتاتورية

ورئيس الجمهورية الدكتاتور سريع في قراراته وحاسم . فهو يقرر :
أن رهوفا عدو لدول للجمهورية منذ مهد لاحركة الرجعية بحزبه الجديد
وإن كاظم قره بيكير وعلى فؤاد ورأفت وجاد متمردون رجعيون ، وإن كل من
يت إلى حزب الترقى الجمهورى بصلة رجعى دسان
وان جرائد استانبول المعارضة شوكة فى ظهر الجمهورية
كل هذا يجب أن يزول . . . يزول هكذا بسرعة كما زال الأكراد . .

محاكم الاستقلال فى كل مكان تظهر المدن والقرى من الرجعيين ، والصحف تكمم
أفواها ، ومصطفى كمال يطوق أعداءه بطوق حديدى لا يفر منه إلا رهوف وعدنان
وخلدة أديب . والفرصة الذهبية تتاح له إذ تدبر في أزمير مؤامرة لاغتياله ، ويقبض
على نفر من المعارضين ويعثر على قنابل كانت ستلقى عليه من أحد المنازل وهو سائر
في الطريق . وتضبط مراسلات تثبت اشتراك زعماء المعارضة في المؤامرة أو توافقهم

مع التآمرين . فتعقد في أزمير وأنقرة محكمة من محاكم الاستقلال يساق إليها
المتآمرون تباعاً

وفي منزله الشرف على أنقرة يجلس الدئب ريثما تم محاكمته أزمير ويحكم على المتآمرين
بالاعدام ، فيوقع بامضائه على وثيقة الموت ، ولا يجد عليه ظل من الناشر إذ يقرر
إعدام صديقه القديم « عارف » .. أجل عارف الذي كان أصدق أصدقائه وأخلص
أصفيائه ، عارف الذي انقلب متآمراً وانضم إلى الرجعيين عقب الغاء السلطنة والخلافة ،
عارف الذي أتاح له كمال فرصة الدفاع عن نفسه في جلسة سرية فابنري يقول : « أجل
لقد حاولت قتلك .. ولو كان معى مسدس الآن لقتلتك ! ! »

وبعد أيام يحييه الرسول بوثيقة اعدام الفوج الثاني من المتآمرين ، الفوج الذي
يتتألف من زعماء المعارضة وفي طليعتهم جاوييد بك وزير مالية تركيا سابقاً ، ومدبر
مؤامرات الرجعيين من وراء ستار . . لقد حوكموا في أنقرة وثبتت إدانتهم -
والادانة لا يشترط أن تكون الاشتراك في تدبير المؤامرة ، بل يكفي كونهم أعداء
للجمهورية ساعين في بعث عهد السلطنة والخلافة - فيفرح كمال عن قواد الجيش
الأربعة ، ويوقع على وثيقة إعدام الآخرين
وهناك خارج أنقرة ، والظلم مرخ سدوله إلا من بعض المصايح الضئيلة ، تأرجح
جثث زعماء المعارضة تحت المشانق ..

كل واحد من هؤلاء كان صخرة معارضة قائمة بذاتها . وهما هم الآن يصمتون
صمتاً أبداً ..

كل واحد منهم ألقى كلمات رهيبة قبل أن يوت . إلا جاوييد فقد ألقى آخر نكاته
على كرسى الاعدام إذ قال لجلاده : « معدرة إذا كنت لا أجيد الموت شيئاً فاني - وایم
الله - لم أجرب هذه الميزة من قبل ! ! »

تركيا . ولا شيء إلا تركيا

الآن استقلت تركيا ، وألغيت السلطنة والخلافة ، وأعلنت الجمهورية ، وعلق
الرجعيون في جبال المشانق أو شردوا في أقصى الأرض
الآن زالت نتوء العهد القديم . فهل يزول العهد القديم كله ؟

مصطفي كمال في أخرج ساعات حياته : فقد ألغى وشنق وشرد ، وبقي أن يريل من تراث القرون الغابرة وهادأً بأكملها ان كانت تتواوها قد زالت فهى بعد باقية وإذلة هذا التراث تكاد تكون في حكم المستحيل ، فذوره متصلة في أعماق النفوس ييد أن كلا رجل غالبيولى وسقاريا والجمهورية لا يعرف المستحيل ، لا لأنه كتابيليون يتحدى الأرض والسماء ثم تصرعه إرادة الأرض والسماء ، بل لأنه رجل أرقام ، رجل حقائق ، رجل دنيا لا يخشى وأنفه في السماء بل يخطو كل خطوة ونظره مصوب الى الأرض ، وهو الآن اذ يتحدى المستحيل لا يتصور أنه يتحدى مستحيلا بل يرى ويقيس كل شبر من الأرض يؤدى الى هذا المستحيل ، ويفكر طويلا في كيف يختار هذا البحر ، ويعبر ذلك المحيط ، ويتسلق تلك القمة الشاهقة ، ويتغلب على ذيالك الطريق الشائك ، حتى يصل الى غايته ، فيرى أن ليس ثمة مستحيل ، ويعجب كيف يسمى الناس هذا « البسيط المهد » « مستحيلا » ..

مصطفي كمال جالس في منزله المشرف على أنقرة وفي صفحة ذهنه (خريطة) جغرافية سياسية اقتصادية اجتماعية للعالم أجمع . وانه ليخيل الى أن في يده أعلاما صغيرة يثبتها في هذه الخريطة حيث أراد الاستقرار ، كما كان يفعل في غالبيولى وسقاريا وثورة الكرد تماما ..

انى أراه الآن وقد وضع أعلامه الصغيرة حول رقعة من الأرض اسمها الجديد « تركيا » . ثم أراه وقد وجه أعلام هجومه شطر الشرق ، وفتح من الناحية الغربية باباً يتيح للمدينة الغربية أن تصب في بلاده ، وأرى في يده مفتاح هذا الباب يفتحه به ويغلقه كما يشاء ويشاء التيار الغربي

وانى لأسمعه يتمتم : « يجب أن ننقل شجرة المدينة الغربية الى بلادنا . ويجب - لتعيش هذه الشجرة - أن ننقل البيئة التي عاشت فيها من قبل . ثم يجب - لترعرع هذه الشجرة في مهدها الجديد - أن نعودها شيئاً فشيئاً على احتمال جونا وترتنا التي حملناها معنا من قلب آسيا . وهذا كل معناه فضم علاقتنا بالشرق - تلك العلاقة التي ورثناها عن السلطة والخلافة - فضماً أبداً »

والآن أرجو من قرائي الشرقيين أن يتاحوا لى فرصة الدفاع عن تلك الثورة الاجتماعية الكبرى ، وأن يتجردوا - عند قراءتهم هذا الفصل - من كل ما سمعوه وتأثروا به من أحوال تركيا الجديدة :

الاتراك جاءوا من أواسط آسيا ، وكانت لهم هناك في مهدهم الأول مدينة قوامها عالم الحيات حيث لا مستقر الا المكان المعشب ، ولا صناعة الا صناعة الحرب . ولا تجارة إلا في عالم الأنعام وما إليها من نتاج عالم الحيات ، ولا ملوكة ولا سلطنة بل زعامة بدوية . فلما بلغ سلاطينهم ما بلغوا من مجد وفتح كان أكثر من نصفها في الشرق ، واعتنق أولئك السلاطين مدينة الإسلام والشرق الإسلامي ، لم تتغلب تلك المدينة في صميم أهل الأنضول ، بل ظلت قشرة على مدنיהם وحسب ، والآن وقد بنذوا سلاطينهم وخلفاءهم ، أفلأ يحق لهم أن يبنذوا المدينة التي فرضت عليهم فرضا ، المدينة التي لم يعتنقوها قط بل اعتنقوا منها بعض القشور ؟

وثمة مسألة ثانية : فالإسلام شيء والمدينة الدنيوية شيء آخر . الإسلام دين الله ، والمدينة الدنيوية جلها من صنع البشر . وهذه المدينة الدنيوية لا تمت إلى الإسلام في كل أصولها ، بل إنها لها أصولاً فارسية ويونانية ورومانية وهندية : ومن الخطأ الخلط بين الإسلام وما نسميه « مدينة الإسلام » . ومن الخطأ أيضاً ربط الإسلام بـ«مدينة الإسلام» ، فالدين واحد لا يتغير ولا يتتطور ، والمدينة يجب أن تتغير وتتطور . والحمد لله الذي جعل ديننا صالحا - بحدوده وأركانه الخمسة - لكل عصر من العصور ، ولكل مدينة من المدن . فلماذا إذاً نطالب التركي بالمحافظة على مدينتنا الشرقية ، ولا نطالب هو بخلق مدينة جديدة مادام راغباً في ذلك ؟

وثمة مسألة ثالثة : هي « حمل لواء الإسلام » . هذا اللواء كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من حمله . ثم حمله بعدهخلفاء الراشدون . ثم خلفاء بنى أمية . ثم خلفاء بنى العباس والفاطميون . ثم حمل في المغرب ، وفي الأندلس ، وفي مصر بعد أن حمل في الجزيرة العربية والشام والعراق . فلما جاء دور الاتراك في التاريخ الإسلامي حملوه بدورهم وتضموا عنه طوال ستة قرون ، حتى آذنت قوتهم بالزوال ، ثم اندثرت تماماً عقب الحرب العظمى والاحتلال الأجنبي . فلما قامت الثورة الوطنية وطرد الاتراك العدو من بلادهم لم يكن معنى هذا الطرد أنهم استعادوا مجدهم القديم ، بل معناه أن أمة مستعبدة نالت حريتها ، وليس ثمة أكثر من ذلك . فلماذا نطالب هذه الدولة التي بعثت مما يشبه العدم ، وأوشكت أن تقف على قدميها ، بما كنا نطالب به السلطنة العثمانية القوية ؟ وكيف يتأتى لها حمل لواء الإسلام وهي لا تكاد تقدر على حمل لواءها هي ؟

وَثِّيَة مُسَأْلَة رابعة : هِي « الدِّفَاعُ عَنِ الْاسْلَامِ ». هَذَا الشَّعَارُ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُهُ أَحَدْ قَطْ عِنْدَمَا كَانَ الْاسْلَامُ عَزِيزًا بِقُوَّتِهِ ، بَلْ كَانَ أَجْدَادُنَا الْقَدِيمَاء يَحْمِلُونَ شَعَارًا آخَرْ مَقْدِسًا هُوَ « الْمَجْوُمُ » . . . هُوَ « الْاسْلَامُ أَوِ الْجَزِيَّةُ ». فَلَمَّا اضْمَحَلَ الشَّعْبُ الْاسْلَامِيَّ وَوَقَعَ - وَأَسْفَاهُ - تَحْتَ نَيْرِ الْغَرْبِ ، ظَهَرَ شَعَارٌ آخَرُ هُوَ « الدِّفَاعُ عَنِ الْأُمَّةِ » حَتَّى تَسْتَقْلَ وَتَقْوِي لِيَتَاحَ لَهَا « الْمَجْوُمُ » بِالْاسْلَامِ . وَالْوَاقِعُ الَّذِي لَا مَرَأَ فِيهِ هُوَ أَنَّ الدِّينَ لَيْسَ ضَعِيفًا ، بَلِ الدُّولَةُ هُوَ الْمُضَعِّفَ ، وَالْأُمَّةُ هُوَ الْمُضَعِّفَةُ . فَلَكِي تَبْعَثَ الدِّينُ يَجِبُ أَنْ تَبْعَثَ الدُّولَةُ وَالْأُمَّةَ . وَهَذَا هُوَ مَنْطَقٌ مَصْطَفٌ كُلُّ إِذْ يَنْادِي : « الْوَطَنُ أَوْلًا . . . الْوَطَنُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ »

وَثِّيَة مُسَأْلَة خامسة : هِي أَنَّ الشَّرْقَ الْاسْلَامِيَّ سَامَ جَدًّا فِي عَقَائِدِهِ وَأَفْكَارِهِ ، هَابِطٌ جَدًّا فِي حَقِيقَةِ كِيَانِهِ السِّيَاسِيِّ وَالْإِقْتَصَادِيِّ - هَذِهِ حَقِيقَةٌ مَرَّةٌ وَلَكِنْهَا لَا تَقْبِلُ جَدَالًا - وَلَذِكْرٌ نَهْتَفُ دَائِمًا بِحَيَاةِ « الْجَامِعَةِ الْاسْلَامِيَّةِ » وَ« الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ » وَ« الشَّرْقِ أَصْلِ الْحَضَارَةِ » وَ« الشَّرْقُ الَّذِي عَلِمَ الْغَرْبَ وَسَوْفَ يَعْلَمُهُ ». فَإِذَا تَأْمَلْنَا فِي حَقِيقَتِنَا الرَّاهِنَةِ رَأَيْنَا أَنَّنَا فِي الْأَرْضِ وَمِثْلُنَا عَلَيَا فِي السَّمَاءِ . وَلِسْتُ أَسْوَقُ هَذَا القَوْلَ لِأَقْلَلِ مِنْ قِيمَةِ مِثْلُنَا عَلَيَا ، وَلَكِنْ لِأَقْلَلِ إِنَّهُ حَسْنٌ أَنْ نَنْشُدَ الْكَمَالَ وَنَتَحْدِيَ الْغَرْبَ بِجَامِعَةٍ كَبِيرَةٍ وَمَدِينَةٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ مَدِينَتِهِ ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا عِنْدَمَا نَعْوَلُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ نَسْلِكَ الطَّرِيقَ مِنْ أُولَئِكَ ، فَنَصْلُحُ مِنْ شَأنِنَا فَسَنَأْتُنَا ، وَنَرْبِي أَبْنَاءَنَا وَأَحْفَادَنَا عَلَى تَعْشُقِ الْحُرْيَةِ وَالْجَهَادِ ، وَمُجَارَةِ الْغَرْبِ فِي سُرْعَةِ تَقْدِيمِهِ ، ثُمَّ نَكَافِحُ لِنَتَالِ استِقْلَالَنَا ، ثُمَّ تَعْمَلُ كُلُّ دُولَةٍ مُسْتَقْلَةٍ مِنْنَا عَلَى الْحَافِظَةِ عَلَى استِقْلَالِهَا وَالْإِطْمَانِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَا بَلَغْنَا تَلْكَ الْمَرْجَلَةَ شَرَعْنَا نَفْكَرُ فِي الْمُثْلِ الْعَلِيَّ ، وَكَانَ تَفْكِيرُنَا فِيهَا فِي إِبَانَهُ . وَمَا يُؤْسِفُ لَهُ حَقًا أَنْ نَقُولَ إِنَّ كَلَالًا كَانَ - وَحْدَهُ - أَوْلَى مِنْ رَسْمِ لَدُولَتِهِ تَلْكَ السِّيَاسَةِ الْمُنْظَمَةِ الَّتِي تَقْضِي بِسُلُوكِ طَرِيقِ الْمُثْلِ الْأَعْلَى مِنْ أُولَئِكَ - مِهْمَا يَكُنُ فِي هَذَا السُّلُوكِ مِنْ هَبُوطٍ مُؤْقَتٍ بِالْمُثْلِ الْأَعْلَى إِلَى مَسْتَوِيِ الْأَرْضِ

وَثِّيَة مُسَأْلَة سادسة : لِمَا يَظْلِمُ الشَّرْقَ رُوحَانِيًّا فِي دُنْيَا ، مُسَالِمًا يَنْشُدُ السَّلَامَ وَيَتَعْنِي بِأَنْشُودَةِ السَّلَامِ ، مَحْقًا يَطْلُبُ الْحَقَّ وَلَا شَيْءَ إِلَّا الْحَقُّ وَكَلَةُ الْحَقِّ ، وَهُوَ فِي عَالَمٍ مَادِيٍّ ، مُحَارِبٌ ، مُسْتَعْمِرٌ ، لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ إِلَّا مَعَ الْقُوَّةِ ، وَلَا يَعْرِفُ بِكُلِّمَةِ الْحَقِّ إِلَّا إِذَا رَفَعَتْهَا فُوهَةُ الْمَدْفَعِ ؟ وَلِمَا أَسْعَى مُفْكَرًا مِنْ أَكْبَرِ مُنْكَرِي الشَّرْقِ يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ عَنْ حَرْبِ الْإِسْتِقْلَالِ التُّرْكِيَّةِ إِنَّهَا أَدَتَتْ إِلَى خَيْرِ النَّتَائِجِ ، وَلَكِنْ ثَمَّةِ شَيْئًا يَشُوهُ

من جمالها ، وهو سفك الدماء والتضحية بعشرات الآلاف من الأتراك ؟ !
هذه العقلية لم تكن قط موجودة في الشرق . ووجودها الآن جريمة كبيرة وعار
يلحق بنا وبأبنائنا وأحفادنا . وما يهون علينا أمرها أن الشرق بدأ يستيقظ من أثر
هذا المدر ، وبدأ يدرك أن الروح لا تقوى على المادة إلا إذا قاتلتها بمثل حديدها ،
وأن السلام لا يعيش حيث تغطى أسنة الرماح آفاق العالم ، وأن الحق لا يسود إلا
مع القوة

وئمة مسألة سابعة : هي أن الأتراك ظلوا طوال عهد السلطنة والخلافة لا يعرفون
لهم وطنًا ، فدينهم ووطنهم هو الإسلام . وحيثما كان التركي : في مصر ، أو سوريا ،
أو العراق ، أو الحجاز ، أو اليمن .. كان هناك وطنه . وحدود تركيا لم يكن لها
وجود . والنفير إلى الحرب لم يكن : « قم ودافع عن وطنك » بل « قم لتدافع
عن الإسلام » . وقد كان هذا حسناً عندما كانت القوة والدولة للسلطنة العثمانية . أما
وقد خرج الشرق من الحرب العظمى بدول منفصل بعضها عن بعض ، ولكل منها
استقلال تنشده ، وحدود تطالب بها ، فمن العبث أن يظل التركي متخدًا « عالم
الإسلام » وطنًا له . ولهذا فصل مصطفى كمال تركيا عن « عالم الإسلام » كما فعلنا
نحن أقطارنا عنه وجعلنا لكل منها كياناً مستقلاً

* * *

تلك روح الجمهورية التركية : جمهورية مصطفى كمال حللتها تحليلاً عاجلاً وأرجعت
كل مظهر من مظاهرها إلى سبب لا ينتقل بالقراء إلى عالم جديد ، ودولة جديدة

إنه يفهم الأتراك

ماذا يرى مصطفى كمال بعد أن ألغى السلطنة والخلافة ، وأعلن الجمهورية ، وعاد
المعارضين في جبال المشانق وشردتهم في أقصى الأرض ، وفصم علاقته بالشرق الإسلامي
وعول على استنبات المدينة الغربية في بلاده ؟

إنه يرى على الرءوس الطربوش والقلبيق والعامة البيضاء أو الخضراء أو الحمراء
واللبدة الطويلة التي يلبسها الدراويش ، والطاقيه ، والطرطور الذي يلبسه الأكراد .
وكل واحد من هذه الأشياء يشير إلى طائفة معينة ويثير في النفوس التتعصب والبغضاء

ويرى على الابدان الملابس الافرنجية ، والجبة والقطن ، والشروال ، والجلباب ،
والعباءة ، وكل هذه الملابس ألوانها زاهية صارخة . وهي أيضاً تقسم الأتراك الى
طبقات وشيع وتثير تعصباً وعداوة
ويرى في الرءوس ثقافة غربية وأخرى شرقية ، وثالثة تتوسط بين هذا وذاك ،
ورابعة هي الجهل بعينه !

ويرى حيثما استقر التعصب في النفوس مذاهب ليست مما أمر به الله والرسول ،
وطرقاً دينية حديثة على الاسلام : فهذا مولوي ، وذاك بكتاشي ، وأولئك نقشبنديون ..
وهؤلاء لا أدري ماذا مما أبدعته القرون الوسطى ومهد له الجهل والتآخر والجمود
ويرى لرجال الدين « دولة في داخل الدولة » ، ويرى فيهم عدداً عديداً من
لا ينتون إلى الدين بصلة إلا في لبس العامة البيضاء أو الحضراء أو الحمراء
ويرى - كلما أقدم على ضرب من ضروب الاصلاح - حرباً شعواء يعلنها عليه رجال
الدين وتعلنها تلك المذاجر العديدة من أغطية الرءوس والابدان ولباس العقول ومستقر
التعصب ، مع أن الاسلام دين الاصلاح ، دين التقدم ، دين سائر المدنيات
بل انه ليり في كل نموذج من تلك المذاجر « أمة » مستقلة ويرى داخل الحدود
التركية « أمتا » متاخرة : فأهل استانبول والساحل الأوروبي أمة ، وأهل الأناضول
إلى أنقرة أمة ، وأهل ساحل البحر الأسود أمة ، وأهل بلاد الكرد أمة ، وأهل
آطنه وما حولها أمة ، وأهل شرق الأناضول أمة ...
ومصطفى كمال يريد أن يسير فتففف صخور تلك المذاجر في سبيله صماء شباء
ويريد أن يصلح فتنقلب عليه وترعرق سير اصلاحه
ويريد أن يستقر الشعب فتأبى هي إلا أن تثور في كل مناسبة ولأنه الأسباب !

* * *

« كلا .. هذه ليست تركيا التي أعرفها ، وإنما هي تركيا في ثياب السلطنة والخلافة
والمدينة الشرقية الاسلامية .. »

تلك الكلمة يقولها مصطفى كمال وهو جالس في منزله المشرف على انقرة بعد أن
جمع وطرح وضرب وثبت الأعلام الصغيرة هنا وهناك وهضم الموضوع كله هضما
عسكرياً منطقياً

« تركيا التي أعرفها لا تعصب لشيء . الاتراك الذين دفعتهم إلى خط النار في

غالبولي وسقارياهم الاتراك الذين أقاموا - وما يزالون مقيمين - في أواسط آسيا . إنهم كانوا هناك في مراعيمهم ووسط خيولهم وخيامهم يطعون زعيم قبيلتهم طاعة عمياء . وإنهم الآن لم تغير منهم إلا القشور . وهذه القشور سأريلها لأصبح في نظرهم زعيم القبيلة الأكبر »

« وعندما أشرع في إزالة هذه القشور والعود بأبناء وطني إلى طبيعتهم الأولى ، سيظهر دعاة التصب والثورة حاملين أولوية الرجعية .. فأضرب عليهم يد من حديد وأخوه من عالم الوجود ، ثم أعود إلى قومي لاصح من شأنهم بالمنطق آنا وبالحديد والنار أحياناً ، حتى أمهد توعه وأوحد أزياءه وعقائده وثقافته وعقله وأقضى على تلك « الدولة في داخل الدولة » ، ثم أقذف به في تيار الحياة الصاخب ليكافع وحده ويثبت للطبيعة أنه بالبقاء جدير »

حزب الشعب الجمهوري

وضع (زعيم القبيلة الأكبر) أسسه عندما عقد مؤتمر أرضروم وسيواس . وأكمل نصف بنائه بالمجلس الوطني الكبير . ثم أتاه عندما طاف بالمدن والقرى وأسسه وفق مبادئ جديدة تقوم على تعاليم الجمهورية

وهذا الحزب هو تجسيم مادي لفلسفة مصطفى كمال ودستوره في الحياة . فقد وضع أول الأمر نقطة واحدة هي شخصه . ثم شرع يرسم حول هذه النقطة دائرة من النطق وال الحديد والنار ، فنقل الحكم من يد السلطة إلى يد مؤتمر أرضروم وسيواس ، ثم إلى المجلس الوطني الكبير . ولما استقر الحكم في هذا المجلس قطع الجبل الذي يربطه بباب العالي في استانبول بالغاء السلطنة ، ثم الخلافة . ولما خلصت له أمور الدولة أعلن الجمهورية . ولما قاومته المعارضة بذ المجلس الوطني وأسس حزب الشعب الجمهوري الذي شمل جميع أفراد الأمة ، وبذلك جعل حزبه هو الناخب ، وجعل المجلس الوطني هو المنتخب . ولما كانت هيئة الوزارة تنتخب من المجلس الوطني الكبير وكان المجلس ينتخب من حزب الشعب الجمهوري ، فقد أصبح هذا الحزب مشرفا على هيئة الوزارة وعلى شئون الدولة

وهنا يتم مصطفى كمال رسم دائرة الجبار في أربع سنوات اذ يصل إلى حيث

ابتدأ في نقطة مؤتمر أرضروم سنة ١٩١٩ . فماذا يفعل بعد ذلك ؟
إنه يجلس في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديداً جليداً ، ثم يديرها من
جديد - ولكن كما تدار الرحى - فيطعن تنوء العهد القديم ورءوس دعاة التأخر
ويظل يطعن ويطعن حتى تعود الدائرة إلى حيث ابتدأت في أربع سنوات آخر .
فماذا يفعل بعد ذلك ؟

إنه يجلس في مركزها كما كان وحيثما كان حديداً جليداً ، ثم يديرها من جديد
- ولكن لتبني هذه المرة - فيبني ثم يبني ، ويشيد ثم يشيد ، ويصلح ثم يصلح ،
ويعلم ثم يعلم ، حتى تعود الدائرة إلى حيث ابتدأت في أربع سنوات آخر ، فماذا يفعل
بعد ذلك ؟

إنه يجلس في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديداً جليداً . ولكنه لا يديرها
في هذه المرة بل يديرها عوضاً عنه جهاز جبار صاغته يد كمال الذهابية من تجارب
اكتسبها طوال أيام كفاحه الرهيب ، وهذا الجهاز يسمى « الجمهورية التركية » ، وله
من مصادر القوى ستة مصادر : هي الوطنية ، والشعبية ، والجمهورية ، والقومية ،
والثوروية ، والعلمانية

وتم الدورة الرابعة في سنة ١٩٣٥ عقب الاحتلال ببرور عشر سنوات على
الجمهورية التركية

وستتم الدورة الخامسة في عام ١٩٣٩ . والسادسة في عام ١٩٤٣ ، والسابعة في
عام ١٩٤٧ . والثامنة في عام ١٩٥١ . والتاسعة في عام ١٩٥٥ . والعشرة في
عام ١٩٥٩ . وسيقضى كمال نحبه قبل هذا العام أو بعده . سيقضي نحبه وهو في مركز
الدائرة كما كان وحيثما كان حديداً جليداً . وسوف لا يقف الدوران بعد موته فالجهاز
الجبار هو روح كمال الذي لا يموت

الذي الموحد

وحزب الشعب الآن في دورته الثانية . والدائرة التي يجلس كمال في مركزها تدور
كما تدور الرحى - فتطعن التنوء والرؤوس
وتحتها قشرة من مخلفات العهد المنقضى على وشك الدخول في دورة الرحى :

فالطربوش والعامة والقليل و «اللبدة» الطويلة والطاقية والطرطور ، والجبة والقطان والشرواں والجلباب والعباءة ، كل هذه النتوء توشك أن تزول فاما الطربوش فلباس للرأس أخذه السلطان محمود الثاني عن اليونان فثار جنوده وشعبه عندما أرغمه على اتخاذه لباساً لروعتهم . فكيف يثور الأتراك خلعه الآن وقد ثاروا من قبل عند إرغامهم على لبسه وزعموا أنه مظهر من مظاهر النصرانية ؟ وأما العامة فأثر من آثار حاخامتات اليهود . وقد أصبحت بعد ذلك شعاراً للعلماء والأئمة المسلمين . فلتبقى كذلك . أما تلك العائم التي يلبسها كل من هب ودب من الأدعية والنصابين والمشعوذين باسم الدين فما شأنها ؟ تلك العائم يجب أن تدخل تحت الرحى لتطحن . وأما عمامات العلماء والأئمة والمفتين فتبقى شعاراً مقدساً تراه فتحكم بأن حامله شيخ جليل وإمام كبير . وهذا ما يرجوه رجال الدين أنفسهم وأما القلب فيذكرنا بعهود السلاطين وعهد الاتحاديين . فليطعن . . . وأما «اللبدة» الطويلة والطاقية والطرطور فأشكال مضحكه تدعو الى السخرية والزراية . فلتطحن . . .

وأما الجبة والقطان فذكر للعلماء والأئمة والمفتين . فإذا لبسها من لم يكن عالماً أو إماماً أو مفتياً طحته الرحى وأما الشرواں والجلباب والعباءة وما إليها فكاللبدة الطويلة والطاقية والطرطور أشكال مضحكه مزرية ، فلتطحن . .

مصطفى كمال يأمر بتوحيد الرى ، فالقبعة للرأس ، واللباس الافرنجي للبدن ولكن لماذا يختار القبعة ولا يتبع شكلاً جديداً من أشكال أغطية الرءوس ؟ سؤال يجيب عنه هو قائلاً : « ولماذا أبتعد الشكل الجديد ؟ أنا أحارب قشرة التعصب بالقبعة ، ولن يفل الحديد إلا الحديد »

ثم يسأل السائلين بدوره : « ولماذا لبستم أتم البابس الافرنجي منذ أكثر من نصف قرن واللباس الافرنجي من مظاهر النصرانية ؟ ولماذا تعرضون على القبعة واتم أوربيون من الرقبة إلى أخمص القدم ؟ »

* * *

أول سبتمبر سنة ١٩٢٥
 مصطفى كمال ألبس الجنود ورجال البوليس والبحرية القبعة فلبسوها طائرين

لزعيم القبيلة الا كبر . وهاهواذا الان يزور قسطمونى زيارةرسمية وقد لبس القبعة ..
الموظرون يمادرون إلى لبس القبعة بدورهم كما لبسها زعيم القبيلة الأكبر .
والشعب يقف أمام هذا المنظر العجيب مدهوشًا

لابس القبعة مصطفى كمال يقف أمام الجماهير خطيباً ، ويقول :
— اللباس الدولى الذى تلبسه الشعوب المتقدمة يناسبنا تماماً . سنبليس الجورب
والخداة والسروال والقميص والصدرية والحملة ورباط الرقبة . وسنبلبس فوق
رؤوسنا ما تسمونه «القبعة» . وسنبلبس الردبجوت والجاكته والسموكنج والفراك .
وإذا كان فيكم من يعارض في ذلك قلت له في وجهه أنت غبي وجاهل ..

«إننا إذا لبسا ملابس تختلف عن ملابس الغرب ظللنا متأخرین ، لأننا سنظل
في نحوة عنه . انظروا الى العالم التركى والاسلامى : ألا ترون أن العلة فيما تقاسيه الان
هي أننا لم نشكل عقولنا وأرواحنا بما يناسب تطور العالم ؟ بلى .. إن هذا سبب
تأخرنا وما حاق بنا من نكبات . ولو لا أننا غيرنا عقليتنا في المدة الأخيرة ما استطعنا
أن نظرر باستقلالنا ..

«يجب ألا تقف حيث نحن الان ، بل نسير وتطور يوما عن يوم ..
«يجب على الأمة أن تدرك أن المدينة تملك من القوة ما تستطيع به أن تحرق
وتدمى كل ما يقف في سبيلها دون أن يجاريه ! »

وبعد قسطمونى يذهب إلى اينيولو ، ومنها إلى بروسه ثم إلى اسكيشهر ، ثم إلى
قونية ، وفي كل مرحلة يمثل نفس الدور الذى رأيناه في قسطمونى
وفي إحدى هذه المرحلات زراه وسط جمهور عظيم من الشعب فيه لابس القبعة
ولابس العامة ولابس الطربوش ولابس الطرطور الطويل . زراه كالساحر المريد
يطوق الجميع بمعنطيسية نظراته النارية . ونسمعه يتحدث فلا نسمع من الجماهير
إلا الشهيق والزفير ووجيب القلوب . ثم زراه يشير باصبعه إلى أحد هم ويقول :
«صاحبنا هذا الواقف هناك .. ألا ترون الطربوش فوق رأسه ومن تحته شروال
عجب وصدرية صارخة الألوان؟ ما هذا الخلط الذى إذا رأاه أوربي سخر منا واتخذنا
هدفًا لنكاته ؟ ! »

فيضحك الناس . وينجذل صاحبنا من نفسه ومن زيه ، وزراه بعد بعض ساعات
لابس القبعة واللباس الافرنجى ..

ويعد لابس القبعة إلى انقرة فيجد القبعة على رءوس معظم مستقبليه في المحطة ..
وبعد أيام يصدر مجلس الوزراء قراراً بفرض لبس القبعة على سائر الموظفين
ثم تصدر بلدية استانبول مثل هذا القرار لموظفيها
وتقر أيلم وأسابيع نرى فيها القبعة على سائر الرءوس بعد رءوس الموظفين :
فالطلبة ، والمحامون ، والأطباء والمهندسوں والمدرسون ، والعمالون ، والفلاحون ،
كل أولئك رجعوا بالقبعة وبندوا الطربوش وسائر أغطية الرءوس
وعندما يحار الآراك في كيفية الصلاة بالقبعة يصدر مفتى استانبول فتوى يقول
بأن خلع القبعة علامة من علامات الاحتراز ، فلم لا تخلع أمم المولى سبحانه وتعالى
وهو أولى بالاحترام والاجلال ؟ ثم يصدر عميد كلية العلوم الشرعية في أنقرة منشوراً
عاما يخرب فيه المسلمين بين خلع القبعة ولبسها في أثناء الصلاة
وأما العامة فتقصر على المفتين والعلماء وأئمة المساجد المعترف بهم من الحكومة .
فأما المؤذنون وحراس المساجد وخدمها وخدام المقابر والاضرحة وغاسلو الموتى
والدراويس فقد لبسوا القبعة

يبدو لنا من ذلك أن القبعة لم تفرض إلا على موظفي الحكومة . أما سائر أفراد
الشعب فقد لبسوها راغبين فيها لا مرغمين بعد أن لبسها « زعيم القبيلة الأكبر »
وأخيراً يقدم رفيق باك نائب قونية في المجلس الوطني مشروع عقاباً يقضى بفرض
القبعة على الترك - بعد أن لبسها الآراك جائعاً ، ومن لم يلبسها منهم سار حاسراً الرأس -
فيقف الجنرال نور الدين باشا أحد أبطال حرب الاستقلال في ٢٦ نوفمبر ويعارض
في الشروع بشدة ، ويقدم للمجلس تقريراً مقتضاه أن قانون القبعة يخالف نص المادة
١٠٣ من الدستور التي تقول بوجوب احترام الحرية الشخصية . . .

وبعد مناقشات طويلة يوافق المجلس على القانون بأغلبية الآراء ، إلا رأى
نور الدين باشا ورأى نائب يدعى احسان بك
وتقر أيلم وأسابيع تصل فيها انباء معارضة نور الدين باشا لقانون القبعة إلى ولايات
الأناضول الشرقية : سيواس وارضروم ومرعش وريزه . فتخرج حشرات الرجعية
من أوکارها ، ويحمل بعض المتهوسيين من الدراويس العلم الأخضر - علم النبوة في
زعمهم ، ألا ساء ما يزعمون ! - وينادون بسقوط حكومة انقرة الكافرة !
وتنقضى بضعة أسابيع تسفك فيها الدماء وينادي الدراويس بالثورة . .

وفي انقرة ، في المنزل المشرف على العاصمة من على :
مصطفي كمال جالس في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديدا جليدا
والرحي تدور . فتطحن التوء والرموس .. !

الويل للدراوיש !

كتلة متحركة من القذارة والجرائم والأوبئة تسير في أسمال بالية تتألف من
مائت الرفع وتلبس عمامة خضراء : هاك أحد الدراوיש ..

وكتلة ثانية من القذارة والجرائم والأوبئة تسير نصف عارية ، وتصدر عنها
أصوات حيوانية لا معنى لها تطلق خلال الخطأ واللعاب السعال : وهذا درويش
متصل بالملكون الأعلى ! ..

وكتلة ثالثة من الشحم واللحم والشعر الغزير الفاحم ، تراها قرى الغباء مجسماً
والشهوة جامحة متبردة ، وترابها الجدران الأربع في عالم خسيس من الاتم والفجور
والحيوانية الوضيعة : وهذا درويش من طائفة المولويين أو البكتاشيين ..

وكتلة رابعة من الجهل والبغاء والتتعصب تجلس على مثل عرش الملوك وتبيع
وتشرى في سوق الذمم والأعراض وتتصرف في قنطرة من الذهب والفضة ،
ولا يخلو لها الصيد إلا في الماء العكر ولا الحركة إلا في الظلام : تتسلط على عقول
البسطاء السنج بورق وجبر وطلاسم لا معنى لها تسمى « أحجية » ، وسيوف
خشبية خضراء تسمى « سيوف الاسلام » ، وأعلام خضراء كتب فوقها « لا إله
إلا الله محمد رسول الله » تسمى « أعلام النبي » ، وهذه الأعلام لا ترفع إلا عندما
يقوم الخائنون بحركة رجعية ، أو ينشر جواسيس الأعداء الذهب ذات اليمين وذات
الشمال : وهذا هو شيخ الدراوיש ..

وإنك لتسير في أجمل بقاع تركيا ، فترى قصراً شامخاً تحيط به حدائق غناء
وكرم تتدلى مدي البصر ، فتصعد اليه فتراه محاطاً بالأسوار محكم الرتاج كأنه قلعة
من قلاع القرون الوسطى ، فإذا أتيح لك الدخول اليه رأيت عالماً بغيضاً من
الأباحية تفصله الأسوار الضخمة عن عالم الحدود والشرائع والأخلاق :
فهذا الكرم تعصر منه انحر المعقة التي يشربها ساداتنا الدراوיש - انحر الاهمية

التي لا تناح للانسانية أسباب الملكوت الأعلى إلا بها . .
و تلك الكؤوس الفضية والذهبية في ثمالاتها سر الوجود . .
وهذه النار التي يقفون أمامها صامتين خاسعين ما هي إن لم تكن من آثار الوثنية
الفارسية ؟ !

و أولئك الغلمان المرد الحسان ما شأنهم في تكية الدراويش ؟
والنساء ما شأنهن في هذا العالم الاباحي ووسط تلك الكتل الشحمية اللحمية
الشهوانية ؟

و هل يصلى هؤلاء الدراويش ؟

و هل يصومون ؟

و هل يذكرون ؟

و هل يحجون ؟

و ذكر الله ما علاقته بالرقص على هتفات الناي ونقرات الدف والقانون ؟

و لهذا الدرويش الذي يدور على رجله « كالمكوك » : ما خطبه ؟

والله سبحانه وتعالى ، هل يرضى عن ذكر أولئك الراقصين العابثين ؟

و تلك الألوف المؤلفة من الدراويش : ما فائدتها ؟ وما رسالتها في الحياة ؟ وما
علاقتها بالاسلام ؟ وكيف ظلت قائمة طوال تلك القرون الستة ؟ وكيف احتكرت
أجمل بقاع تركيا وأجودها ثماراً وأخصبها أرضاً ؟

وانك لترى للدراويش أسماء لا عداد لها : فهذا رفاعي وذاك قدرى ، والثالث
نقشبندى ، والرابع خلوتى ، والخامس سعدى ، والسادس مولوى ، والسابع
بكتاشى . .

ولكل من هؤلاء تكايا ، وأوقاف ، وأموال مدخرة ، وحقول واسعة ،
ومشاريع ، وأتباع ، وأنصار ، وخدم ، ومحاسب . .

و كل واحد من هؤلاء لا يؤدى فرائض الدين إلا ماما ، ويرتكب الحرمات دواماً
وله كل الحقوق ، وليس عليه شيء من الواجبات ، وكل عمله في الحياة إلا يعلم ،
ورسالته هي نشر الخرافات في دنيا القرن العشرين ، ومد اليد الشريفة للبركة والتقبيل
هؤلاء الدراويش كانوا خير عون لوحيد الدين وخفاشه الأسود عندما أصدروا
منشورها اللعين الذى أباحا فيه دم كل وأتباعه ، فقد راحوا يذيعونه في طول البلاد

وعرضها وكأنهم ينشرون دين الله - قاتلهم الله !
 ومن أتباع هؤلاء الدراويش تألف « الجيش الأخضر » الذي رأيناه في أول
 حرب الاستقلال
 وفي هذه التكايا - أوكار الرجعية وأعشاش المؤامرات والخيانة - حيكت خيوط
 من الدسائس والمؤامرات ذاق الوطنيون منها الأمريرن
 وبضعة رجال من شيوخ أولئك الدراويش نفحهم الشيخ سعيد بعض ما جاد به
 عليه الانجليز خرجنوا من تكايائهم يحملون « علم النبوة الأخضر » وينادون بسقوط
 الكفرة الملاحدة
 وهؤلاء هم الذين قاموا يناهضون قانون القبة والزى الافرنجى ...

الآن يجلس الرجل الحديد الجليد في مركز الدائرة التي تدور كما تدور الرحى
 وبعد أيام تطعن التكايا وما حوله من كسل وغباء وشح ولام وشهوة وخرافة
 ودس وخيانة !

ثم تسمع الرجل الحديد الجليد يقول : « اذهبى في عداد الذاهبين ، فالجمهورية
 التركية لا تقوم على الخرافات والدجل والشعوذة ، ولكن على العلوم والفنون ، على
 المدينة الحديثة »

الدراويش يحاولون إثارة الرأى العام على الحكومة ، فلا يثور الرأى العام ،
 فقد عرف « زعيم القبيلة الأكبر » وآمن برسالته

فاطمة ترقص !

رآها « زعيم القبيلة الأكبر » في مراعى آسيا تهمن من النجاد إلى الوهاد وتتجدد
 عن الوهاد إلى النجاد ، وتركب الخيل وتقطع ثديها إذا ما بلغت سن اليأس واقطع
 عنها الحيض لتشعر وهي في ميادين القتال بأنها « رجل ». رآها في البيت سيدة
 مطاعة تأمر وتنهى وتعكم في شئون الرجل والطفل . ورأى لها من الحقوق وعاليها
 من الواجبات ما للرجل وما عليه

ثم رآها في حرب الاستقلال إلى جنب الرجل تحمل له المؤونة والذخيرة ، وتضمد

جراحه و تقوم بأعمال الحرش والغرس والصاد في غيابه عن القرية . بل انه رآها
حاربة ، تحمل البنادق والسيف والخربة والخنجر ، و تفتكت باليونانيين بروعه الزجاج
المحطم ، و تبلغ في الجيش رتبة البكاشية
لم يدعها أحد الى التطوع قط ، فقد ازالت معالم الحرب غشاوة كانت ترين على
حياتها ، فانطلقت « فاطمة » بنت مراعي آسيا و رئيسة الخيول والمهرة والكافح
تستعيد ماضيها العتيق وتلتقي حول راية الزعيم كمال كما التفت جداتها حول راية
الزعيم ارطغرول

فكيف يزعمون أن فاطمة كانت في عالم الحرير اسيرة ذليلة مكسورة الجناح ؟
إنها لم تدخل عالم الحرير قط ، وإنما دخلته الجواري الشركسيات واليونانيات وكل من
اشتراهن الخليفة وحاشيته بالمال

و كيف يقولون إنها كانت محجبة ثم أمعنت في السفور بمجرد اعلان الجمهورية ؟
إنها لم تعرف الحجاب قط منذ انحدرت من مرتفعات آسيا الى الأناضول
ولماذا يعجبون اذا منحت الحرية المطلقة و نالت حق الانتخاب قبل أن تناهه معظم
نساء أوروبا ، و ساهمت في الوظائف والاعمال التي كانت حكرا للرجل ؟ إنها كانت
تسعى بكل هذه الحقوق في نجاح آسيا و ودادها . وكل ما جد في الأمر هو أن زعيم
القبيلة كمال تذكر هذه الحقوق فتشبه بالزعيم ارطغرول ولم يقف حجر عثرة في
سبيل فاطمة

كل ما يخيل للناس أنه جديد في حياة فاطمة قديم موغل في القدم . ولعل الشيء
الوحيد الذي يتخذ طابع الجدة هو أن الدائرة تدور كما تدور الريح فتطحن من
قشور العهد البائد ما يحول دون ظهور الباب التركي الأصيل

الريح تطحن الحجاب الذي يستر وجوه أقلية الفواطم ، و تطحن من تقاليد
الحجاب مالم تألفه فاطمة بنت مراعي آسيا ، ومن عالم الحرير ما يندى له جبين الإنسانية
خجلا ، ومن جمود العهد البائد ما يعطّل نصف الجسم التركي ويسل حركته ، حتى
إذا ماتت عملية الطحن برزت فاطمة الى ميدان العمل ، واحتلت في حياة الترك مكانها
القديم ولبس القبعة اسوة بالزعيم

وكمال زعيم القبيلة الأكبر رجل عول على هدم صروح العهد البائد والقضاء على
مخلفاته في الحياة التركية الاجتماعية فهدم وقضى على سائر المخلفات . ثم رأى ان يعن

في الثورة الاجتماعية الكبرى ويقفز بها قفزات جنونية تدفعها إلى الامام ، حتى إذا ما هدأت ثأرة النفوس عادت القهرى قليلا واستقرت في الوسط ، وظلت كذلك أبداً الآبدين

لذلك نراه يدفع بفاطمة إلى عالم الرقص الجنوبي - فترقص فاطمة ما شاءت وشاء لها الزعيم أن ترقص ، وتحاصر الرجل على نغمات « التانجو » و « الفوكس تروت » كما خاصرته على نقرات الطبل وهتفات الناي والزمار من قبل ، وإنك لترى عدداً من الفواطم يتربden في مخاض الضباط الترك في حفلة راقصة أقامها الزعيم في منزله الشرف على انفرة ، فيدينو منهـنـ الزعيم ويـخـاطـبـ الضـابـطـ على مسمـعـ منهـنـ بصـوتـ يتـهـجـ من فـرـطـ الغـضـبـ : « هذا أمر عـسـكريـ وليس مجردـ لهـوـ أوـ دـعـابـةـ . تـفـرقـواـ فيـ صـالـةـ الرـقـصـ وـخـاصـرـواـ منـ شـئـمـ منـ النـسـاءـ .. هـيـاـ .. إـلـىـ الـأـمـامـ .. مـارـشـ ! » وـسـرـعـانـ ماـ تـلـبـيـ بـقـيـةـ الفـواـطـمـ أـمـرـ الزـعـيمـ ..

* * *

وبعد بضع سنوات :

الثورة الاجتماعية التركية قفزت إلى الأمام قفزات جنونية . ثم تراجعت إلى الوراء قليلاً فاستقرت حيث شاء الزعيم ، وحيث تتخذ فاطمة في تركيا الجديدة مكاناً جديداً القديم في الخيام التطايير فوق مراعي آسيا

* * *

وبعد احتلال فاطمة مكانها القديم :

« القتال أولاً . وبعد أن تضع الحرب أوزارها مارسوا في عالم السلم حياة السلم : فالبسوا جيداً ، وكلوا جيداً ، وثقفوا عقولكم ثقافة حرة ، ومارسوا من الاعمال أدومها واذهبوا في أوقات الفراغ إلى المتحف ودور السينما والتمثيل والرقص ، واطربوا ما شاء لكم الطلب »

تلك رسالة الزعيم كمال ورسالة الجمهورية

القتال أولاً . ثم العمل الحر ، والثقافة الحرة ، واللهو البريء الحر

وكل شيء الآن على تقدير ما كان في العهد البائد :

ففي عهد السلطنة والخلافة لم يكن ثمة من الفنون أو النشاط الفنى إلا أقله . وهذا القليل كان حكرًا ل الخليفة المسلمين وقصور الخليفة المسلمين وباشوات الخليفة المسلمين

أما الآن فهذه القصور تصبح متاحف عامة أدخلها أنا وتدخلها أنت ويدخلها فلاح الأنضول ليغذى عقله وروحه بما أبدع الفنان من روائع الآيات الفنية والرحي تطحن من قيود العهد البائد ما كان يشل الحركة الفنية . فإذا ما فرغت من طحنها رأينا عالماً جديداً فيه فن حر وثقافة فنية حرة : فالتماثيل تقام في استانبول وانقرة وغيرها من كبريات العواصم . واللوحات الفنية تراها في كل مكان . والسينما يارسها الأتراك ويتدوّقونها . والتمثيل يبعث من جديد . وفاطمة تظهر على الشاشة البيضاء وعلى خشبة المسرح . والاناشيد الوطنية تلحن . وقيود الفن الشرقي يتخطاها التركي الذي لا يعرف التعصب . وثمة أشعة من الفن الغربي تشرق على الفن التركي فتتألف من الفنان ذات فنية مستقلة رائعة في جمالها ، رائعة فيما توقعه فيك من الروح

الفتي الوثاب

الذئب أمام السبورة

ثم ان الحروف العربية - بعد - صعبة معقدة . وقراءتها قراءة صحيحة تستلزم الااطلاط بقواعد اللغة احاطة لا تباح لكل متعلم . ولعلها في اللغة العربية أسهل منها في اللغة التركية حيث تستحيل القراءة والكتابة بها قبل ثلاث سنوات على اقل تقدير وهناك حروف عربية كانت تستعمل في لغة الاتراك استعمالات عجيبة : حرف الكاف مثلا ينطق (كafa) إذا كتب بدون ملحقات ، وينطق (نونا) إذا وضعت فوقه نقط ثلاثة وينطق (كافا) معطشة إذا وضعت فوقه شرطتان ..
وعند جمع الحروف في الطباعة تجد حرف (الفاء) مثلا يكتب (ف) في أول الكلام ، (ف) في وسط الكلام ، و (ف) في آخر الكلام ..

ف لماذا تتحمل القبيلة التركية كل هذا التعقيد من حروف ليست من تراث آبائهم
الاولين في مراعي آسيا ؟

ثم ان معظم الشعوب التركية الاسيوية نبذت الحروف العربية منذ اعوام واستبدلت
بها الحروف اللاتينية ، فلماذا لا تكون تركيا مثلها ؟ ولماذا لا تمهد تركيا - باتخاذ الحروف
اللاتينية - لذيع الثقافة التركية وامتدادها من مياه الدردنيل الى مياه المحيط الهادئ ؟
« زعيم القبيلة الأكبر » يقلب الأمر على وجهه أمام أفراد قبيلته فيرون معه أن
الغم في الحروف الجديدة ، وأن الغرم كله كان في الحروف القدية

وهو يجلس في منزله المشرف على انقرة وأمامه مائدة عليها كتب وتقارير كتبها نفر
من الاخصائيين في شئون الحروف الجديدة ، فيدرسها ويغير فيها ويبدل كما كان يفعل
وهو جالس إلى خريطة تركيا الكبيرة وقد تراشتقت فوقها الأعلام الصغيرة
ويظل في عزلته هذه أياما يعد فيها خطة الهجوم ، ثم يظهر بغتة ، ويسافر إلى
استانبول في صيف سنة ١٩٢٨ - لأول مرة بعد أن غادرها هو ورأت عقب
الاحتلال المشؤوم ..

وفي استانبول يحيى الاتراك زعيمهم أروع تحية ، ويستقبلونه بواكب تاريخية
تضاءل أمامها مواكب رأفت التي شهدناها من قبل ، ويجتمع سكان العاصمة حول
كامل الذي انقذ الوطن ورفعه إلى مصاف الدول الكبرى هاتفين مهليين ، فيمر
خلال هذه المواكب وتحت أقواس النصر باسم مسلما على الناس سعيداً بما قدمت يداه

* * *

قصر « ضوله باغجه » الجليل . مثوى سلاطين آل عثمان
القاعة الكبرى لا تزال كما كانت في عهد عبد الحميد . وذهب انقرة واقف أمام
الناس كما وقف عبد الحميد ووحيد الدين ورشاد وعبد الحميد من قبل
وأمام الذئب سبورة سوداء ، وطبشير ، وطلasse ..

والقاعة تزخر بمئات من المدعويين . فيهم الشاعر والأديب والعالم والصحافي والنائب
والتاجر والصانع والزارع والمعلم والطيب والمحامي والقاضي ..

الجميع صامتون كأن على رءوسهم الطير في انتظار أوامر الزعيم
وسرعان ما يتكلم الزعيم . فيعلن في خطبة وجينة نبذ الحروف العربية واستبدالها
بالحروف اللاتينية ، ثم يقف أمام السبورة ويسرع في كتابة الحروف الجديدة بخط

واضح جميل ، وينطق بكل حرف عقب كتابته بصوت جهوري رنان
وبعد بضع دقائق يتم «درسه» الأول ، ويشرع في تطبيقه على الحاضرين ، فيدعوه
أناساً منهم حيثاً اتفق ، ويطلب منهم كتابة اسمائهم بالحروف الجديدة ، فيكتبونها
بسرعة !

عجباً .. ان هذا الدرس كان يستغرق أياماً في عهد الحروف العربية .. والحاضرون
يبعث فيهم الزعيم من روحه فيتسمون بالحروف اللاتينية ، ويصفقون ويهتفون ..
وفي الايام التالية :

الزعيم في كل مكان في العاصمة . فهو في القصر يعلم الناس . وهو في الطريق
يعلم الناس ، وهو في المساجد والقهوات ودور الاله وصالات الرقص يعلم الناس
هؤلا يمر في طريقه بجماعة من الحمالين أو العمال ، فيدعوه أحدهم ويسائله :
— هل تعلمت الحروف الجديدة يا صاح ؟
فيجيبه الحمال أو العامل سلباً ..

فيخرج ورقة من جيده وقلما رصاصاً ويظل يعلمه الحروف اللاتينية حتى يجيدها
في بضع دقائق ..
هوذا يدخل احدى الصالات باسم الشغرواف النشاط فلا يرقص مع الراقصين
بل يصبح في وسط الصالة :
— قفوا .. ! كفاككم رقصاً ..

فيقف العزف ويحمد الراقصون في أماكنهم . فيحمل اليهم سبورته السوداء
وطباشيره ويلقي عليهم «درسه» المعهود ، فيتعلمون الحروف الجديدة ، ثم يعاودون
الرقص من جديد !

ثم يزور منطقة «جناق قلعة» حيث دحر الانجليز ، ويرفع سبورته السوداء
حيث نصب مدافعته من قبل ، ويظل يعلم الناس حتى يقرأوا ويكتبوا في بضعة اسابيع .
وانك لترأه ثمة والابتسامة لا تكاد تغادر شفتيه ، فتنسى ذئب انقرة الى حين وتطبع
في صفحة ذهنه صورة «المعلم الأكبر»

أنه يتسم .. ويضحك .. ويقهقه كلارأى أحد الفلاحين يتعرّف في كتابة الحروف
الجديدة . انه «يقفش» للناس «قفشات» ظريفة ، فيعجب الحاضرون بديهته
الحاضرة وروحه الخفيفة . وفي هذا «القفش» والضحك يساهم الناس ، ويتعملون !

وفي نوفمبر سنة ١٩٢٨ يخطب في المجلس الوطني الكبير فيحضر الناس على تعلم الحروف اللاتينية ، ويقول إنها السبيل الوحيد إلى القفز في طريق الثقافة العصرية ثم يصدر قانون الحروف الجديدة فتتقرض الحروف العربية .. وكل شيء يطبع بالحروف اللاتينية . والصحف تصدر بها . والناس بها يتراسلون . والموظفوون الذين لا يجيدونها من وظائفهم يفصلون . وفلاح أتقنها يتعلّمها في يوم ، ويقرأ بها ويكتب في بضعة أيام !

وهي تصبح « مودة » العصر . والترك يهافتون عليها في شوق إلى العلم ولهمقة إلى الثقافة . وحتى الأجانب يتعلّمونها ويدرسون بها اللغة التركية ليكتبوا بها عرائضهم وحساباتهم الجارية

كان أقل من ١٠ % يقرأون ويكتبون في عهد الحروف القيمة . فأصبح أكثر من ٩٠ % من الترك الآن يقرأون ويكتبون !

وكان الخاصة من الناس يتعلّمون . فأصبح الناس كلهم يتعلّمون الآن « بالجملة » ، فقد دفعهم الرعيم إلى المدارس « بالجملة »

دفعهم بأمر عسكري لبوه في حماس . فهل يلام أحد بعد ذلك إذا سماه « رئيس أركان حرب التعليم والثقافة » ؟ !

* * *

وبعد ذلك كل شيء يجب أن يكون تركياً : فالكلمات العربية والفارسية المندسة في لغة الترك يجب أن تستبعد ، واللغة التركية يجب أن تعود إلى عهد القبيلة والقرآن الكريم يترجم إلى التركية ليفهمه الناس والأذان وخطب الجمعة تتلى بالتركية والشركات الأجنبية يجب أن تكون تركية الصبغة ، وأن توظف الاتراك ، وأن تكتب حساباتها بلغة الترك ، وإلا فالطرد !

والمحامون والطهاء والمعلّمون والمهندسوں وكل ذي حرفة يجب أن يكون تركياً والضرائب الفادحة تفرض على كل ما ليس تركياً من الكماليات والضروريات والتقويم الجريجوري يحل محل العربي والساعات العربية تحمل ملهاً آخرها الأفرنجية

وفي يوم العطلة الرسمية يجب أن تغلق البنوك والشركات والمتأخر ، فإذا شاء الأجانب أن يحتفظوا بأيام أخرى لعطتهم بعد ذلك فلهم ما يشاءون ، ولكن بعد احترام عطلة البلاد الرسمية !

والمدارس الأجنبية يجب أن تمحو معلم الدين المسيحي من برامجها . وأن توظف نسبة محسوسة من المدرسين الترك . وأن تعلم اللغة التركية كلغة أساسية ، والتاريخ والجغرافية التركية ومعظم المواد الدراسية باللغة التركية ..

وبعض المدارس تحاول التخلص من يد الترك الحديدية ، فيصل نظارها إليها في الصباح فيجدونها مغلقة ومحتومة بالشمع الأحمر ، فالزعيم جاد لا يهزل ! ولا تنقضي بضعة أشهر حتى تتبرم معظم المدارس الأجنبية باليد الحديدية ، فتشد الرجال إلى بلادها غير مأسوف عليها ، وسرعان ما تختل المدارس التركية أماكنها

* * *

وبعد بضع سنوات :
كل شيء أصبح تركياً ، حتى الأسماء !
الزعيم يسمى الآن « كمال أتاتورك » *
ورئيس وزرائه يسمى « عصمت إينونو »
وزعير خارجيته يسمى « رشدي آراس »
وأفراد قبيلته يسمون « كوجاق » و « كورخان » وما أشبه من الأسماء
التركية القديمة

والمرأة التركية تسمى « بابان فلانة » بدل « فلانة هانم »
والرجل يسمى « باي فلان » بدل « فلان افندى »
والألقاب كلها تلغى : فلا « باشا » ، ولا « بك » ولا « غازي » ...

* * *

وتركيا الجديدة تقوم على أنقاض الماضي المنقرض فتية حية
وكل شيء فيها يتم بما يشبه المعجزات ، ولا عجب فالزعيم يأمر ، والقبيلة تطيع !

* كان اسمه مصطفى . وأطلق عليه اسم « مصطفى كمال » أحد مدرسيه في مدرسة سلانيك الحرية . أما الآن فقد اقتصر على كلمة كمال - ومعناها بالتركية « القلعة » وأضاف إليها لقب « أتاتورك » - وهي الكلمة تركية معناها « أبو الأتراك »

وأنقرة : القرية الحقيرة التي شرع كمال يؤمن فيها جمهوريته ، والتي كانت عبارة عن بعض أكواخ صغيرة ومنازل حجرية منفردة يشرف عليها منزل الزعيم من على ، والتي كانت تحيط بها المستنقعات وتسمم هواءها الأوبئة ، والتي تحيط بها المراعى . . . أنقرة هذه أصبحت عاصمة عظيمة يحقق للترك أن يفتخروا ببنائها الضخمة وميادينها الجميلة وتماثيلها ومدارسها ومستشفياتها ومصارفها دور وزاراتها ومعاهدها . . . ولطالما نصح المهندسون والفنيون لـ كمال بنذر هذه القرية الموبوءة لاستحالة تحويلها إلى عاصمة كبيرة ، فلم يعبأ بهم كمال وأمر فردمت المستنقعات ، وأمر فطهر الجو من الجراثيم والأوبئة ، وأمر فزرعت الأشجار والحدائق ، وهنا أكد الزراعيون استحالة نمو هذه الاشجار ، ولكنها نمت – وما زالت تنمو – وإنك لترى أنقرة الآن تكتنفها أشجار باستهانة !

وفي أول الأمر رفض سفراء الدول الأجنبية أن ينتقلوا إلى العاصمة الجديدة ، وأنلحو في ضرورة البقاء في استانبول ، فأبى الزعيم إلا أن يقيموا في العاصمة ، شاءوها بعد ترد واحتجاج ، وما زالوا فيها مقيمين . . .

القوانين الجديدة

ليس الانقلاب الذي أوجده الزعيم ثورة على القديم وحسب ، ولا هدما وحسب ، بل هو خلق جديد وبناء والزعيم يود أن تكون الرابطة التي تشمل الاتراك هي « القومية التركية » لا الجامعة الدينية أو المذهبية والآن وقد غير وبدل ، وهدم وبنى ، وجعل كل شيء تركياً ، بقى عليه أن يوحد القوانين بحيث تكون صورة مجسمة لحاجات العصر ومشاكله التي تتغير وتزداد تعقداً في كل يوم

والزعيم لا يؤمن ببقاء شيء واحد على حاله . ونظرته إلى الحياة نظرة عملية حسابية . وهو لا يهاب التعرض لقدس ما في الحياة بالتغيير والتبديل . لذلك نراه الآن متحفزاً لوثبة سوف تقلب قوانين البلاد رأساً على عقب ، ثم توحدها في شكل قانون واحد يجمع ما بين القوانين الاوربية وحاجات الترك

وللزعيم أنصار خارق ذكاؤهم حديدية ارادتهم . وهو الآن يأمرهم بالاستعداد للانقلاب المنتظر ، فيستعدون ، ثم يأمرهم باعداد القوانين الجديدة ، فيعدون قانونا مدنياً مقتبساً من القانون المدني السويسري ويطرحونه أمامه ، فيعدل فيه قليلا ويطرحه على المجلس الوطني الكبير ، فيقبله المجلس في ابريل سنة ١٩٢٦ . ثم يعدون قانونا جنائياً مقتبساً من القانون الجنائي الايطالي ، فيعيد اليه عقوبة الاعدام ويطرحه على المجلس ، فيقرره في أول يوليه سنة ١٩٢٦ . ثم يعدون قانونا تجاريا هو مزيج من القوانين التجارية الالمانية والفرنسية والايطالية ، فيوافق عليه المجلس في ٤ اكتوبر سنة ١٩٢٦

وبذلك تصبح القوانين التركية خلاصة باهرة لاحسن القوانين العالمية ، وصورة حية للمدينة الاوربية ، مدينة القرن العشرين
بل إن القوانين التركية تصبح أوفي وأرقى من قانون أية دولة أخرى ، لأنها خلاصة سائر القوانين ، ولأن فيها من كل قانون أحسن

وبذلك تزول الى الابد فوضى القوانين القديمة ، ويزول القانون الشرعي والمحاكم الشرعية ، ويزول شبح الامتيازات والمحاكم المختلطة والقضائية والمدنية ، فالأجانب الذين كانوا يرفضون التقاضي أمام المحاكم التركية الشرعية ، أصبحوا الآن أمام محاكم قوانينها خير من قوانين بلادهم ، فكيف يرفضون التقاضي فيها ، وكيف يستهجنونها بعد الآن ؟

يعجبني والله هذا الرعيم ! ..

فهو لم يشفع على القوانين القديمة ولم يعمد الى تعديلها أو ترميمها ، بل طخها وأقام على انقضائها القوانين الاوربية . ولو أنه لم يفعل ذلك ما اطمأن الاجانب قط الى الغاء الامتيازات في تركيا

ثم انه - وهو المدام البانى - يضرب للاتراك مثلا جديدا في وجوب التحرر من القديم النخر جملة ، واعتنق كل ما هو جديد صالح دون التفكير في التعديل أو الترميم أو الترقيع . وهذا الروح المدام البانى هو الذي أتاح لتركيا الجديدة هذا القفز الجبار في عالم المدينة الحديثة

* * *

وفي سنة ١٩٢٧ نرى الرعيم على منبر الخطابة ستة أيام متواصلة ألقى خلالها خطبة

واحدة ! وهذه الخطبة هي التاريخ المفصل للحركة الوطنية التركية في هذه الخطبة نسمع الرعيم يتحدث عن مسألة الدين ، ونراه يصف حدثا جرى بينه وبين أحد الصحافيين في « ازميت » ، اذ يقول له الصحافي :

— ماذا سيكون دين الدولة الرسمي ؟

فيقول كمال :

— يوجد دين ياسيدى هو الدين الاسلامي

ثم يردف ذلك بقوله :

— والدين الاسلامي يضمن حرية الفكر ..

فيسأله الصحافي :

— هل يفهم من ذلك أن الحكومة ستدين بدين من الاديان ؟

فيجيبه كمال :

— لا أدرى هل ستدين أم لا تدين ..

ثم يخرج كمال من هذا الحديث الى مسألة الدين والدولة ، ويشير إلى مادتين في الدستور التركي تنص إحداهما - وهي المادة الثانية « على أن الاسلام هو الدين الرسمي للدولة التركية ، واللغة التركية هي لغتها الرسمية ، وانقرة العاصمة هي مقرها » ، وتنص الأخرى - وهي المادة السادسة والعشرون - على أن « تنفيذ الأحكام الشرعية » من واجبات المجلس الوطني الكبير

فيقول : « هاتان المادتان لا تتفقان مع شخصية الدولة التركية الحديثة وادارتها الجمهورية العصرية ، ولم نر بأى في بقائهما إذ ذاك . على أن الأمة يجب أن تقطع هذه الزوائد في أول فرصة مواتية ! »

ولا يكاد ينقضى عام واحد حتى تزول جملة « الاسلام هو الدين الرسمي للدولة التركية » من المادة الثانية ، وحتى ترفع جملة « تنفيذ الأحكام الشرعية » من المادة السادسة والعشرين !

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يقسم النواب « بشرفهم » بدل قولهم « والله » ، وكذلك يفعل رئيس الجمهورية في قسمه

أما الأوقاف الدينية فقد أصبحت « وقفًا مليا » توزع الحكومة ريعه على الجماعات الخيرية والبلديات والمستشفيات ، وكان من قبل يوزع على التكايا والدراوיש المثلين

المرتكبين الذين يرقصون على ضرب الدفوف ويدورون على أعقابهم كما يدور
« المكوك » !

* * *

وإذا سألتني عن رأي في هذا الانقلاب العظيم ، قلت لك إنه خير ما فعل كمال
لزعيم ، فالحكومة العلمانية تقضى على آخر مظاهر من مظاهر التصب الدينى الذى
كانت أوربا ترفع لواءه في وجه الاتراك كلما حاولوا النهوض والتقدم . وكلمة « علمانى »
لا تؤدى معنى « لا ديني » ، بل تعنى أن الحكومة التركية لا تؤثر دينا من الاديان
على غيره . أما الشعب التركى فله دينه الاسلامى ، وللأقليات أديانها الأخرى . والجميع
يعيشون في سلام ووئام تظله حكومة متساحة . والمساجد والكنائس عامرة والحمد لله
بالمصلين المتبرجين . وقد شهدت ذلك عندما كنت في تركيا وايقنت أن تديننا نحن
لا يكاد يذكر إلى جانب تدين الاتراك . وشهد بذلك كل من زاروا تركيا من أنصار
الجمهورية وأعدائها

القلم والمهند

« أيها المعلمون !

« سيكون الجيل القادم أثراً من آثاركم الجليلة . وعلى قدر مهاراتكم وتضحياتكم
سيكون هذا الاثر .. ان الجمهورية تطلب رجالاً قادرين هم خلاصة الإنسانية فكراً
وعلماً وجسماً .. وهذا الذى تطلبه الجمهورية في أيديكم .. ان المعلمين - والمعلمين
وحسب - هم الذين ينهضون بالأمم .. فالى الامام .. الى الامام .. ودائماً الى
الامام .. ! »

تلك الكلمة الزعيم الذى سيناه من قبل « رئيس اركان حرب العلم والثقافة »
وعلى هذا النط يسير التعليم في تركيا بالجملة
والشباب التركى المتعلّم يصبح صورة حية لتركيا الجديدة الوثابة ، وكثيراً ما كنت
أقضى معه أياماً متواصلات أقبله على وجوهه فلا أرى الا الذكاء والعلم والتأهّب للحرب .
 فهو يحمل القلم في شهور الدراسة ، والسيف والبندقية والمسدس والمدفع في العطلة
الصيفية

حدثني أحدهم ، قال :

« لا تكاد تنتهي أيام الدراسة حتى يصدر علينا الأمر بالتوجه إلى العسكر . فنذهب إليه حيث نلبس ثياب الجنود ونشرع في الترين على إطلاق الرصاص « وحياتنا في المعسكر حياة الجندي المتأهب للقتال . نقوم مع الشمس على هفافات البورى ، وينام في الليل فريق منا ويحرس النائبين فريق . وفي كل يوم تلقى علينا محاضرات في أصول الحرب الحديثة . في الحرب البرية والبحرية ، والجوية .. في البنادق ، والمسدسات ، والمدافع ، والسيوف ، والخيول ، وعربات الحرب ، والتانكس ، والغازات السامة ، والغازات الحرقـة . . .

« وفي ختام مدة الترين يقف أحد كبار الضباط علينا خطيباً ويقول : اتم تسرون الآن على أرض تعرفون أنها لتركيا ، أما نحن فلم نكن في زماننا نعرف أنها للأتراك . وأنتم ترون الراية الحمراء ترفرف فوق قلاعكم ، أما نحن فكنا نرى رايات الاعداء فوق قلاعنا . تلك مفاخر تركيا الجمهورية ومفاخر الزعيم .. فاهتفوا معى : لتحي الجمهورية ، ولتحي الزعيم ! »

أما الزعيم فقد قال لهم من قبل :

« يا شباب الترك !

« واجبك الأول الحرص إلى الأبد على الاستقلال التركي والجمهورية التركية والدفاع عنـهما

« هذا هو الأساس الوحيد لكيانك ومستقبلك . وهذا الأساس هو أنفس ذخر من ذخرك . وقد تصطدم في المستقبل بأصحاب الأغراض الدنية في الداخل والخارج من يحاولون حرمانك من هذا الذخر ، فتضطرك الحالة في يوم ما إلى الدفاع عن الاستقلال والجمهورية .. فعليك ألا تفكـر إذ ذاك في الظروف المحيطة بك وهـل هي موالية أو غير موالية ..

« وقد تبدو الظروف المحيطة بك في مظهر لا يدعـو إلى الارتيـاح .. وقد يكون الأعداء الذين يحاولون المسـاس بـجمهوريتك في مظـهر يدلـ على أنـ العالم أجمع قد تأـلبـ عليكـ لـقـهرـكـ وـالـقـضـاءـ عـلـيـكـ .. وقد تـتـطلعـ فيماـ حـولـكـ فـتـرىـ أنـ قـلـاعـ وـطـنـكـ العـزيـزـ قدـ سـلـبـتـ ، وـانـ العـدـوـ يـحـتلـ جـمـيعـ مـوـاـئـنـكـ وـمـرـاقـفـكـ ، وـانـ الجـيـشـ قدـ تـبـدـدـ وـانـ الـاحتـلـالـ العـسـكـرـيـ قـائـمـ فـيـ كـلـ رـكـنـ مـنـ أـرـكـانـ الـبـلـادـ .. وقدـ تـرـىـ فـوقـ هـذـا

وذاك ما هو أدهى وأمر : قد ترى أن أصحاب النفوذ والشخصيات الكبيرة في غفلة وضلال . . بل قد يتزدون في مهابي الخيانة . . وقد تراهم يظاهرون العدو المحتل ويسيهلون له مآربه السياسية ليسهل لهم بدوره مصالحهم الشخصية . . وقد تكون الأمة في قفر وضنك منهوكه القوى قائمة فوق أنقاض الحراب . .

« أيها الشباب التركي . . يا ابن تركيا العتيد . . قد ترى كل ذلك ، فواجبك في كل هذه الحالات أن تعمل على إنقاذ بلادك واستخلاص استقلالها وجمهوريتها من خالب الأعداء . ولا تخمن عن القوة فهي كامنة في دمائكم الأصيلة التي تجري في عروقك ! »

* * *

ومن هذا الشباب يتألف الجيش التركي : جيش محمد الفاتح وسلمان القانوني وسلمي ، جيش الامبراطورية العثمانية الذي دوخ العالم وكان يقاتل على أبوابينا وفي قلب الروسيا وعلى حدود الهند وفي الحجاز واليمن . . الجيش الذي كان ينشده نابليون ليفتح به الدنيا بأسرها . . وأخيراً جيش كامل في غاليلوي وسقاريا ! هذا الجيش أصبح الآن لتركيا ، وتركيا وحسب ، والشتات القديم أصبح هرकزاً داخل حدود الترك الجديدة ، لذلك تراه قطعة واحدة تصور قبيلة كامل أتابورك بسور من الفولاذ

وكمال داهية الحرب يعرف جيشه من ألفه إلى يائه ، ويعرف جيوش العالم وما تحمله من سلاح وأدوات جهنمية ، فهو لذلك جهنمي في استعداده للحرب ، جهنمي في اشرافه على الجيش ، جهنمي في كل ما يس سلامه الوطن !

وكأنني أراه الآن في الحرب المقبلة - لا قدر الله نشوها - جائعاً فوق أرض بلاده وأمامه خريطةها وفوقها الاعلام الصغيرة . . كأنني أراه وهو يدين الحرب بأعصاب من حديد . . كأنني أراه يؤدى ضريبة الحرب الى عزرايل دون كلام أو تردد ، فأرى ذئب غاليلوي وسقاريا . . أراه كما كان وحيثما كان حديداً جليداً . .

هل أفلس النعيم ؟

وعلى حين غرة ، ودون سابق انذار ، تقف الدائرة وتشوب الدوامة المهوائية الكبرى الى سكون لا عهد لتركيا به منذ سنة ١٩١٩

ولا يكاد الناس يقدرون على الوقوف على أقدامهم من هول السكون المفاجىء ،
بعد الانطلاق الطويل مع الدائرة التي كانت تدور ، وتدوى وهي تدور
ماذا حدث ؟

هل قضى « زعيم القبيلة الأكبر » نحبه ؟
كلا . انه مقيم في حدائق « يالوفا » بالقرب من استانبول . وإنه سعيد بالمقام
هناك حيث الهواء والماء والطبيعة الحسنة
اذاً ماذا جد في الأمر ؟ هل تعطل الجهاز الجبار ذو الأذرع الست ؟
كلا . فالجهاز كان لا يزال دائراً الى ساعة قريبة ..
كنت في تركيا إذ ذاك . وأشهد اني كنت أسأله مع المتسائلين ، وأذهل مع
الذاهلين ، حتى مرت أيام سمعنا فيها ما سمعنا من حدوث حادث طارىء ، ففهمت السر
في هذا الوقوف المفاجىء :

« زعيم القبيلة الأكبر » كتلة من الحديد والجليد ترکزت فيها خلاصة ما في دم
التركي من كفاح ودهاء . وهو في هذا الصيف (صيف سنة ١٩٣٠) يريد أن
يضرب لأفراد قبيلته مثل المادي على أنهم في داخل الدوامة الكبرى خير مما كانوا في
العبود المنصرمة ، فهو لذلك يهدده إلى الجهاز ذي الأذرع الست فيوقفه عن الحركة ،
ثم يقوم من مقعده في مركز الجهاز في أنقرة وينزل في قصر في « يالوفا » حيث ينسج
خيوطه استعداداً لضرب المثل

ولقد سمعت - وأنا مقيم في استانبول - نفرًا من الرجعيين يقولون ان وقوف
الدائرة دليل على افلاس الزعيم وإفلاس فلسفته التي قامت عليها الدائرة والجهاز ذو
الأذرع الست . فكنت أسرخ من أقوالهم وأقول : « انتظروا فعما قليل تتجلّى لكم
حقيقة الزعيم » . فيقولون : « لقد انجلت الحقيقة منذ أسابيع ، إذ بعث فتحى باك
سفيراً في باريس إلى كمال خطاب احتجاج طويلاً يعلن على عصمت فيه حرباً شعواء
وينهى على الحكومة عجزها عن ادارة البلاد وسيرها بها إلى وحدة الافلاس والدمار .
فماذا تقول بعد ذلك ؟ » فكنت أقول لهم : « انتظروا .. فالازمن وحده كفيل باظهار
زعيمكم على حقيقته »

وكنت وأنا في استانبول لا أخفى اعجابي بهذا الزعيم الدهنية الذي أوقف الدائرة
وكانه أفلس حقيقة ، واستندتني فتحى من باريس وكأنه أصانع السمع إلى احتجاجه

الطويل ، وهدد عصمت باقضاء أجله السياسي وكأن عصمت لم يعد يصلاح لشئون الحكم . . .

أجل كنت أعجب بهذا الزعيم ، وكان اعجبي به يزداد كلما تصورت الخطر الجاثم فوقه وهو بعيد عن مركز الدائرة ، هذا الخطر الذي يدركه كل من يدرس حياة الأتراك ويعرف أنهم لا يتعصبون لشيء ولكنهم ينقلبون مردة وشياطين اذا لم يروا « زعيم القبيلة » أو دائته التي تدور فتشملهم في دوامتها الكبرى ولكن مصطفى كمال لا يرهب شيئاً . وهو في انسابه هذا من مركز الدائرة انا يعتبر نفسه في « عطلة صيفية » سوف يقضيها في حدائق « يالوفا » الغاء ناعم البال هاديء الاعصاب ، فإذا ما تطورت الأمور تطورها المتضرر الخطير فليس أسهل عليه من العود الى الذئب ونظرات الذئب النارية ، ثم الجلوس في مقعده في مركز الدائرة لتعاود دورانها من جديد !

أجل والله . . هذا مصطفى كمال الذي تصورته وأنا على ضفاف البوسفور في

صيف سنة ١٩٣٠

وبهذا الروح يجلس كمال في حدائق « يالوفا » ليستمع الى نقاش حاد بين فتحى وعصمت :

فهذا سفير تركيا في فرنسا يهول من شأن المأساة التركية الكبرى التي وضع عصمت فصولها بمحاقته وجهره وتعصبه ،وها هو ذا الفصل الاخير من المأساة يوشك أن يختتم بفاجعة دونها فواجع العهد المنقرض . .

وهذا عصمت : رجل الحديد والنار يجلس صامتاً لا يتحرك . فإذا استفزه كمال وطلب منه الدفاع عن نفسه نراه يقول ببروده المعهود : « ليس هذا مكان النقاش في شئون الحكم ، فهناك مجلس نيابي تدور المناقشات بين جدرانه . فليرز فتحى أو من شئت غيره الى الميدان ، وليحملوا على عصمت ما شاءوا من حملات ، وعلى عصمت بعد ذلك أن يدافع عن نفسه . . . »

كلام معقول يقبله كمال ، ويقبله فتحى أيضا

* * *

فيخطو كمال خطوته الثانية إذ يعلن على الملأ أنه راض عن فتحى ولعارضته الجديدة مجد متحمس ، فعلى من شاء من أفراد القبيلة أن ينضم الى حزب فتحى

الجديد ، وله بذلك أن يتقد الحكومة كما يشاء وتتطلب مصلحة الوطن
ثم يأمر أخيه « مقبولة » ونفرًا من أقرب المقربين إليه بالانضمام إلى الحزب
الجديد ، فينضمون إليه طائعين ، ويتحمسون لمبادئه طائعين أيضًا !
وأفراد القبيلة الذين انقلبوا الآن مردة شياطين ينشطرون فريقين : فريق
متحمس لعصمت جداً ، وفريق متحمس لفتحي جداً

* * *

ثم يخطو كمال الخطوة الثالثة :
فجرى في أزمير أول حفل سياسي حر عرفته تركيا منذ بدأ الدائرة تدور ،
وزرى الناس يهرون إلى حيث وقف فتحى يخطب في زرافات متحمسة تشهد في
أعينهم لمحات من الترد والثورة
ويخطب فتحى ، فتنطلق السهام من فمه وتکاد تصيب كبد عصمت
ويخطب عصمت ، فتنطلق السهام من فمه وتکاد تصيب كبد فتحى
وتصفق الجماهير وتهلل لهذا أو ذاك . وتعالى الهمفات الودية والعداية . وتنطلق
المظاهرات في طرقات أزمير وما حولها صاحبة ثائرة ، ترفع هذا إلى السماء وتهوى
بذاك إلى الحضيض

* * *

ثم يخطو كمال الخطوة الرابعة :
نحن الآن في أنقرة ، في المجلس الوطني الكبير
كم لقن كلام من عصمت وفتحى درسا في آداب الناقشة ، فهما على منبر المجلس
عدوان لدوadan ، وفي خارج المجلس صديقان متصفان . . .
وهذا الدرس يعنيه يلقي على سائر النواب بطريقة غير مباشرة
ثم يجتمع المجلس للنظر في خصومة رجل الساعة
فيقف فتحى وأعضاء حزبه الجديد فوق المنبر ويوجهون إلى حكومة عصمت
قارص الكلم ، ويتهمنها بأنها أوشكت بالبلاد على الإفلاس والخراب : فهذا التعصب
ضد الآجانب ما معناه طالما أن البلاد في حاجة إلى رءوس الأموال الأجنبية ؟ وهذا
النظر الضيق ماذا نسميه إن لم يكن غباء وسيرا بالحكومة إلى شرفة المهاوية ؟ وهذه
السلك الحديدية التي تمدها الحكومة ما لزومها إذا كانت لاتغل ربحا ولا تجد فتيلًا ؟

وهذا الاحتكار لسائر موارد البلاد ما الداعي له بعد أن تبين للناس أنه العلة في كل هذا البلاء؟ وهذه اليد الحديدية التي تكم الأفواه وتختنق الأنفاس ما خطبها ونحن نعيش في عصر الحرية؟ وهكذا حتى يخرج الناس من تلك الحملات بأن عصمت رجل خائن يجب التخلص منه ومن يده الحديدية بأسرع ما يمكن ..!

ثم يخوض الميدان لعصمت ، فيتكلم ، ويتحمس ، ويثور فیدمدم ويصبح بأعلى صوته : هذا التعصب ضد الأجانب معناه زوال هيمنة الأجانب علينا إلى الأبد .. وهذا النظر الضيق ليس غباء بل هو عين ما نراه في كل أمة تعصب لقوميتها في عصر الحق فيه للقوة والويل للضعف .. وهذه السلك الحديدية لا أبغى منها الربع وإنما أبغى سهولة المواصلات في ساعة الحرب إذ أحمل جنودي من شرق الأناضول إلى غربيه في ساعات معدودات .. وهذا الاحتكار قضى على وساطة كبار الممولين ولم يعد يتبع لأحد أن يتلاعب بعد الآن بأهم مراقب الحياة .. أما اليد الحديدية فلا وجود لها طالما كان الرجعيون مندسين في أوكرارهم أو مشردين في أقصى الأرض .. وهكذا حتى يعود التيار فيندفع معه بشدة ..

وينزل عصمت من فوق المنبر ليعانق فتحى ويسير معه ضاحكا متلطفا كما أمر الزعيم !

ولكن النواب ينسون الدرس في ساعة الغضب والتحمس ، فيسبون ويلعنون ، وبقبضاتهم في الهواء يلوحون ، وبمسدساتهم يهددون ، وبالكلمات يتناحرون ، وإنك لتسمع في هذه الفوضى الرهيبة دوى الطلقات وهزيم المتأفات الثائرة وقمعة الآثار المخطم !

* * *

ولا تقاد هذه المناوشات والمشاجنات تداع ، حتى يندلع لهيب المعارضة في كل مكان : الزراع ، والتجار ، والصناع ، والمدرسون ، والاطباء ، والمهندسو ، وكل ذي حرفة ينغمي في خضم السياسة إلى شوشه ..

وعلى القهوات يجلس هلافت السياسيين فيتناقشون ويتضاربون ، ثم يحررون آلافا من العرائض ويرسلونها إلى انقرة ..

وفي الطرقات يترك الناس أعمالهم ويجتمعون حيثما سمعوا خطيباً يخطب ، أو سياسياً هلفوتاً يتحدث ويتحمس ..

و هذه الجماعات تتشاجن ، ثم تتضارب و تتطاحن بالعصى والمدى والمسدسات . .
وفي القرى البعيدة عن العاصمة والبنادر تخرج بقية الرجعيين من أوكرارها وتعود
إلى اعلان الحرب على كمال الكافر و حكومته الكافرة . .
وعلى الحدود الشرقية تقوم فلول الأرمن بثورات دامية تذهب فيها مئات
الضحايا . .

والاكراد يرفعون « علم النبوة الأخضر » فوق جبالهم ونجادهم وينحدرون به
إلى القرى التركية المجاورة فتصطحبن أرضها بالدماء و تتناثر فوقهاآلاف الاشلاء . . .
وفي قرية « منيمن » بالقرب من ازمير يقوم دعى من الادعاء يدعى « محمدأً »
ويزعم أنه المهدى المنتظر ، فتجتمع حوله فلول الدراوיש الدين اخرجهم كمال من
أوكرارهم وتكاباهم ودفع بهم إلى عالم الكسب الشريف ، و تقوم ثمة ثورة محلية
خطيرة . . .

ويحاول ضابط تركي يدعى « قوبلاى » مقاومة النبي الكذاب فيقبض عليه
الشيخ محمد ويدفعه ذبح الشاة أمام مئات من الدراوיש والرجعيين الماتفين المهللين :
الله اكبر ! الله اكبر !
قضى الأمر . . وعادت الرجعية تثل دورا من أدوارها التي خلنا أنها انتقضت
ودفعت تحت انقضاض العهد البائد ! !

* * *

تركيا في خطر . والاستقلال في خطر . والجمهورية في خطر . .
أفراد القبيلة يعودهم الخنين إلى دائرة الزعيم الأكبر التي تدور فتدور معها الدوامة
الهوائية الكبرى فتدبر كل شيء . . .
وهذا الخنين ينقلب رجاء ، فتوسلا . . .
ولسان حال القبيلة يقول : عد أيها الزعيم إلى سابق عهدهك ، ولا تدعنا ننقلب
في غيتك مردة شياطين ، وارحنا من بقايا الرجعية ورؤوس الرجعيين . .
ولكن الزعيم يضم أذنيه دون توسل افراد قبيلته . فنراهم بعد قليل له ساجدين
ولرسالته مقدسين . .

وعندئذ - وبعد أن يوقن الزعيم أن المثل الذى ضربه للقبيلة استقر في القلوب
حيث تستقر العقيدة - يتحرك الرجل الجليد فينقلب ذئباً قطر الدماء من مخاليبه، وتألق

في عينيه نظرات غاليلو وسقاريا النارية ، ويذهب الى مركز الدائرة حيث يستقر على مقعده العتيق ، ويمد يده الجباره الى الأذرع السط ويدفعها بقوة ، فتدور ، وتدور معها الدائرة كما تدور الرحى ، فتطحن فتحى وحزب فتحى ، وتطحن المتمرين وهلافت السياسة والشاكين ، وتطحن الارمن ، وتطحن الاراد ، وتطحن الشیخ محمدًا ، وتطحن البقية الباقيه من دعاة الرجعية والعود الى القديم ! وبعد بضعة أسابيع تقف الرحى حيث طحت آخر الرءوس ، وتتابع الدائرة دورانها فتشمل الاتراك بدواتها الكبرى من جديد .. وانك لتسمع خلال أزيز الدوامة اصواتا سعيدة تشق عنان السماء هاتفة : « ليحي زعيم القبيلة الا أكبر ! »

رجل المعجزات

الزراعة ، ولا شيء الا الزراعة . والصناعة ، ولا شيء الا الصناعة . والتجارة ،
ولا شيء الا التجارة . والعلم ، ولا شيء الا العلم . والسلام ولا شيء الا السلام .
والحرب ، ولا شيء الا الحرب
تلك أوامر الزعيم . وهي طاعة كأنها أوامر مقدسة . وكل ذي حرفة يقوم بها
نفس الروح التي يجاهد بها الجندي في خط النار
والزعيم تراه في كل مكان :
 فهو زارع يحمل الفأس مع الزراع
وهو صانع يحمل المطرقة والسدان مع الصناع
وهو تاجر يبيع مع التجار
وهو معلم يقف أمام السبورة كالمعلمين
وهو ملاك السلام !
وهو إله الحرب !

وتركيما تقلب في بضع سنين بلدا زراعيا تمجرايا ، والاتراك يتعلمون ، ويتعلمون
للسلام كما يستعدون للحرب
وأفراد القبيلة في هذا الكفاح الجبار سعداء خورون بما صنعت أيديهم وما صنع

لهم الزعيم ، شامخو الانوف ، مؤمنون بأنهم أعضاء حية قوية في جسم الإنسانية
والمدينة الحديدة

وهذا اليمان يدفعهم الى الاتيان بالمعجزات في سائر ميادين النشاط الانساني :
فملابسهم كلها تصنع في تركيا ، ومنازلهم وأثاثهم يصنع في بلادهم ، وأدواتهم
ومصنوعاتهم منهم واليهم ، ومعظم بنادقهم ومدافعهم ورصاصهم وقنابلهم تصنع في
المصنع التركية ، وحتى الطائرات والبواخر وقضبان السكك الحديدية يصنعها
الأتراك !

ومدافعيهم تعرض في معرض اليونان الى جانب المدافع الاوربية ، فتقرر لجنة
فنية عسكرية أنها أمن من سائر المدافع المعروضة !

وممتلكات أرضهم ومواشيهم تباع في أسواق موسكو ولندن وباريس
وعملاؤهم يضيفون الى قائمة المخترعات الحديثة اختراعات جديدة
واحدى نسائهم تركب صبغات جديدة تفوق الصبغات الألمانية الشهيرة
كل هذا يراه الزعيم فيتسم . ويراه الأتراك فيزيدون بقوتهم ايامناً فوق أيامهم

* * *

فإذا انتقلنا الى عالم السياسة الدولية رأينا عجبا :
فالدب الروسي عدو الترك اللدود في أيام سلاطين آل عثمان يصبح صديقا للذئب
انقرة وحليفا

والبلقان الذى لم يعرف الاستقرار قط ، يكاد يستقر تحت راية الزعيم التركى
واليونان . اليونان التى قادها فريزيوس الى قلب الأناضول قبل بضع سنوات
تقرب من الذئب التركى ثم تعاققه وتقبله بحرارة وشفف !

وفرنسا صديقة للروسيا ، فهي لذلك صديقة لتركيا
وإنجلترا : سيدة البحار التى لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها ، ترى أن البحار
يكاد زمامها يفلت من يديها ، وأن الشمس تكاد تغيب عن بعض ممتلكاتها ، فتغير
اتجاه سياستها العدائية نحو تركيا وتقلب صديقة لها ، وتروح تغازل ذئب انقرة حتى
يهش لها فتبادر الى تقبيله أيضا !

والذى أود أن أسجله لتركيا هنا بعداد الفخر ، أنها كانت أول دولة شرقية عرفت
كيف تقاوم إنجلترا وتحملها قسرا على احترامها والاعتراف لها بحق الحياة والسيادة

في عصر طالما تمرت فيه سيدة البحار وأملت علينا ارادتها وانفنا في الرغام
أجل لقد عرف ذئب أنقرة كيف يسوس انجلترا التي لا تحترمك الا اذا قهرتها ،
ولا تعرف لك بحقك الا اذا ارغمتها على أن تعرف به
انجلترا هذه تلقت من ذئب انقرة ضربة قاصمة في غالیولى . وتلقت الضربة
الثانية في عهد الاحتلال . والثالثة في حرب الاستقلال . فلما شعبت أم رأسها من
الضرب ، عادت اليه في جلد الحبل وراحت تتودد اليه وتتوسل ليكون لها نصيرا في
أزمتها الطارئة المخيفة ، أزمة قيام الفاشية في ايطاليا وتهديد موسوليني يجعل البحر
الا يض بحيرة ايطالية

وذئب انقرة داهية من دهاء السياسة . وهو يعرف أن انجلترا تحتاج اليه . ويدرك
أن البحر الا يض قد يصبح بحيرة ايطالية ، وأن انجلترا التي تملك مفتاح جبل طارق
وكان تتحكم في البحر الا يض ، تكاد تفقد هذا المفتاح فتفقد سيادتها على طريق الهند ،
 فهو لذلك لا يهافت على صداقتها بل يسوق عليها الدلال ..

وهذا الدلال لا يكاد جون بول يحتمله .. فالازمة عصيبة . وموسوليني لايرحم ،
وأوربا في فوهه البركان . وفرنسا الصديقة تتذبذب ، وألمانيا ، تتمر ، واسبانيا تشقلب
والشرق الأدنى لا يستقر على حال ، والحبشة تفترسها ايطاليا ، وحدود السودان مهددة .
وطريق الهند في خطر !

وأخيراً .. وبعد طول دلال .. يرضى الذئب بصداقه انجلترا ، ويعدها بالمساعدة
ولكن على شرط : هو الاعتراف بحق تركيا في تحصين الدردنيل !

فقبل انجلترا هذا الشرط . وسرعان ما تهتز الاسلاك البرقية معلنة للعالم أجمع نجاح
مؤتمر موتنرو والاعتراف بحق تركيا في تحصين دردنيلها . . .

ويقف ذئب انقرة فوق مرفعات الدردنيل ليشرف على عمليات التحصين ،
فترى في عينيه نفس البريق الذي رأيناها من قبل وهو يقصد بمنجله أرواح عشرات
الآلاف من الانجليز والاستراليين في سنة ١٩١٥

لقد انتصر جيشه إذ ذاك . وانتصرت جمهوريته اليوم !

* * *

أما ايطاليا .. فله معها شأن آخر :
ففي ذات يوم يركب موسوليني رأسه ويقف في أحد ميادين روما خطيباً ويقول :

إن إيطاليا في حاجة إلى التوسيع في آسيا وأفريقيا . .
 ولا يكاد البرق يحمل هذا التصریح الخطير إلى انتقامه حتى ييرق ذئب انقرة ويرعد ،
 ويستدعي سفير إيطاليا إليه على وجه السرعة . .
 وعندما يقبل السفير إلى « تشنان كايا » يستقبله الذئب في حالة مدنية ، ثم يرجو
 منه أن يتظر قليلاً ريثما يعود . .
 وبعد بضع دقائق يعود فإذا هو في بذلة عسكرية . . بذلة ميدان . . !
 فيفغر السفير فاه من فرط الدهشة . .
 ولكن الذئب لا يدعه يندهش طويلاً ، فهو ييادره بقوله :
 « هأنـت تراـنـي أـيـهـا السـفـيرـ وـقـدـغـيـرـتـ ثـيـابـيـ وـلـبـسـتـ الـبـذـلـةـ الـعـسـكـرـيـةـ فـيـ بـضـعـ دـقـائـقـ . .
 فـاـذـهـبـ إـلـىـ رـئـيـسـكـ مـوـسـوـلـيـنـيـ وـصـفـ لـهـ ماـ شـاهـدـتـ ، وـقـلـ لـهـ نـيـابةـ عـنـ إـنـ تـرـكـيـاـ بـدـورـهـ
 تـلـبـسـ ثـيـابـهـ الـعـسـكـرـيـةـ وـتـنـقـلـ بـفـيـ حـالـةـ حـرـبـ فـيـ بـضـعـ دـقـائـقـ أـيـضاـ ! ! !
 وـيـخـرـجـ السـفـيرـ مـنـ عـنـ الذـئـبـ لـيـلـغـ مـوـسـوـلـيـنـيـ مـاـ رـأـيـ وـسـمـعـ .ـ فـيـعـذـرـ مـوـسـوـلـيـنـيـ
 عـمـاـ بـدـرـ مـنـهـ ، وـيـصـرـحـ بـأـنـ تـرـكـيـاـ لـمـ تـكـنـ تـخـطـرـ لـهـ يـالـ عـنـدـمـاـ صـرـحـ بـمـاـ صـرـحـ !
 يـدـ أـنـ الذـئـبـ لـاـ يـكـنـىـ بـهـذـاـ الـاعـتـذـارـ .ـ بـلـ يـسـوـقـ قـطـعاـ جـيـارـةـ مـنـ جـيـشـهـ إـلـىـ اـزـمـيرـ
 حـيـثـ يـقـومـ بـنـاـوـرـاتـ عـسـكـرـيـةـ وـاسـعـةـ النـطـاقـ ، وـكـأـنـهـ يـقـولـ لـدـكـتـاتـورـ إـيطـالـيـاـ :ـ «ـ هـاـ هـيـ
 ذـيـ تـرـكـيـاـ اـقـلـبـتـ مـعـسـكـرـاـ . .

* * *

وـأـمـاـ الشـرـقـ فـلـهـ مـنـهـ دـوـلـتـانـ كـيـرـتـانـ هـاـ إـرـانـ وـافـغـانـسـتـانـ
 الـأـوـلـىـ نـضـجـتـ وـاتـخـذـتـهـ اـسـتـاذـاـ .ـ وـالـثـانـىـ أـوـشـكـتـ أـنـ تـنـضـجـ
 وـفـيـ الـمـسـتـقـبـلـ الـقـرـيبـ سـوـفـ نـرـىـ سـوـارـاـ مـنـ الـحـدـيدـ وـالـنـارـ يـمـتدـ مـنـ اـسـتـامـبـولـ
 غـرـبـاـ إـلـىـ قـلـبـ آـسـيـاـ شـرـقاـ ،ـ إـلـىـ حدـودـ الـهـنـدـ ،ـ إـلـىـ جـيـالـ الـتـرـكـسـتـانـ ،ـ إـلـىـ سورـ
 الـصـينـ الـجـيـارـ . . .

بشر فوق البشر

. . وهـكـذاـ تـمـ السـنـونـ وـتـمـ الدـائـرـةـ دورـتهاـ لـتـعاـوـدـ الدـورـانـ مـنـ جـديـدـ .ـ وـهـكـذاـ
 يـؤـدـيـ كـالـأـتـاتـورـكـ رسـالـتـهـ الـإـنـسـانـيـةـ الـكـبـرـىـ حـيـثـ يـجـلسـ فـيـ مـرـكـزـ الدـائـرـةـ

العالم كله يتراوح بين الشك واليقين ، فتقوم هنا شيوعية مدمرة حمراء ، وتقوم هناك اشتراكية ليست مدمرة وليس حمراء - ولكنها مقلقلة ، وتناهض كلّيّاً تلّك النّكبة الإنسانية الكبّرى التي يسمونها « الفاشستية » أو « النازية » - وأقول « النّكبة » لأنّها قائمة على أساس من المهمجية ، ولا نهَا لا تعرّف من الحياة إلا أنّ المانيا أو ايطاليا فوق الجميع ، ولا شيء إلا المانيا أو ايطاليا ، ولا حياة إلا المانيا أو ايطاليا ، ولا سعادة إلا المانيا أو ايطاليا ، أما باقون فشعوب نحبّة ومدنّيات مضمحة ..

هذا العالم المصطخب ما أشأمه إذا قيس بعالم أتاتورك المؤمن العامل !

إن هذا الرجل الجاثم في مركز الدائرة في اقرة ليس شيوعياً أحمر ، ولا اشتراكياً أغير ، ولا نازياً أزرق ولا فاشستياً أسود ، بل هو « انسان ». انسان يدافع عن بلده حتى يستقل ، ثم ي العمل على توفير اسباب الرفاهية له ، ولا يفكّر في الحرب إلا مدافعاً عنه

وهو في « انسانيته » هذه صاحب مذهب عالمي جديد ورسالته إنسانية كبرى قوامها « السلام . وال الحرب للدفاع عن السلام والوطن ». والجديد في أمره أنه مختلف عن أصحاب المذاهب والرسالات في أنه عملي ومعظمهم خياليون ، وأنه عاكف على قطعة من الأرض يصلحها وهم يعكفون على الكون كله يصلحونه . فالسلام عندهم حب وصفاء وسعادة ، وعنه مال وزرع وضرع وصناعات وحديد ونار : فالمال والزرع والضرع والصناعات ل توفير اسباب الرخاء ، والحديد والنار للدفاع عن هذا الرخاء . وهو اذ يعكف على رقعة تركياً وحدها يصلحها يؤدي للإنسانية من الخدمات مالاً يؤديه مصلح الكون أجمع ، فاصلاح قطعة من الأرض يسهل على الإنسان القصير أجله ، ويصبح بعد ذلك مثلاً يحتذى وانموذجاً يقلد . أما اصلاح الكون فمحال .. ثم ان المصلحين وأصحاب الرسالات لا يمكنون من وسائل الاصلاح الا الفكرة - وال فكرة وحسب - أما هو فيملك الفكرة ووسائل التنفيذ

* * *

ولا يظنن ظان أتنا اذ تحدث عن كمال أتاتورك « الانسان » نود أن نقول إنه انسان مثلّي ومثلّك ، نصفه عاطفة وغراائز ، ونصفه خيال ، وما يبقى منه بعد ذلك عقل ومنطق وفكرة راجح ! كلا .. فكمال أتاتورك زعيم ، وأول صفات الزعيم أنه « بشر فوق البشر »

ولو أن المؤرخ أو العالم النفسي يتاح له تحليل الناس إلى عناصرهم الأولية ، إذاً لرأينا في جسم كمال أتاتورك عجباً : فكل ذرة من ذرات جسمه هي خلاصة طبع من طباع الأتراك . وهذه الذرات كلها مجتمعة هي التي تتيح له أن يكون « بشرًا فوق البشر » و « تركيًا فوق الأتراك » و « زعيمًا لقبيلة التركية »

وهذا الزعيم يجلس مع أفراد قبيلته بجسمه ، ومع الفكر المطلق بروحه . فإذا ثاروا رأيته حديداً . وإذا انصرروا رأيته جليداً . وإذا جمدوا رأيته ناراً . وإذا شعبت بهم الطرق رأيته في مجمع الطرق . وإذا انقسموا رأيته واحداً . وإذا اقلبوا على أنفسهم رأيته معتدلاً . الفاس والسيف عنده سيان - والحقل وخط النار . والحياة والموت عنده صنوان - والميلاد والشهادة . كل هذا لا بد منه في هذه الحياة الدنيا ما دمنا فيها نعيش

لا صديق له ولا يصدق أحداً . ولا أحد يحبه وهو لا يحب أحداً . ولا عدو له وهو لا يعادى أحداً : الصدقة والحب والعداوة كلها من مظاهر الإنسانية العادية . أما هو فبشر فوق البشر ، وزعيم يطاع ويخشى ، وهذه الطاعة وتلك الخشية تلبسان بوس القداة

ولطالما كافأ كمال أتاتورك رجالاً وشنق آخرين . ييد أنه في كلتا الحالتين كالبناء يضع الصخرة المهدبة في مكان ممتاز ويحطم الأخرى ليتسها في جوف الحائط . فالأنصار الذين كفأهم ، والرجعيون الذين علقهم في جبال المشانق ، كلهم صخور بني بها أتاتورك بيته العيد .

وسيكافئ كمال أتاتورك ويشنق رجالاً آخرين . وسيبني بيوتاً أخرى ومعاقد فوق رقعة بلاده . فلا يعودن أحد من انتقدوه أو لاموه إلى انتقاده ولو مه ، فهو في مركز الدائرة وعلى قنة البشرية يفكر ويعمل ، ولا يعبأ بشيء بعد ذلك

* * *

وفي القبيلة التركية الكبرى يعيش كمال أتاتورك الآن وحده ، فلا أب ولا أم ولا زوجة ولا عيال ولا عقار ولا مال

له مرتب ضئيل يدفع منه ضريبة الدخل كما يدفعها أي فرد من أفراد القبيلة كانت له ضيافة فوهبها للأتراك

كل ذرة من ذرات جسمه ، وكل عنصر من عناصر عقريته ، يعمل في سبيل
الترك - والترك وحدهم
لم يهبط إلى مستوى البشر العادى إلا في يومين اثنين : أولهما يوم تزوج « لطفية
هانم » ، والثانى يوم ماتت أمه « زبيدة »
فاما « لطفية هانم » فقد أسرته بجمالها يوم دخل أزمير ظافرًا ، وما كان لها أن
تأسره لو لا أنه كان خارجا من حرب الاستقلال كاً يؤوب البدوى من تيه طويل في
صحراء لا نبات فيها ولا ماء . . فروت « لطفية » من ظمئه وخففت عنه من
ويلات الحرب وأهواها . فلما استقرت الأمور في نصابها ولم يعد كمال ذلك البدوى
الصادى ، نبذ زوجته نبذ النواة وهجر فراش الزوجية حيث يستقر البشر ، وصعد
إلى القمة حيث الرجل يطيع ، والمرأة تطيع ، ولا شيء إلا الطاعة للزعيم
وأما أمه « زبيدة » فقد أحبتها حقاً . ولعلها الشخص الوحيد الذى نبض له قلبها
وتحركت عاطفته . « زبيدة » الأم الرءوم التى أحبتها كمال الحديد الجليد ولم يعص لها
أمرًا . « زبيدة » التى كانت تؤمن - وابنها مصطفى في حجرها - بأن الخليفة يملك
قوة سبعة من الأولياء ، فأصبحت في آخريات أيام حياتها تؤمن بأن ابنها وحده يملك
قوة سبعة من الجنaberة . . « زبيدة » هذه قضت نحبها . . فانقطع بعوتها آخر خط
كان يربط كلاً بالبشر وعواطف البشر

خاتمة

الدائرة الكبرى ما زالت تدور
وما أسرع ماتدور !
أني لا أكاد أرى الجهاز الجبار ذا الأذرع الست
وكل ما استطيع أن اتبينه خلال الدوامة الهوائية الكبرى مارد
جبار لا يزال كما كان وحيثما كان حديدا جليدا ، فأقول : « لعله كمال
أتاتورك »

مراجع الكتاب ومصادر را

مراجع انجليزية :

Memoirs of Halidé Edib, London 1926.

The Memories of Ismail Kemal Bey, London 1920.

Memories of a Turkish Statesman, by Djemal Pasha, London 1919.

The Turkish Empire, by Lord Eversley, London 1918.

The Turkish Empire from 1288-1916, by Lord Eversley. And from 1914-1922,
by Sir Valentine Chirol, London 1923.

The Ottoman Empire, 1801-1913, by William Miller, London 1913.

Turkey, by Arnold J. Toynbee & Kenneth P. Kirkwood, London 1926.

A short History of the Near East, by William Stearns Davis, London 1923.

Life of Abdul Hamid, by Sir Edwin Pears, London 1917.

Turkey in Travail, by Harold Armstrong, London 1925.

Turkey, the Great Powers & the Bagdad Railway, by Edward Mead Earle,
London 1923.

The Turks and Europe, by Gaston Gaillard, London 1921.

The Powers and the Turks, by Sir George Greenwood, 1923.

The Eastern Question, by J. A. R. Mariott, London 1918.

The Turkish Problem, by Count Léon Ostrorog, London 1919.

The Struggle for Power in Moslem Asia, by E. Alexander Powell.

The Western Question in Greece & Turkey, by Arnold J. Toynbee, London
1922.

The Holy War in Tripoli, by G. F. Abbot, London 1912.

The Turco-Italian Wars and its Problems, by Sir Thomas Barclay, London
1912.

With the Turks in Tripoli, by E. N. Dennett, London 1916.

Hellas and the Balkan Wars, by D. J. Cassavetti, London 1914.

The Struggle for Scutari, by M. E. Durham, London 1914.

Fourty Years in Constantinople : 1873-1915, by Sir Edwin Pears, London.
1915.

Gallipoli, by Masefield.

The Dardanelles Commission's Final Report, London 1919.

Gallipoli Diary, by Sir I. Hamilton, London 1920.

Five Years in Turkey, by Liman Von Sanders, London 1928.

War Memories of the Dardanelles, by E. Ashmeed Bartlett.

British Official History, by C. P. Aspinall, London 1928.

An Englishman in Angora, by Grace Ellison, London 1923.

Turkey To-Day, by Ellison.

Mustafa Kemal, by Wortham.

Grey Woolf, by H. C. Armstrong, London 1932.

مراجع فرنسيّة:

Le sort de l'Empire Ottoman, par A. Mandlestan, 1917.
La Révolution Ottomane, par Youssouf Fehmi, Paris 1911.
La Jeune Turquie et la Révolution, par A. Sarrou, Paris 1912.
La Turquie à la Guerre, par J. Aulneau, Paris 1915.
La Mort de Stamboul, par Victor Bernard, Paris 1913.
La Révolution Turque, par Victor Bernard, Paris 1909.
Cent Projets de Partage de la Turquie, par T. G. Djuvara, Paris 1914.
La Turquie, l'Allemagne et l'Europe jusqu'à la Guerre Mondiale, par Général M. Moukhtar Pacha, Paris 1924.
Les Balkans en Feu, par R. Poincaré, Paris 1912.
Histoire de la Guerre Italo-Turque, par un Témoin, Paris 1912.
La Guerre Turco-Balkanique, par Colonel Brevete Boucabeille, Paris 1912.
Journal du Siège d'Adrinople, par G. Civilli, Paris 1913.
La Tragédie des Dardanelles, par Delage Edmond, Paris 1931.
Angora, par Jean Schlicklin, Paris 1922.
Dictateurs et Dictatures, par le Comte Sforza, Paris 1931.
Le Visage Nouveau de la Turquie, par Eugène Pittard, 1931.
La Turquie Contemporaine, Ankara 1935.
Dictateurs d'aujourd'hui, Henri Bernaud, 1933.
La Turquie dans le Monde, Robert de Bischoff, Paris 1936.

مراجع ومصادر تركية وعربية:

— عبد الحميد ثانى ودور سلطنتى ، حیات خصوصیة وسياسیهسى : استامبول

١٣٢٧ هـ

— عثمانلىلر محاربة لرينى ناصل غائب ايتدىلير ؟ شيمدى ناصل تلافى وترق ايده

بىليرلر ؟ عادل نامى : استامبول ١٣٣١ هـ

— جناق قلعة . محررى غرانوينل فورتسكىو ، مترجمى رحمى : استامبول

١٣٣١ هـ

— عثمانلى اردوستنك أسباب مغلوبيتى . واتحاد وترق جمعيىتى سياسى . جمال

الدين هجرى : استامبول ١٣٢٩ هـ

— عثمانلى اردوستنك أسباب مغلوبيتى . احمد حمى : القاهرة ١٩٣٣

— ادرنة سقوطناك إيج يوزى . جладت بدرخان - كامران بدرخان : استامبول

١٣٢٩ هـ

— ۱۹۱۲ : بلقان حربنده . محمد علی تزهت : استامبول ۱۳۳۱ ه

— اوجنجی قول اردونک وایکنچی شرق اردو سنک حاربائی . محمود مختار باشا :
استامبول ۱۳۳۱

— خاطرات نیازی . احمد نیازی : استامبول ۱۳۲۶

— نطق

— نطق محتویاته عائد وثائق : غازی مصطفی کمال طرفدن - انقره ۱۹۲۷

— مذکرات الغازی مصطفی کمال باشا (مترجمة عن التركية)

Tarih V vols : Istanbul 1931.

تصوّيبات

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
وزير الحرية	الصدر الاعظم	٢٥	٢٤
وبق ذلك الزحف على	وتلت ذلك هزيمة المارن	٢٥	٣٠
باريس			
١٢٨ أكتوبر	١٨ أكتوبر	٢	٣١
يبيع به خيوله بجمال	يقرضه من جمال	٢	٤٦
يا صاحب السعادة	يا صاحب السمو	٤	٤٨
انطاليا	انطاكية	٥	٦٣
ادرنة	ادنه	١٨	٦٩

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 084732567